فصلية ايران والعرب

١٤

العدد الرابع عشر - السنة الثالثة - خريف ٢٠٠٥





فصلية ايران والعرب

مركز پژوهشهای علمی و مطالعات استراتژیک خاور میانه

مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط

Center for Scientific Research and Middle East Strategic Studies

مركز الأبحاث العلميّة والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط

مركز متخصص في القضايا الفكرية والاستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط

- يهدف إلى دراسة هذه القضايا من خلال تفاعل العلاقات بين دول المنطقة، بما فيها إيران، مع عناية خاصة بالعلاقات العربية ـ الإيرانية.
- يُعنى بمتابعة التوجهات السياسية والاقتصادية الدولية ومدى تأثيرها في منطقة الشرق الأوسط.
- يقوم المركز بعقد الندوات واللقاءات العلمية، وينظم حلقات نقاش متخصصة، كما يُعد في هذا الإطار برامج الأبحاث والدراسات.
- يصدر مجموعة من المجلات والكتب والمنشورات التي تلائم اهتماماته.

الأسعار

- لبنان: ٤٥٠٠ل.ل.
- سوريا: ١٥٠ ل.س.
- إيران: ٦٠،٠٠٠ ريال
- البحرين: ٢دنانير
- قطر: ٢٠ ريالاً
- الكويت: ٢ دينار
- المغرب: ٢٢ درهمًا
- ليبيا: ٥ دنانير
- الأردن: ٢ دنانير
- العراق: ٧٥ دينارًا
- السعودية: ١٠ ريال
- عُمان: ٣ ريال
- تونس: ٣ دنانير
- اليمن: ١٧٥ ريالاً
- مصر: ٦ جنيه
- بريطانيا: ٢ جنيه

الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد

- دول الشرق الأوسط وافريقيا: ٣٠ دولارًا
- الدول الأوروبية: ٤٠ دولارًا
- اميركا ودول أخرى: ٥٠ دولاراً

- ترسل طلبات الإشتراك إلى مركز الأبحاث العلميّة والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط، بيروت.

التوزيع في لبنان والشرق الأوسط : مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع
تلفاكس : ٨٥٦٦٧٧ / ٠١   ص . ب ٦٥٩٠ / ١١٣ بيروت – لبنان

العنوان

مكتب بيروت

بئر حسن ـ شارع السفارات ـ بناية شاطئ العاج ـ هاتف: ٠١/٨٣٣٦٩٨
فاكس: ٠١/٨٣٣٦٩٨
ص . ب: ١١٣/٥٦٦٩ بيروت ـ لبنان
بريد الكتروني : fasleyat@middleeast-iran.com

مكتب طهران

بلوار كشاورز، خيابان شهيد نادرى ، شماره٢٠
تلفن: ٨٩٦٤٢٨٢، ٨٩٦٦٧٣٣، ٨٩٦١٧٧٠ (٠٠٩٨٢١)
ص . پ: ١٤١٥٥/٤٥٧٦، فاكس: ٨٩٦٩٥٦٥
بريد الكتروني : merc@irost.com

المدير المسؤول: فكتور الكِك

فصلية
ايران والعرب

العدد الرابع عشر ـ السنة الثالثة ـ خريف ٢٠٠٥

- ترحب «*فصلية إيران والعرب*» بدراسات الكتّاب حول مختلف القضايا المتعلقة بالشؤون الإيرانية ـ العربية، شرط ألا تكون قد نشرت أو مقدّمة للنشر في مطبوعات أخرى، وأن تكون موثقة بطريقة علمية.
- يُفضّل أن يُقدم النص مطبوعاً مع القرص الممغنط (الديسك).
- يُرجى من الكتّاب إرسال سيرة ذاتية موجزة مع عناوينهم: هاتف، فاكس، بريد الكتروني.

فصلية إيران والعرب

الهيئة العلمية الاستشارية

المراكز الاستشارية

بسم الله الرحمن الرحيم

فصلية
إيران والعرب

العدد الرابع عشر - السنة الثالثة - خريف ٢٠٠٥

المحتويات

رأي

دراسات

قراءات

وقائع

ملخصات بالفارسية

فهرس بالإنكليزية



آراء الكتّاب تعبر عن وجهات نظرهم

رأي

العولمة وضرورة التغيير المؤسسي

دفعت الأجواء الدولية الجديدة المؤسسات إلى دراسة التغييرات المنطقية، وذلك في محاولة لمواجهة التطورات. فالمؤسسات تتعرض لحالة ضغط دائم من أجل تحسين نوعية أعمالها. إذ في كثير من الحالات يجب أن يُتخذ قرار التغيير سريعاً، وأن ينفذ بمهارة للوصول إلى النتائج المرجوة. على أن التغيير إذا ما كان يستغرق سنوات عدة في الماضي، فإنه يتم حالياً بسرعة فائقة وبفواصل زمنية متقاربة، بحيث إن المجموعات التي لا تتغير، تفقد قدرتها على المنافسة وتقديم النوعية في أعمالها.

إن موضوع الإدارة هو الأساس في مسألة التغيير. في الحقيقة، إن الحفاظ على النوعية يحتاج إلى التغيير. فالثبات وعدم تغيير الطرق والأساليب لم يعد مقبولاً لدى المؤسسات الفاعلة. إذ يجب أن يقوم بناء المؤسسات اليوم على أساس قدرتها على التغيير، وليس أن تصبح قرارات الأعمال البعيدة المدى وتنفيذها هي الممهد للتغيير. على أن هكذا مؤسسات بحاجة إلى دم جديد وإدارات خاصة. إذ إن الوضع الجديد يستلزم بنى متحركة ونشطة وأنظمة أجور وعمليات اتصالات مؤثرة وإدارات للموارد البشرية. طبعاً، إن الليونة شرط أساسي لتقبل المتغيرات المذكورة. إذ في عالم الاتصالات الراهن والمنبثق عن العولمة، لم تعد المسائل القديمة، مثل الأهمية الجغرافية والثروات الفيزيائية (العينية) ذات أهمية كبرى للتوصل إلى المستوى الجيد. ففي السابق كانت الأهمية تكمن في العلاقة بالبضاعة، لكنها تكمن اليوم في إدارة الزمن وإدارة الإستثمارات وإدارة الموارد البشرية. وتكمن الميزة النسبية اليوم في مدى تعلم الأفراد ومستوى تعلمهم وضبط التكاليف ومدى تطابقها مع الظروف الحديثة للأجواء العالمية. إذ في كثير من الحالات بات مستوى القدرة على التغيير وتطابقه مع الظروف الجديدة الميزة الأهم.

في هكذا ظروف تصبح الموسسة قادرة على الغوص في عالم المنافسة وتقديم الخدمات ضمن المعايير العالمية في الزمن الراهن الذي لم يعد كافياً فيه أن تحصل المؤسسة على ميزة على

المستوى العالمي، بل يجب عليها الحصول على ميزات عدة تمكّنها من الحصول على موقع ممتاز عالمياً. لذا، من الضروري أن تنظم المؤسسة أطرها الداخلية بحيث تكون قادرة على التغير الدائم. وثمة هنا خمسة عناصر لهذا الموضوع:

- الإستراتيجية؛
- الهيكلية؛
- الموارد البشرية؛
- الأجور؛
- العمليات والأنشطة.

يولد تلاقي والعلاقة المتقابلة بين هذه العناصر الخمسة ابداعاً وتطوراً وتغييراً دائماً في المؤسسة. على أن المقصود بالإستراتيجية هو تدوين المسير والإتجاه وفق العمليات في المؤسسة. أما المقصود بالأجور، فهو العلاقة بين الأفراد وحوافزهم وتحديد اتجاه نشاطات المؤسسة. والمقصود بالموارد البشرية النوعية (الجودة) والإبداع والإلتزام والإستمرارية والتشدد في التعلم. كما أن المقصود بالعمليات والأنشطة الأنظمة التي تشتمل على شبكة الأفراد والأهداف واتجاهات المؤسسة، على أن كل شخص وكل فكرة في هذه المؤسسة لهما المكان الخاص والواضح ضمن هذه الشبكة ذات العناصر الخمسة، والتي تحتاج إلى ثقافة معقدة تنشأ بواسطة الزمن وتراكم العمل، وهي ثقافة تسرّع جميع العناصر والنشاطات. فإذا ما كانت مؤسسة ما مبدعة، فهذا ليس بسبب ارسال مذكرة أو دستور للعمل من قبل رئاسة المؤسسة إلى المرؤوسين، وإنما لأن هيكليتها ونظام الأجور فيها وكيفية معالجتها للمعلومات والمعطيات ومخططها العام تولد الإبداع، وتأخذ المؤسسة بإتجاه الفاعلية اللازمة. وتحدد ثقافة المؤسسة عمل كل فرد وكيفية مكافئته، علماً أن ثقافة المؤسسة تكون في كثير من الأحيان المانع الأساسي للنمو، بحيث يعتاد عليها الموظفون. وفي هكذا ظروف تتحول الثقافة من ورقة إيجابية إلى مانع للتغيير، ويؤدي استمرارها لفترات طويلة جداً إلى فشل المؤسسة. لذا، على المؤسسات أن تراجع الأهداف والبنى والثقافات واستمرار السلوك المحدد والأساليب بشكل دائم بما يتلائم ونوعين من التغيير لا ثالث لهما، هما التكاملي والإنتقالي.

النوع الأول هو حالة تعديل وتحسين دائمة. أما النوع الثاني، فهو يتعامل مع أصل الهيكلية في نظام المؤسسات. ويمكن أن تحدد نوعية العمل وماهية النشاطات العلاقة بين التغيير التكاملي والتغيير الإنتقالي، أو أن تحدد أولوية المؤسسة حيالهما. وفي هذا الإطار يمكن اعتبار أطر القرارات والأنشطة في أية مؤسسة العامل الأساسي لتحديد نسبة التغييرات فيها. فإذا ما كان إتخاذ القرارات ومنظومة المعلومات جامدة في المؤسسة، فلن يبقى مكان لدخول الأفكار الجديدة. إذ إن التغيير بحاجة إلى دليل وقبطان نشيط. ويجب على الإدارة أن تقتنع أولاً بضرورة التغيير. كذلك يجب أن تكون البنية متناسبة مع دورة المعلومات والأفكار التغييرية. وتظهر الدراسات أن أهم وأفضل محرك للتغيير هي المعرفة الدقيقة والعميقة للمحيط التنافسي والمسير الذي يطور المؤسسة.

كما أن معرفة الأفكار ونقدها ودراسة كل جديد يمثل أمراً مهماً لأي إدارة تسعى للتعديل والتغيير. ويساهم وجود أفق ومسير واضح لحركة أية مؤسسة في إجتذاب كل ما هو جديد في مختلف المستويات.

إن الإدارة التي تسعى إلى الإبداع والإبتكار تفتح مجالاً لإظهار القدرات في السطوح المختلفة. بعبارة أخرى لن تبقى الإدارة ضمن المستويات العالية، بل تنزلها لتدخل كل غرفة من غرف المؤسسة. أما الأمر المهم الذي يجب أن تلتفت إليه الإدارة العامة، فهي نوعية التغييرات التي تتناسب مع المحيط الخارجي. إذاً، الفهم الدقيق لهذه التنييرات أمر مهم وحساس جداً. ففي بعض الأحيان ينبغي أن يبقى قسم في المؤسسة على حاله، فيما تتغير بقية الأقسام. على أن تحديد هذه الإستراتيجية من المسؤوليات الملقاة على عاتق الإدارة. الأمر المهم الذي ينبغي ذكره في هذا الإطار هو أن المنافسة التي هي عامل محرك للتغيير تكون من الداخل مثلما تكون من الخارج.

ختاماً، إن إمكانية وقابلية التغيير ليست في الأفراد ولا في الأنظمة الخاصة، بل في فعل التاريخ والأنظمة الكامنة في أي مؤسسة.

سيد حسين موسوى

دراسات

- سياسة إيران الخارجية حيال جيرانها: العلاقات مع سلطنة عُمان، نموذجاً
- العلاقات اللبنانية ـ الإيرانية
- التحديات القانونية بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية
- الخيارات الأميركية في مواجهة البرنامج النووي الإيراني
- الجواهري وإيران: في التاريخ والجغرافيا
- الروائي الإيراني «بُزرگ علوي»: من المقاومة إلى الاغتراب
- الكتب المدرسية في إيران

محمد جواد آسايش زارج*

سياسة إيران الخارجية حيال جيرانها: العلاقات مع سلطنة عُمان نموذجاً

من أجل تقديم صورة شاملة عن سياسة إيران الخارجية، سنتناول خمس نقاط محورية: تأثير المتغيرات الجغرافية في سياسة إيران الخارجية؛ خصوصيات وأصول ومباني التحرك في سياسة إيران الخارجية؛ التحديات التي تواجه السياسة الخارجية: أولويات العلاقات الخارجية؛ أهمية الاقتصاد والتجارة في علاقات إيران الخارجية.

تأثير المتغيرات الجغرافية في سياسة إيران الخارجية

إن المعطيات الجغراسية والجغراستراتيجية والجغراقتصادية هي من جملة المتغيرات الجغرافية المستقلة ذات التأثير البارز في السياسة والعلاقات الخارجية الإيرانية. طبعاً، ثمة قاعدة عامة مفادها أن عامل الجغرافيا يفرض نفسه بشكل ما على الأنظمة السياسية. فالحكومات تنظم إلى حد كبير قواعد تعاملها مع باقي القوى السياسية في النظام العالمي على أساس عامل الجغرافيا والمتغيرات الجغرافية، وخاصة الجيوبوليتيك. إذ لا يزال عامل الجغرافيا عاملاً مؤثراً في صوغ السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، رغم التحولات العميقة في العالم.

إن المكانة الجغرافية لإيران في مجاورتها وسط قارة أوراسيا وكونها اتصال بين مصدرين غنيين بالطاقة، أي الخليج الفارسي وبحر قزوين، تعد مكانة بارزة في حركة التعامل بين القوى الكبرى. لذلك كانت ايران دوماً بلداً عالمياً يؤثر فيه أي تغيير في النظام الدولي ويمس مصيره. فخلال نظام القطبين في القرن العشرين، شكّل الشرق الاوسط عمدة ذلك النظام، وكانت إيران محور التوازن في منطقة الشرق الأوسط. وأظهرت التحولات في العقد الأخير أن إيران تعد

* سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مسقط.

** محاضرة ألقيت في وزارة الخارجية العُمانية بناء على دعوة الوزارة.

ممراً جيوستراتيجياً للمنطقة والعالم بسبب مكانتها الجيوبوليتيكية والجيوستراتيجية، أي أنه لا بديل منها. بعبارة أخرى، لن تكون إيران مهمشة في أي نظام عالمي.

مع انهيار الاتحاد السوفياتي وغياب إحدى القوى الأساسية لنظام القطبين، ظهر إلى الشمال من إيران نظام جديد يضم في داخله أشكالاً من التنافس والتحديات والحروب الداخلية والمناطقية. واقتضت الضرورات الجيوبوليتيكية لإيران في هذا الوضع الجديد أن تكون جزءاً من النظامين التابعين، أي الخليج الفارسي، وآسيا الوسطى والقوقاز، بعبارة أخرى أن تشكل حلقة مهمة جداً بين النظامين المذكورين. إذ إن نظرة فاحصة إلى موقع إيران بين بحر قزوين والخليج الفارسي، وكهمزة وصل بين خمسة عشر بلداً تعد خمسمائة مليون نسمة، تظهر الأهمية الجيو ـ اقتصادية لإيران كنقطة مركزية لمخزون طاقة العالم، وكهمزة وصل بين سوق آسيا الوسطى وسوق الخليج الفارسي، والتي تشكل ثالث سوق عالمية بعد الأطلسي والباسفيك. على أن عضوية إيران في النظامين المذكورين، وخاصة في منظومة الخليج الفارسي، وتشكيلها نقطة التقاء مع المنظومة الدولية يفتحان المجالات والفرص أمامها من ناحية، ويوجدان في الوقت نفسه العوائق أمامها. بعبارة أخرى، إن بروز المكانة الجيوبوليتيكية لإيران يلزمها بنوع من التنسيق المناطقي والعالمي لتتمكن من تحقيق أهداف سياستها الخارجية.

كذلك استطاعت إيران في ظل مكانتها المناطقية والعالمية، وخصوصيتها الجيوبوليتيكية أن تدافع عن سيادتها ووحدة أراضيها، رغم الحصار الأميركي الواسع، ومحاولة بعض القوى الكبرى الأجنبية أن تفرض عليها عزلة سياسية واقتصادية، كما استطاعت أن تكسب ثقة الدول الإسلامية، رغم الحرب النفسية الشديدة، وأن تكون أحد أهم مصدري النفط في منظمة «أوبك»، ولاعباً ثقافياً فاعلاً في العالم، وأن تترأس مجموعة الـ (٧٧)، وأن تكون داعية المجتمع المدني في شرق أوسط متوتر.

أسس التحرك في سياسة إيران الخارجية

بصرف النظر عن طبيعة السياسة في إيران، هناك أربع خصائص دائمة في السياسة الخارجية الإيرانية، لا مناص لأية حكومة في إيران من ملاحظتها في رسمها لسياساتها والعمل بها. وهذه الخصائص الأربع هي:

ـ منطق جبوبوليتيك إيران:

ـ وجود إيران وسط منطقة تحوي ٨٠ في المئة من مخزوني النفط والغاز في العالم؛

ـ حساسية الإيرانيين القوية تجاه سيادتهم الوطنية؛

ـ الهيكلية المعقدة والقائمة على أساس فهم الإيرانيين الذاتي لهويتهم الثقافية.

يتمثل أحد التحديات التي تواجهها سياسة إيران الخارجية في أن كل النهضات الاجتماعية والدينية والتنويرية والمعادية للإستعمار والإستبداد طوال القرنين الماضيين كانت تتمحور حول «فكرة السيادة الوطنية» والميل نحو تحقق فكرة «إدارة بلدنا بأيدينا»، بمعنى أن التوجه الغالب في ثقافة إيران السياسية هي النظرة الداخلية، في حين أن المنطق الجيوبوليتيكي والجيواقتصادي الإيراني يعتمد منطق النظرة الخارجية.

إن الواقعية الأخرى التي ينبغي أن لا تغيب مطلقاً عن فكر صنّاع السياسة الخارجية الإيرانية هي أن كل إيراني يريد أن يكون إيرانياً بوعيه الذاتي، وأن يكون متديناً في الوقت نفسه، وأن يقتبس من إيجابيات الثقافة الغربية. فالإيراني يريد عادة أن يكون خليطاً من هذه النماذج الثلاثة، ولا تستطيع الحكومات أن تفرض على مواطنيها الإيرانيين هوية ثقافية مصطنعة. ولهذا السبب فشلت بالكامل محاولات النظام البهلوي في القضاء على الجانب الديني من شخصية الإيرانيين. على أن أكبر نتاج قطفه المجتمع الإيراني في ظل الثورة الإسلامية هو أن الإيرانيين حالياً هم الذين يتخذون قراراتهم بأنفسهم، وسياستهم محلية المنشأ مئة في المئة. لكن من الطبيعي أن تداعيات العولمة قد تركت آثارها في البرامج القومية لإدارة الدول.

لا بد من التأكيد أن «العقلانية الإسلامية» تشكل الحجر الأساس لحكومة إيران وسياستها الخارجية. فدستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية يتناول في مقدمته (المواد ١٥٢ ـ ١٥٥) أسس السياسة الخارجية الإيرانية، والتي نجدها مستقاة من مجموعتي قيم، الأولى هي «القيم الإسلامية»، والثانية هي «الموازين المدنية المقبولة عالمياً». وعلى هذا الأساس، فإن أجهزة السياسة الخارجية الإيرانية تلتزم أداء الأعمال المستندة إلى «العقلانية الإسلامية» وعبر «الإمكانيات الديموقراطية» و«أطر التعامل الدولي». ويتمثل أفضل مؤشر وتبلور للعقلانية الإسلامية في سياسات رئيس الجمهورية السيد محمد خاتمي، والتي تعتمد نبذ التوتر وبناء الثقة في مسيرة الحوار القائم على أساس الإحترام المتبادل والشامل بين الحضارات، وكذلك رؤية قائد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، السيد علي خامنئي، والتي تقوم على أساس ضرورة تطوير السياسة الخارجية استناداً إلى أسس العزّة والحكمة والمصلحة، وهو ما يؤشر إلى أن صنّاع سياسة إيران الخارجية يسعون من خلال العقلانية لتأمين المصالح القومية. ومن الطبيعي أن المصالح القومية لأي بلد ما لا تبقى ثابتة دوماً، بل تتغير حسب الزمان والمكان متأثرة بالتحولات الدولية. بعبارة أخرى، ثمة أسس ثابتة في سياسة كل الدول، مثل صيانة الإستقلال والسيادة. أما باقي المصالح في مجال السياسة الخارجية، فإنها قد تتغير خلال المراحل المختلفة. فتعريف المصالح القومية لأي بلد خلال تعرض المصالح القومية للبلد للخطر لأسباب داخلية وخارجية مختلفة بشكل أساسي مع ما هي عليه

خلال مرحلة الثبات والاستقرار والأمن على الحدود. وعليه، لا بد من ملاحظة التغيرات في وقتها، وتقديم تعريف جديد للمصالح القومية بما يتناسب والظروف الزمانية والمكانية. على أن تغير المصالح القومية لا يعني تغير الأسس والأهداف العامة للسياسة الخارجية. لذلك تم التأكيد في الخطة الخمسية الثالثة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في إيران أن على الأجهزة المسؤولة عن السياسة الخارجية أن تحافظ على استقرار السياسة الخارجية، ومراعاة الموازين العقلانية «العزة والحكمة والمصلحة» ومتابعة الأهداف الآتية كأولوية في برامجها:

- توسيع التعاون الثنائي مع دول المنطقة والعالم؛
- الاستفادة من العلاقات لرفع مستوى القدرة القومية؛
- السعي لإيجاد التقارب بين الدول الإسلامية أكثر؛
- الإستمرار في نبذ التشنج في العلاقة مع الدول غير المعادية؛
- مواجهة التوسع والعدوان في العلاقات الخارجية.

تشير الأهداف المذكورة إلى أن توجه نبذ التشنج في إطار «العزة والحكمة والمصلحة» يعني أن إيران تسعى في سياستها الخارجية إلى دفع سوء التفاهم المتبقي من الماضي، والعمل على إنهاء أي شكل من أشكال النزاع والتجاذب الدولي: هذه النظرة الأساسية في السياسة الخارجية تعني دعوة العالم إلى السلام القائم على أساس العدالة والمساواة ونبذ القوة في العلاقات الدولية. وهو ما أشار إليه رئيس الجمهورية (السابق) السيد خاتمي: «سياسة نبذ التوتر لا تعني الغفلة والتهاون تجاه التهديدات، بل معرفة حدود العداء، والسعي لتعميق الصداقة والجوانب المشتركة، والتنبّه تجاه المخاطر».

إن الحوار وتبادل الأفكار ضرورة من ضرورات نبذ التوتر. فالحوار قد يشكل أداة قوية في السياسة الخارجية، إضافة إلى الحد من الاختلافات، وفتح المجال أمام الثقة والتعاون في جو خالٍ من التسلط. إننا نعتقد أن «طريق الحوار» هو أفضل طريق لضمان الأهداف المتعارفة للسياسة الخارجية، كحفظ الأمن والسيادة، وحماية النظام السياسي المتكامل، وتأمين الرفاه العام، وحفظ الهوية الثقافية وتدعيمها. على أن أعلى مستوى للحوار في الساحة العالمية هو «حوار الحضارات». ففي كلمة ألقاها الرئيس خاتمي في جامعة فلورانس في إيطاليا حول حوار الحضارات، قال: «إن القول والفكر سعي من طرفين أو أطراف عدة للإقتراب أكثر من الحقيقة والوصول إلى التفاهم... ولقيام حوار حقيقي بين الحضارات ينبغي التعامل مع (الشرق) كشريك في البحث والحوار، بدل اعتباره موضوعاً للمعرفة، وهذه خطوة مهمة يجب أن تخطوها أوروبا وأميركا من أجل تحقيق مشروع الحوار بين الحضارات».

إن نظرية حوار الحضارات تتحدى النظام العالمي القائم على أساس نزاع البقاء الداروني ونظرة الحرص والطمع والخوف لتوماس هابس، وترفض الاعتداء والعنف والتطرف، وتطالب بالتعايش والتفاهم على أساس التعقل والتعامل والحوار واحترام جميع النتاجات الجيدة للحضارات، وتعتبرها مصالح بشرية متبادلة. على أن هذه النظرية تمثل أحد أسس تحرك الجمهورية الإسلامية الإيرانية في السياسة الخارجية، ذلك أن إيران تدعو كل المجتمعات والحضارات إلى نبذ العنف والنزاع، واستبدالهما بالتحمل والتعاون، وقبول التنوّع في الحضارات، واعتماد سياسة المصالحة بدلاً من سياسة التعارض والمواجهة في مجال السياسة الخارجية.

أؤكد في ختام هذا القسم أن أسس تحرك الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ساحة السياسة الخارجية، هي نبذ التوتر، والحوار بين الحضارات، وتعميق الثقة والتعاون والمشاركة. أما الروح الحاكمة لهذا التحرك، فهي «العقلانية الإسلامية الممتزجة بالموازين المدنية المقبولة عالمياً»، وهو امتزاج يراعي العزة والحكمة والمصلحة القومية، ويستلهم من الخصوصيات الدائمة للسياسة الخارجية الإيرانية، أي منطق الجيوبوليتيك، ومنطق الجيواقتصاد، والحساسية المفرطة للإيرانيين تجاه سيادتهم القومية وهويتهم الثقافية.

تحديات السياسة الخارجية الإيرانية

تواجه السياسة الخارجية الإيرانية تحديات عدة، أهمها العولة، والزعامة الأحادية الأميركية، ومنع استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية. فمن المعروف أنّ حركة العولة جعلت السياسة الخارجية، بل وحتى السياسة الداخلية لجميع الدول، تواجه التحديات. ويمكن بحث هذه التحديات تحت ثلاثة عناوين: الليبرالية الاقتصادية، والدمقرطة السياسية، والعولة الثقافية: هذا التحرك برز منذ عام ١٩٧٣ على يد الإتحاد الثلاثي: أميركا وأوروبا واليابان، في النظام الرأسمالي الغربي بشكله الحالي، وامتد بعد انتهاء الحرب الباردة ليشمل العالم كله. فالعولة هي منطق المؤسسات الاقتصادية والشركات المتعددة الجنسيات التي يصل عددها اليوم إلى أربعين ألفاً في كل أنحاء العالم. والهدف الأساس للعولة في المجال الاقتصادي هو ازالة الحواجز أمام التبادلات والبيع والشراء بين الأفراد والمؤسسات الخارجية، وتوحيد كلفة التجارة مع هذه المؤسسات لتساوي الكلفة التجارية نفسها بين الشركات الداخلية للدول.

أما في مجال السياسة الدولية، فإنّ كلاً من الأسس التي ذكرت آنفاً للسيادة الوطنية في الحقوق الدولية، مثل أساس المساواة بين الدول الكبرى والصغرى حقوقياً، وأساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخرين، وأساس حق الحكم الوطني فقط بيد القوة الشرعية الداخلية لكل بلد، فقد واجه تحديات خاصة به. وللأسف، فإنّ شرعية كل القواعد والتحركات

الدولية تُبرر على أساس النصر والغلبة العسكرية، أي حسب التعبير المعروف «الحق لمن غلب». وعموماً، ورغم أن العولمة لا تؤدي إلى إنهيار السيادة، فإنها تشكل عاملاً لاهتراء السيادة وتضييقاً للسيادة الوطنية. ففي المجال الثقافي، نشهد تدريجاً تعويماً لكثير من المفاهيم الثقافية على المستوى العالمي، وإضعافاً للشخصية الوطنية للدول واستبدالها بإيجاد شخصيات مجازية انيترنيثية، أي فرض نماذج وأساليب سلوكية متشابهة، مما يشكل تهديداً للدول المستقلة، ذلك أن التشبيه أو التوحيد الثقافي وإيجاد التوقعات الموحدة لدى جميع سكان العالم، بسبب الإنتشار السريع للمعلومات، يسبب المشاكل للدول النامية. ولكن حركة العولمة، رغم ما تحمله من آفات، توفر بعض الفرص لهذه الدول أيضاً. وهي فرص تتفاوت نوعاً وكماً من دولة لأخرى. لذا، فإننا نرى أن مواجهة هذه الحركة بتعصب يشكل خدعة وهروباً من الواقع. وإذا أردنا أن نبقى مصونين من آفات العولمة، لا بد لنا من إصلاح الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي. على أن أكثر الأساليب عقلانية لمواجهة هذه الحركة وهذا المد هو تعزيز القدرات الوطنية تحت عنوان «الفعل الذكي القادر» للتعامل مع العالم الخارجي. أما الدعامات الداخلية لهذا الفعل، فهي التوجه نحو تطبيق العدالة الاجتماعية والإصرار عليها، واجتثاث التمييز، والمواجهة الحاسمة مع الفساد السياسي والمالي والإداري، ورفع مستوى الإحساس بالهدوء والأمن، وتعزيز الناتج العام، وتحقيق الوحدة الداخلية وانسجام النخب الفكرية حول محور تعريفي واحد للمصالح الوطنية.

يمثل السلوك الأميركي الأحادي الجانب الذي بدأ عموماً منذ عام ١٩٩١ واشتد بعد حادثة ١١ أيلول / سبتمبر، تحدياً ومشكلة تواجهها السياسات الخارجية لجميع دول العالم تقريباً. في الواقع، ثمة توجه في مجلس الشيوخ الأميركي بدأ منذ ثلاثة عقود بقيادة JESSE HELMS يرفض الالتزام بالموازين والمواثيق الدولية. وكان لهذه الأقلية دور مؤثر في قرارات الولايات المتحدة واليمين الأكثر تطرفاً في المحافل السياسية؛ هذه الأقلية باتت تتمتع بنفوذ كبير في زمن جورج دبليو بوش، وأصبحت نظرتها للتحولات العالمية، نظرة أحادية الجانب ومن موقع القوة ومن زاوية الفئات الاقتصادية الأميركية القوية التي تتشكل في جزء كبير منها من الكارتلات الصناعية ـ العسكرية. ويصرح هؤلاء علناً أنهم لن يحترموا القرارات الدولية سوى ما كان منها ضمن إطار المصالح الأميركية.

في هذا الإطار، لم تلتزم الولايات المتحدة عقد (A.B.M) ومعاهدة منع التجارب النووية (لأن مجلس الشيوخ لم يوافق على ذلك)، ثم خرجت على معاهدة كيوتو و (غازات الغرف الزجاجية) ولم توافق على صلاحية المحكمة الجنائية الدولية بمحاكمة الرعايا الأميركيين. ويقول جورج بوش في هذا السياق: «أنا ارفض المحكمة الجنائية الدولية بشدة، أنا لا اقبل هكذا أمر. أنا لا اقبل بأي أمر يسمح بمحاكمة جنودنا وديبلوماسيينا... أنا أطالب باقرار قرار

صون وحماية الرعايا الأميركيين المسماة المادة ٩٨ (طلب يقضي باستثناء الرعايا الأميركيين من المحاكمة من جانب المحكمة الجنائية الدولية)».

تريد الولايات المتحدة أن تغير الأنظمة والقوانين التي بقيت صامدة على مدى أربعة قرون. كما تريد، في ما يتعلق بالعراق، أن تؤسس لمسألة أحادية الجانب، وهذا خطر كبير ليس على المنطقة فحسب، وبل على العالم كله. وإذا ما ترسخت فكرة أحادية الجانب، سيمكننا القول بأن السيادات القومية التي كانت وما زالت حتى الآن متواجدة ولو بشكل عائم، ستتعرض لخطر وتحد حقيقيين.

يضع هنري كيسنجر في كتابه **باتجاه ديبلوماسية القرن الواحد والعشرين** المنشور في ٢٠٠١، ثلاث ملاحظات إستراتيجية لسياسيي المستقبل يمكن الاستفادة منها كمحك لدراسة سياسة الولايات المتحدة في الخليج الفارسي في وقتنا الحاضر:

- يرتبط نجاح أي نظرية في السياسة الخارجية بشكل ارتباطها بالأسس التاريخية التي ستطبق عليها؛

- إن لم تستطع سياسة معينة أن تطبق على الصعيد العالمي أو على صعيد المنطقة أو أنها غير قابلة للتطبيق في أكثرية الأوضاع المتوقعة، عندها تصبح سياسة مستبدة في نظر العالم كله؛

- لو كان المجتمع الدولي غير موافق على سياسة معينة لناحية الأهداف والغايات، فإن على طارح (واضع) هذه السياسة حينها إما أن يفرض رأيه وإما أن ينسحب.

إن هكذا سياسة تصبح منبوذة سريعاً بسبب الموانع الداخلية المتزايدة، أو أنها تفقد الدعم الداخلي. وفي كل الأحوال، فإن مواجهة الهيمنة الأحادية الجانب في السياسة الخارجية للولايات المتحدة تعتبر أحد بنود جداول أعمال السياسات الخارجية للدول المستقلة، ومنها الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

إن التحدي الآخر الذي تواجهه السياسة الخارجية لكثير من الدول، ومنها إيران، هو استخدام القوة من جانب القوى العظمى، وخاصة الولايات المتحدة، من اجل الضغط على الدول الأخرى. على أن المثال الأبرز هي الضغوط والموانع ضد الاستخدام السلمي للطاقة النووية من قبل الجمهورية الإسلامية، وذلك خلافاً لما ورد في المادة الرابعة من معاهدة (NPT) التي أكدت على أمور ثلاثة، هي:

- يمنع على الدول التي تمتلك التقنية النووية نقلها إلى أية دولة أخرى، ويجب عليها الحفاظ عليها لنفسها (مذكورة في المادة الأولى من المعاهدة)؛

- لا يحق للدول التي لا تمتلك هذه التكنولوجيا أن تسعى لامتلاكها (مذكورة في المادة الثانية):

- الدول التي لا تمتلك الأسلحة النووية يجب أن تحصل على التكنولوجيا للأغراض السلمية الخاصة بها. وعلى الدول المالكة لهذه التكنولوجيا أن تساعد الدول النامية (المادة الرابعة).

إن هذا التعهد لا يُعمل به للأسف. والنص الحرفي لما ورد في المادة الرابعة هو: «لا يفسر أي من مقررات هذه المعاهدة على نحو يمنع أياً من الدول الموقعة على المعاهدة من ممارسة حقها غير القابل للتفاوض في توسيع وتطوير الأبحاث والإنتاج والاستفادة من الطاقة النووية للأغراض السلمية، وذلك كما ورد في البندين الأول والثاني».

يظهر التدقيق في ما ورد في المعاهدة وقياسها بالواقع مدى التناقض الواسع بين منصوص المادة الرابعة وضياع حق الدول النامية، وخاصة الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ولذلك تسعى إيران كعضو موقع للمعاهدة، إلى امتلاك المستوى العلمي المطلوب لاستخدامه في المجال السلمي من الطاقة النووية، وعليها أن تدافع عن حقها الطبيعي والدولي.

أولويات العلاقات الخارجية الإيرانية

إن الأولوية في العلاقات الخارجية الإيرانية يمكن ادراجها في ثلاث حلقات جغرافية متصلة. وتتعلق الأولى بدول الجوار، وتشمل الثانية الهند والصين واليابان من جهة، وأوروبا بأكملها من جهة ثانية، وتشمل الثالثة الولايات المتحدة الأميركية.

يحظى جيراننا بالمرتبة الأولى من الأهمية لأنهم في المساحة الأمنية غير المنفصلة عنا. وقد وقعنا اتفاقيات شراكة مع كثير من دول الجوار، فضلاً عن التعاون في المجالات المختلفة، ونسعى مع الآخرين إلى توطيد الثقة من خلال سياسة نبذ التوتر. أما في ما يتعلق بالعلاقة مع الدول الصناعية، فيجب الالتفات إلى أن ٨٥ في المئة من التجارة الخارجية الإيرانية تقوم مع ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان. على أن هذا الواقع الاقتصادي يؤثر في جوانب أخرى من السياسة الخارجية الإيرانية. ويمكن القول أن هناك علاقات اقتصادية واسعة مع الهند والصين. وعليه، فإن هذه الدول هي في المرتبة الثانية من أولويات العلاقات الخارجية. أما النقطة المهمة في العلاقات الإيرانية ـ الأوروبية، فهي أن الأوروبيين ليسوا بصدد اتباع سياسات تسلطية حيال إيران.

تُدرج دول منطقة الشرق الأوسط ضمن المرتبة الثانية في العلاقات الخارجية، وذلك نظراً إلى أهمية مسألة فلسطين والقدس الشريف في سياستنا الخارجية. حتى أننا اقترحنا حلاً صريحاً للسلام العادل والشامل طرحه رئيس الجمهورية السيد محمد خاتمي عام ٢٠٠١ في منظمة المؤتمر الإسلامي في الدوحة.

أما بالنسبة لرؤيتنا لأميركا، فيجب القول أنها تحتل أهمية كبيرة في سياستنا الخارجية، نظراً إلى تأثير هذه الدولة الكبيرة في سياسات المنطقة وواقع حضورها في الشرق الأوسط. على أن مشكلة علاقتنا بالولايات المتحدة هي أن سياستها الخارجية كانت منذ انتصار الثورة الإسلامية وتأسيس الجمهورية الإسلامية تعمل ضد إيران. إذ إن السياسيين الأميركيين يعارضون النهج الفكري المستقل في إيران، وبالتالي لا يوجد مبرر منطقي لفتح باب الحوار معها قبل أن تكف واشنطن عن سياستها العدوانية تجاهنا. طبعاً، لقد وصل بعض أصحاب الرأي الأميركيين إلى أن السياسة هي أسلوب الحل الصحيح للمسائل التي لا تروق للإنسان. وهم اقتنعوا أنهم لن يتوصلوا إلى أية نتيجة من دون الحوار المبني على الاحترام المتبادل مع إيران.

أهمية الاقتصاد والتجارة في العلاقات الخارجية الإيرانية

يمثل الرفاه الاجتماعي أحد الأسس التي تحدد أهداف السياسة الخارجية لأية دولة. كما أن تلبية توقعات ومطالب المواطنين في رفع المستوى المعيشي تندرج في النموذج الثابت نسبياً لسلسلة مراتب المصالح القومية في أي بلد، وهي من أركان تدوين هرم المصالح القومية. ولهذا السبب دخلت الجمهورية الإسلامية في السنوات الأخيرة مرحلة جديدة من وضع السياسات والخطط الاقتصادية وتوسيع المستوى التأسيسي والإنتاجي والتجاري. وتم في السنوات الأخيرة وضع خطط توسع اقتصادية خَمسية. وقد وصلنا الآن إلى المراحل الأخيرة من تنفيذ الخطة الخَمسية الثالثة. على أن الهدف من هذه الخطط والبرامج هو تصحيح البنى المالية والنقدية، وتسهيل القرارات وتحويل أسهم المصانع إلى الناس، وتسهيل قوانين الاستثمار الأجنبي واجتذاب هكذا استثمارات، وزيادة مستوى الإنتاج، وفي نهاية المطاف رفع مؤشرات الاقتصاد القومي.

نحن نعتقد جدياً أنه كلما تقلصت المنافسة في مجال الاقتصاد، تقلصت ابتكارات الإدارات وولادة الأفكار. وعليه نسعى لتغيير الإدارة و القرارات باتجاه الإنتاج والاستثمار. وفي هذا السياق تركز خطة التوسيع الاقتصادي الثالثة كثيراً على زيادة الاستثمار في المجالات التأسيسية والإنتاجية بهدف توسيع الصادرات غير النفطية وخفض مستوى التبعية للمداخيل النفطية، ما أدى عملياً إلى زيادة الإهتمام والرعاية بالقطاع الخاص.

الخطوة الأخرى التي تمت متابعتها بشكل جدي في العلاقات الإيرانية الاقتصادية الخارجية، هي إضافة البعد المنطقي لميزان التجارة بين إيران والدول الأخرى. وقد أُنيطت هذه المسؤولية الخطيرة بالمعاون الاقتصادي لوزير الخارجية الإيراني.

لم تتمكن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، في ظل السياسات الاقتصادية الجديدة في

السنوات الأخيرة، أن تصل إلى اكتفاء ذاتي في كثير من القطاعات الاقتصادية فحسب، بل إنها استطاعت الدخول إلى أسواق المنطقة والعالم عبر زيادة إنتاجها، خاصة من المنتجات البتروكيماوية والفولاذ والكهرباء والألمنيوم والأسمنت والمواد المعدنية، وكذلك المنتجات الاستهلاكية. كما استطاعت إيران أن تخطو خطوات كبيرة في مجال نقل وتصدير التكنولوجيا والخدمات التقنية، خاصة في مجال التخطيط والاستشارات لبناء المصافي والمفاعلات والمصانع. وهي قد قامت بالفعل بتنفيذ مشاريع مختلفة في دول عدة. وفي الوقت الحالي تستفيد كثير من الدول في المنطقة وخارجها من هذه الإمكانات والتجارب. وعلى سبيل المثال، إن نظرة فاحصة إلى العلاقات الاقتصادية بين إيران وسلطنة عمان تساعد في توسيع وتثبيت وتأسيس العلاقات الاقتصادية بين البلدين.

سياسة إيران حيال دول منطقة الخليج

كما أشرت سابقاً، فإن الأولوية في العلاقات الخارجية الإيرانية هي مع دول الجوار، ذلك أن الجمهورية الإسلامية تتمتع بعلاقات جيدة مع تركيا والعراق وباكستان وأفغانستان وروسيا والدول المستقلة ذات المصالح المشتركة. ولا يوجد في أجواء هذه العلاقات ما يدل على التهديد أو الخصومة. وفي ظل سياسة نبذ التوتر و تدعيم الثقة التي تتبعها إيران، زال كثير من سوء الفهم الذي غذته قوى من خارج المنطقة من أذهان دول جوار إيران، خاصة في الضفة الجنوبية للخليج الفارسي. ولقد تطورت علاقتنا في السنوات الأخيرة إلى مستويات مهمة وملحوظة. إذ تعدى تعاون إيران مع دول الخليج الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية ليصل إلى حد التعاون الأمني. كما أن تشكيل «لجنة الصداقة الإيرانية ـ العربية»، واقتراح قبول إيران كعضو مراقب في الجامعة العربية يظهران حقيقة مفادها أن علاقات إيران مع دول الجوار في الجنوب يمكن أن تتخطى مستوى «التعاون» وترتقي إلى مستوى «الشراكة».

نظراً إلى أن محور بحثنا هذا سيكون حول سياسة إيران بالنسبة لجيرانها في منطقة الخليج، فسوف أشرح الموضوع في ثلاثة محاور.

الأهمية العالمية للخليج الفارسي

تمتلك منطقة الخليج أهمية عالمية من جوانب عدة. وقد أشار المنظرون والمفكرون الإستراتيجيون منذ القرن التاسع عشر إلى هذه المنطقة بشكل مكرر ومستمر. ففي نظرية هالفورد ماكيندر (١٨٦١ـ١٩٤٧) والتي نشرها ضمن مقال تحت عنوان «محور جغرافيا التاريخ» في عام ١٩٠٤، كان الخليج الفارسي جزءاً من منطقة هلالية الشكل تسمى قلب

الأرض، وتضم أوروبا الشرقية و آسيا المركزية (في زمن إمبراطورية روسيا القيصرية). أما اسبايكمن، فقد اعتبر أن الخليج الفارسي هو إطار الأرض، وأن السيطرة عليه تعادل حكومة العالم بأسرها. لكن في النظريات الجيوبوليتيكية الجديدة، فقد أطلق على هذه المنطقة قلب الأرض أو المحور، أو كما يسميها لوهازن «مركز المركز». ويقول يورديس فون في كتابه **الإمبراطوريات وقوة الجيوبوليتيك** المنشور عام ١٩٩٦: «الشرق الأوسط هو مركز العالم القديم. وفي قلب الشرق الأوسط يقع الخليج الفارسي في أرضه الأثرية القديمة التي تقع في مصب نهري الدجلة والفرات، وتعتبر مركز المركز. وإن كل توتر يحدث هناك ستكون له نتائجه على القارتين الأوروبية والأفريقية».

كانت منطقة الخليج في زمن الحرب الباردة واحدة من ثلاث جبهات استراتيجية إلى جانب أوروبا وجنوب شرق آسيا يتنافس عليها قطبا الصراع آنذاك. وكان الثبات الجيوبوليتيكي في هذه المنطقة أساساً للتوازن الجيوبوليتيكي بين هاتين القوتين. أما في النظام العالمي الجديد وفي توازن قوى المستقبل، فستكون الغلبة للقوة التي تسيطر على المناطق الجيو ـ اقتصادية. ويؤيد ادوارد لاتواك وجان جاك شرايبر، الباحثان في المجال الجيو ـ اقتصادي هذا الرأي، ويعتقدان بأن السيطرة على منطقة الخليج هي مقدمة للسيطرة على العالم. ولذلك، فإن أحد أهداف الولايات المتحدة في طرح هذا النظام الجديد هو السيطرة على مصادر الطاقة، وبصورة خاصة في منطقة الخليج.

صحيح أن منطقة الخليج تتمتع بأهمية لأسباب عدة. إلا أن الجانب الأبرز هو أن ٦٦ في المئة من احتياطات النفط الخام، و٣٣ في المئة من احتياطات الغاز موجودة في هذه المنطقة. فمن أصل ١٠٠٣ مليار برميل نفط هي كل الاحتياطات النفطية المثبتة في العالم يوجد ٦٦٣مليار برميل، أي ما يعادل ٦٦ في المئة منها في منطقة الخليج الفارسي. أما باقي الاحتياطات المثبتة، فيوجد ١٥٨ مليار برميل (١٥,٧ في المئة) في الأميركيتين الشمالية والجنوبية، و٦٢ مليار برميل (٦,٢ في المئة) في أفريقيا، و٧٦ مليار برميل (٧,٦ في المئة) في أوروبا، و٤٣ مليار برميل (٤,٣ في المئة) في الشرق الأقصى والقارة الاقيانوسية.

على أن الأمر المهم في خصوص نفط الخليج الفارسي هو أنه يتمتع بمزايا مهمة، مثل الجودة العالية، ووجود احتياطات كبيرة في كل بئر، وإمكانية كشف احتياطات جديدة، وتدني كلفة الإنتاج، وتدني مستوى كلفة الشحن والنقل. ويبلغ حجم الاحتياطات النفطية في كل بئر من آبار الخليج نحو ٢٥٠ مليون طن. أما في فنزولا فنحو عشرين ألف طن، وفي الولايات المتحدة فنحو ستمائة طن فقط.

بحسب توقعات الوكالة الدولية للطاقة في وثيقة «الرؤية المستقبلية العامة للطاقة العالمية

٢٠٢٠»، فإن إنتاج النفط سيرتفع من ٦٢,٧ مليون برميل يومياً عام ١٩٩٦ إلى ٧٨,٩ مليون برميل يومياً عام ٢٠١٠، وسينخفض مرة أخرى إلى ٧٢,٢ مليون برميل يومياً عام ٢٠٢٠. وسينخفض الإنتاج النفطي من خارج منطقة الخليج من ٤٥,٥ مليون برميل يومياً عام ١٩٩٧ إلى ٢٧ مليون برميل عام ٢٠٢٠. كما سيزداد إنتاج نفط الخليج بنسبة ١٦٢,٧ في المئة (من ١٧,٢ إلى ٤٥,٢ مليون برميل يومياً) وهذا يعني ارتباط أميركا وأوروبا أكثر فأكثر بنفط الخليج. أما حالياً، فقد وصلت الواردات النفطية إلى أميركا عام ٢٠٠٠ إلى ٥٧ في المئة، وأوروبا عام ٢٠٠٥ إلى ٨٨ في المئة، وفي اليابان إلى ١٠٠ في المئة. وحسب الدراسات التي أجريت في هذا الخصوص، فإن ٦٠ في المئة من مجمل إنتاج النفط عام ٢٠٢٠ سيكون من منطقة الخليج الفارسي. وفي منتصف القرن الواحد والعشرين، سينحصر تصدير النفط بأكبر خمس دول نفطية، إيران والإمارات والسعودية والكويت والعراق. ولهذا يتبين السبب الذي دعا كيسنجر إلى طرح خطط احتلال آبار النفط في الخليج عام ١٩٧٥. ولذلك استفادت أميركا من حرب الخليج عام ١٩٩١ كفرصة ذهبية للسيطرة على منطقة الخليج. ففي ذلك العام اختارت الولايات المتحدة وللمرة الأولى الخليج الفارسي والبحر الأحمر مركزاً لأسطولها الخامس. وتقول السيدة ابنهام: «إن أحد أهداف أميركا (في زمن نيكسون) من ارتفاع سعر النفط عام ١٩٧١ هو خفض قدرات ألمانيا واليابان على المنافسة، وذلك بسبب ارتباطهم الشديد بالواردات النفطية».

يكتب نعوم تشومسكي حول أهداف أميركا المرتبطة بالنفط في منطقة الخليج: «نظراً إلى الارتباط الشديد لحلفاء أميركا بالنفط الخليجي وسيطرة الولايات المتحدة على هذه المنطقة، فإنها تستطيع في علاقاتها مع هذه الدول أن تلجأ إلى حق النقض في ما يتعلق بالتحولات العسكرية والصناعية في اليابان وألمانيا». أما دانيال فيرى «الاقتصاد هو استمرار للحرب لكن بأداة أخرى». ويقول بورديس فون لوهازن أيضاً: «ان أميركا بالسيطرة على نفط الخليج تستطيع أن تتحكم بمصير الرفاه والعمران في أوروبا الغربية واليابان».

سياسات إيران الإقليمية في الخليج الفارسي

نظراً إلى الدور الحيوي للنفط والغاز المصدرين من منطقة الخليج الفارسي في الاقتصاد العالمي، وكذلك دور الإيرادات النفطية في الحياة الاقتصادية في إيران، يصبح أمن الخليج الفارسي وثبات سوق النفط العالمية من أبرز أولويات السياسية الخارجية الإيرانية. ويمكن اختصار مصالحنا في الخليج الفارسي بالنقاط الثلاث الآتية:

- الاستفادة من المصادر الطبيعية، أي النفط والغاز، والمصادر البحرية؛
- ضمان أمن الممرات المائية؛
- العيش بسلام وهدوء مع الجيران.

ولّد الموقع الجغرافي الاستراتيجي (الجيوستراتيجي) لإيران ترابطاً واسعاً بين أمنها وأمن الخليج الفارسي. ومن الواضح والجلي أن دراسة الوضع الأمني من البعد العسكري فقط لا ينسجم مع الأبعاد المختلفة للأمن المطروح في عالم اليوم. وعلى هذا الأساس تصبح إيران وباقي دول المنطقة محكومة بتوسيع دائرة التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وكذلك ربط المصالح المشتركة بعضها ببعض من أجل خلق أجواء مناسبة للتوصل إلى أمن مستقر في المنطقة. ونحن نعتقد أن الطريق السليم والمفيد هو أن يُدرج الأمن الجماعي لجميع الدول في إطار القرارات والقوانين الدولية، وأن يتم والابتعاد عن السياسات الاحتكارية والتسلطية. إذ عندما يتم اعتماد النظام الأمني القائم على «التعاون الجماعي» على صعيد المنطقة، سوف تتحرر المصادر الداخلية للبلاد، ويبدأ مسير التطور القومي بالعمل، فضلاً عن أن إقامة جهاز أمني جماعي وتعاون إقليمي تسهل جذب الاستثمار الأجنبي والتكنولوجيا الأجنبية.

من أجل معرفة الآثار الهدامة لسباق التسلح في المنطقة، يكفي أن نعرف أن السعودية عقدت صفقات عسكرية مع دول أجنبية بقيمة ١٥٢,٥٥٢ مليار دولار لشراء الأسلحة. كما اشترت الكويت بقيمة ٦٠ مليار دولار، والإمارات نحو ٢٠,٢٧٥ مليار دولار؛ كل ذلك بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٢. كما أن التدقيق في نزاعات المنطقة خلال العقدين الماضيين يظهر كيف أن القوى الأجنبية استفادت من الخلافات القابلة لغض النظر في الخليج الفارسي، وكيف أنها (القوى الخارجية) افتعلت الدوافع غير المنطقية عبر تحريك السياسات الداخلية، وكيف أنها دفعت نخب المنطقة إلى القبول بالسياسات المبالغ فيها. وبما أن القوى الخارجية تتسبب عادة بالمشاكل الاجتماعية والفتن الداخلية في المجتمعات تحت غطاء المساعدات الإنسانية والدفاع عن الحرية والديموقراطية عموماً، فإن التحريض الآتي من خارج المنطقة يتسبب في عدم الاستقرار، ما يولد الديكتاتورية العسكرية التي تكرس أسباب عدم الاستقرار أكثر فأكثر، وهذا يشكل بحد ذاته حجة لتدخل القوى العظمى. لذلك تعتقد إيران أن على القوى الأجنبية ترك المنطقة. طبعاً، يتطلب هذا الأمر التوصل إلى اقامة جهاز أمن جماعي يجب على دول المنطقة استحداثه من طريق الحوار وبناء أواصر الثقة والتعاون في المجال الأمني والعسكري تدريجاً. ولدى دراستنا موضوع الترتيبات الأمنية في منطقة الخليج الفارسي منذ عقد السبعينات، فإننا نستطيع الإشارة إلى مرحلتين جليتين، تمتد أولاهما بين عامي ١٩٧١ و١٩٨١، أي من العام الذي خرجت فيه القوات البريطانية بشكل رسمي من منطقة الخليج ولغاية تشكيل مجلس التعاون الخليجي الذي لم يتضمن أي اتفاق في المجال الأمني.

كانت أميركا في المرحلة الأولى (١٩٧١ - ١٩٨١) تشجع دول المنطقة على عقد اتفاقيات أمنية. وسعت السعودية بهذا الاتجاه عبر مؤتمرين لوزراء الخارجية في دول الخليج (عدا

العراق واليمن الجنوبية) في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٦. إلا أنها لم تستمر. أما سلطنة عمان، فقد دعت الدول الخليجية، بما في ذلك العراق وإيران، إلى عقد مؤتمر على مستوى وزراء الخارجية عام ١٩٧٥، وقدمت الاقتراحات الآتية:

- احترام سيادة الدول وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة؛
- تجنب استخدام القوة والتهديد، وحل الخلافات عبر الطرق السلمية؛
- تنظيم حركة مرور السفن والسماح للإبحار في الخليج الفارسي؛
- ابتعاد المنطقة عن الصراعات الدولية.

وافقت جميع الدول على المشاركة في هذا المؤتمر باستثناء العراق الذي كان يعتقد آنذاك أن البنود المقترحة تعارض سياساته، وبالتالي أعلن فشل المؤتمر. وحدث الأمر ذاته في العام التالي وللسبب نفسه.

أما المرحلة الثانية، فقد بدأت عام ١٩٨١ مع تشكيل مجلس التعاون الخليجي الذي أدرج موضوع الأمن في مقدم الأهداف والإجراءات. وعليه، أعلن البنود الآتية كقوانين أساسية من أجل تحقق الأمن في منطقة الخليج:

- عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول؛
- اعتماد الحل السلمي لحل الخلافات وقبول أصول التعايش السلمي؛
- الأمن الجماعي للدول الأعضاء؛
- إبعاد المنطقة من النفوذ الأجنبي على أساس اعتماد سياسة عدم الانحياز.

لقد كانت الجمهورية الإسلامية ولا تزال تعتقد أن أمنها متلازم مع أمن الخليج ولا يمكن الفصل بينهما، وعليه اعتمدت السياسات الآتية في سلوكها الإقليمي:

- ضمان انتقال النفط من منطقة الخليج إلى الأسواق العالمية بشكل مستمر؛
- الاهتمام بالاستقلال السياسي في دول الخليج من دون النظر إلى ماهية الجهاز الحاكم فيها؛
- رفض أي تسلط أجنبي على دول المنطقة؛
- رفض أي سعي وجهد من أية دولة في المنطقة من اجل التسلط على دولة الأخرى؛
- خفض وإزالة التوتر وتكريس جو من الثقة بين دول المنطقة من طريق الحوار بصورة خاصة؛

- حل جميع الخلافات الحدودية بين دول المنطقة (البحرية والبرية) عبر الطرق السلمية؛

- السماح بالإبحار غير المضر للأجانب بشكل مستمر في مياه الخليج الفارسي.

لقد نادت الجمهورية الإسلامية دائماً بالأمن الجماعي من طريق الحوار والتفاهم ونبذ سوء الظن، وبناء الثقة والتنسيق والتحرك التدريجي باتجاه إقامة ائتلافات وعقد اتفاقيات استراتيجية. وتسعى السياسة الإيرانية وراء أهدافها لأسباب براغماتية. ويجب علينا أن نمد الأيدي بكل صبر وفي أي مجال ممكن حتى يزداد التعاون ويصل تدريجاً إلى المجالات الأمنية والاقتصادية والثقافية، وأخيراً إلى كل المجالات. كما أننا نعتقد أن توقيع اتفاقيات عدم التعدي على جميع دول المنطقة يساعد على زيادة الحس الأمني في المنطقة. ونأمل أن تشارك جميع دول منطقة الخليج الفارسي في تأسيس جهاز أمن جماعي، وأن نستفيد من التجارب الأخرى في باقي مناطق العالم وصولاً إلى تبديل معادلة «النفط والأزمات» إلى معادلة «النفط والتوسع» في منطقة الخليج.

العلاقات الإيرانية مع أعضاء مجلس التعاون الخليجي

كانت العلاقات والتبادلات الإيرانية مع دول الخليج قبل انتصار الثورة الإسلامية مبنية على أساس ما يناسب نظام القطبين في العالم. ففي ذلك الحين كانت السيطرة الأميركية على المنطقة مبنية على القدرة العسكرية الإيرانية والقدرة الاقتصادية السعودية. أما بعد استقرار النظام الإسلامي في إيران، فقد قررت الولايات المتحدة أن تضرب القدرات العسكرية والأسس الاقتصادية الإيرانية والعراقية عبر حرب ضروس استمرت ثماني سنوات. وبعد هذه الحرب قامت سياسة الجمهورية الإسلامية تجاه جيرانها على أساس العفو لا الانتقام، وهذا في وقت كان العراق قد بدأ حربه الظالمة على إيران واستمر بها بمساندة ومساعدة بعض الدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي. ويثبت رد الفعل الإيراني تجاه حربين مؤسفتين في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، أن بلدنا ليست لديه أية مطامع في أراضي البلدان المجاورة. طبعاً، نحن عاتبون على جيراننا في الجنوب بسبب مساعداتهم السخية للنظام البعثي في حربه على إيران. إلا أنه، وكما قلت، تقوم سياستنا على سعة الصدر والعفو عما جرى.

إن الجمهورية الإسلامية، بامتلاكها ١٢٥٩ كيلومتراً على الساحل الخليجي، أي أكثر من ٤٥ في المئة من هذا الممر المائي الدولي، ومع وجود نصف عدد سكان منطقة الخليج البالغ عددهم ١٣٠ مليون في أراضيها، تعتقد أن عليها مسؤوليات جساماً تجاه حفظ الأمن في المنطقة. كما أنها، وخلال الثلاثة عقود المنصرمة، اتخذت قرارات للتعامل مع الدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي اقتبستها من تعاليم الإسلام والسياسات الأصولية البعيدة المدى التي تتبعها. وهذه القرارات هي:

- اعتماد سياسة نبذ التوتر كسياسة ثابتة وليست تكتيكاً موقتاً؛

- القيام بإجراءات تعزز الثقة؛

- إجراء حوارات منتظمة ومستمرة في مجالات التعاون المختلفة؛

- توقيع اتفاقيات أمنية ثنائية مع أكثرية هذه الدول؛

- القيام بمكافحة مشتركة لتهريب المخدرات والإرهاب والجرائم المنظمة؛

- اقتراح ترتيبات التعاون الاقتصادي؛

- اقتراح توقيع معاهدة عدم التعدي؛

- اقتراح ترتيبات أمنية جماعية بين الدول الساحلية.

لحسن الحظ دخل كثير من السياسات والبرامج المقترحة من قبل الجمهورية الإسلامية حيز التنفيذ. أما السياسات الخارجية، فإننا، ولحسن الحظ، دخلنا عصراً جديداً من علاقات إيران مع العالم العربي، وخاصة دول الخليج. نحن في بداية الطريق ويجب علينا أن نمضي بصبر كي نتوصل إلى تفاهم على المدى البعيد. وفي مجال التعاون الاقتصادي أيضاً، فقد شهدت السنوات الأخيرة نمواً ملحوظاً في التبادلات التجارية بين إيران والدول الخليجية الأخرى. وعلى سبيل المثال، وبحسب الإحصاءات الرسمية في سلطنة عمان، ارتفع حجم التجارة بين البلدين من ٢٥٠ إلى ٣٠٠ في المئة قياساً بأواخر عقد التسعينات. كما أن توقيع اتفاقية ملاحة مع البحرين وموافقة إيران على تصدير المياه إلى الكويت هي من جملة الإجراءات ونتائج توسيع العلاقات في المجال الاقتصادي.

أما في ما يتعلق بمجلس التعاون الخليجي، فقد اقترحت الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن يتم تأسيس التعاون الاقتصادي مع المجلس. على أن هذه الخطوة تؤدي إلى ثبات وتعزيز الأمن في المنطقة بأسرها. ويمكن أن يدرج هذا التعاون في إطار «اتفاقية تعاون اقتصادية جامعة» تشمل مناطق تجارة حرة وتجارة البضائع والخدمات والاستثمارات المشتركة والسياحة وكل أوجه التبادل الاقتصادي.

موقع عمان في السياسة الخارجية الإيرانية

تفيد الدراسات الأثرية أن شعبي إيران وعُمان كانا يتعاونان وينسقان بعضهما مع بعض منذ أمد بعيد. وقد كانت المسافة الجغرافية القصيرة بين البلدين عاملاً مهماً في استمرار العلاقات في ما بينهما. وفي ظل هذا التعامل والتعايش الطويلين، نشأ نوع من الصداقة التاريخية التي أثرت في شكل العلاقة بين الشعبين، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها. ومن

الضروري دراسة ثلاثة محاور في مكانة عمان في السياسة الخارجية الإيرانية. بداية سوف أتكلم عن العوامل الثابتة المؤثرة في العلاقة، ثم أعود إلى سوابق هذه العلاقة، وفي الختام سأقوم بدراسة وتقويم الوضع الحالي ومستقبل العلاقات بين البلدين.

من خلال دراسة المسير والاتجاه التاريخي لهذه العلاقة، نجد أن هناك عوامل ثابتة كان لها دور في ترسيم أطر هذه العلاقة. وكانت أهم هذه العوامل هي الجغرافيا والثقافة والسيكولوجيا. ففي عالم الجغرافيا، يجب القول أن «الجيرة» هي عنصر أبدي وذات تأثير عميق في التعاملات بين إيران وعمان. فمضيق هرمز الاستراتيجي كان عاملاً واصلاً ومقرباً بين البلدين قبل أن يكون عاملاً فاصلاً بين الأرضين. إذ إن لهذا المضيق الدور الأكبر في تأمين المصالح المشتركة بين البلدين وإيجاد صيغ للتعاون الإقليمي والدولي بينهما. وعلى رواية علماء الآثار، فإن أقواماً (شعوباً) استخدموا هذا المضيق لأغراض اقتصادية. إلا أن أهمية هذا المضيق ازدادت في القرن العشرين لكثرة ارتباط مصادر الطاقة في المنطقة بالحياة الاقتصادية العالمية، وكذلك بالاقتصاد القومي لدول المنطقة، فبات يؤدي دوراً استراتيجياً مهماً. وعليه، ونظراً إلى أن ٧٠ في المئة من مصادر الطاقة والمتحجرات (الآثار المتحجرة) موجودة في منطقة الخليج، فقد أصبح تأمين الأمن لخطوط الملاحة البحرية في هذا المضيق أحد اهتمامات رجال الدولة في إيران وعُمان. على أن الموقع الجغرافي للبلدين في طرفي هذا الممر المائي الدولي عزز الوزن الجيوبوليتيكي والجيوستراتيجي للبلدين من جهة، وهيأ موجبات تعاون البلدين من أجل ضمان أمن مضيق هرمز من جهة أخرى.

إذاً، إن عنصر الجغرافيا غير القابل للتغير، والأهمية الدائمة للمضيق، والالتزامات الدولية للبلدين في تأمين أمنه تعتبر أعمده ثابتة من أجل تقوية وتوسيع العلاقة بين إيران وعمان. طبعاً، في العقود المقبلة سنشهد توسعاً أكثر في العلاقات في ظل عامل الجغرافيا، وذلك بسبب مكانة الجغرافيا الاقتصادية لكلا البلدين. إذ إن وجود دولة عمان إلى جانب المحيط الهندي وامتلاكها لمرفأ سلالة المستخدم للترانزيت، والذي يعتبر واحداً من أكبر عشرة مرافئ مستخدمة للترانزيت، وعبور الممر الآسيوي الكبير من إيران وموقع إيران في التواصل الاقتصادي بين الشمال والجنوب أدت إلى فتح آفاق جديدة في توسيع العلاقة والتعاون الثنائي والدولي. ويمثل إلتحاق عُمان بالممر الشمال ـ الجنوب طليعة عصر جديد من التعاون.

العامل الثابت الآخر المؤثر في العلاقة بين البلدين هو العامل الثقافي. إذ إن تواصل الشعبين على مدى التاريخ أوجد أوجه شبه عديدة في العادات والسنن، وهو أمر يظهر بوضوح في المناطق الحدودية بين البلدين. وقد أدى اعتناق الشعبين للإسلام إلى اتخاذ العلاقات الثقافية صبغة إلهية من جهة، وإلى تعميق واستحكام العلاقة بينهما من جهة أخرى.

إن تماثل القيم العقائدية بين الشعبين تحول بدوره إلى عنصر ثابت أثر بشكل دائم في العلاقة بن البلدين. وتشير بعض الوثائق الموجودة في أرشيف وزارة الخارجية الإيرانية إلى وجود تعاون وثيق بين البلدين في سياق الدفاع عن الكيان الإسلامي في المنطقة. وقد أدى عامل «الجيرة» المتلازم مع المشتركات الثقافية بين الشعبين إلى إيجاد عامل ثابت ومؤثر آخر، وخاصة في التاريخ المعاصر للعلاقات الثنائية بين البلدين. على أن لهذا العامل جانباً نفسياً يحدد روح ونظرة الشعبين بعضهما إلى بعض، وهو عامل «الثقة المتبادلة». إذ إن الثقة بين البلدين كانت لغاية الآن منشأً للكثير من البركات، وستكون، إن شاء الله، النور الذي يضيء أفق العلاقات المستقبلية بين البلدين. فإيثار الشباب الإيراني الشجعان في مواجهة أعداء كل أراضي عُمان في العقود الثلاثة الماضية يعتبر من المصاديق البارزة للثقة المتبادلة بين البلدين. ومن البديهي أن العاملين في وزارتي الخارجية في البلدين يتحملون مسؤوليات جسيمة في الحفاظ على هذه الثروة المعنوية المشتركة.

نظرة إلى العلاقات السابقة بين البلدين

إن العلاقات بين شعبي إيران وعُمان تعود إلى آلاف السنين. وتشير المنحوتات الأثرية المكتشفة إلى وجود علاقات وثيقة بينهما تعود إلى ما قبل الإسلام. وعلى أساس هذه الوثائق التاريخية، فإن العلاقات الإيرانية ـ العُمانية اتخذت عام ٥٩٧م شكلاً منظماً، وتأرجحت بعد ذلك على مدى التاريخ بالتناسب مع الظروف والمقتضيات وحسب الحكومات المتعاقبة. فالعلاقات الثنائية بين البلدين كانت محدودة جداً في أواخر الحكم القاجاري وبدايات الحكم البهلوي، وذلك بسبب استراتيجية الانزواء في السياسة الخارجية التي كان سلطان عُمان السلطان سعيد بن تيمور يتبعها آنذاك. أما بعد وصول السلطان قابوس إلى سدة الحكم، فقد باتت إيران ثالث دولة بعد بريطانيا والولايات المتحدة تعترف بشرعيتها. وبما أن فتح باب العلاقات مع الدول، وخاصة دول الجوار، كانت من أولويات السياسة الخارجية للسلطان قابوس، فقد تسارعت اواصر العلاقات بين البلدين.

أعلنت العلاقات السياسية بين البلدين رسمياً في العام نفسه، وعين بهمن زند أول سفير لدولة إيران في مسقط عام ١٩٧٢، فيما عين إسماعيل خليل الرصاصي قائماً بأعمال السفارة العمانية في طهران، ثم رقي إلى رتبة سفير عام ١٩٧٤. وقد أدت المصالح المشتركة والثقة المتبادلة بين الطرفين إلى وصول التعاون بين البلدين إلى أعلى مستوياته في وقت قصير جداً. فرغم إجحاف بعض الدول العربية وسكوتها، استطاعت سلطنة عمان أن تقتلع جذور تهديد الأعداء بمساعدة إيران، وقد أدى هذا التعاون الاستراتيجي في سبعينات القرن الماضي إلى تسريع اقامة علاقات ثنائية قوية، ثم تطور التعاون الأمني من أجل الحفاظ على مضيق هرمز. وخلال فترة قصيرة وقعت الدولتان عدداً كبيراً من الاتفاقيات والمعاهدات.

تقويم الوضع الراهن ومستقبل العلاقات

تتأثر العلاقات الحالية بين إيران وعُمان بالعوامل الثلاثة الثابتة الآنفة الذكر من جهة، وبالمتغيرات الجديدة منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران على الصعيد الإقليمي والعالمي من جهة أخرى. ويظهر مؤشر العلاقات بين البلدين تحولات مهمة في العقود الثلاثة الماضية سوف أتطرق إليها تحت ثلاثة عناوين: سياسية واقتصادية وثقافية.

العلاقات السياسية

شهدت العلاقات السياسية بين إيران وعمان منذ انتصار الثورة الإسلامية ثلاث مراحل، هي الركود، وإعادة البناء، وتوثيق وتوسيع العلاقات.

بدأت مرحلة الركود عام ١٩٧٩ مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران واستمرت حتى عام ١٩٨٥. في هذه المرحلة، قامت عمان بسحب سفيرها من طهران عام ١٩٨١ وأعلنت تأييدها للعراق في حربه على إيران. واستمر هذا الأمر حتى تحرير خرمشهر من أيدي القوات العراقية. ثم أصلحت عُمان موقفها بإعلانها عدم الانحياز في هذه الحرب. وكان الدور المؤثر لسلطنة عمان في تعديل مواقف مجلس التعاون الخليجي بخصوص الحرب الإيرانية ـ العراقية في زمن تولي عُمان رئاسة المجلس عام ١٩٨٥، بداية لإعادة بناء العلاقات بين البلدين. ففي قمة مجلس التعاون الخليجي التي انعقدت في مسقط، تحدث السلطان قابوس بلهجة ملائمة في البيان الافتتاحي، بحيث جاء البيان الختامي معتدلاً نسبياً. إذ طلب المجلس من الدولتين المتنازعتين أن تبذلا قصارى جهديهما في إنهاء هذه الحرب. وأظهر البيان ميلاً لدى الدول الأعضاء في التقرب من الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ومنذ ذلك الحين سهلت عمان عملية إعادة بناء العلاقات الثنائية عبر إعلانها عدم الانحياز والمضي في سياسة إنهاء الحرب بين البلدين المتنازعين. وقد قام بن علوي، وزير الخارجية العماني آنذاك، بإرسال رسالة إلى وزير الخارجية الإيراني فور انتهاء المؤتمر. وفي عام ١٩٨٦ قام ممثل وزير الخارجية الإيراني بالسفر إلى مسقط حاملاً جواباً على رسالة بن علوي من نظيره الإيراني الدكتور علي أكبر ولايتي. ثم دخلت عملية إعادة بناء العلاقات حيز التنفيذ بشكل جدي بعد سفر بن علوي إلى طهران عام ١٩٨٧ وتوقيع أول مسودة تفاهم للتعاون في المجالين الاقتصادي والسياسي. وفي العام نفسه، زار الدكتور ولايتي مسقط حيث أجرى لقاءات بناءة. وبموافقة الدولتين في رفع مستوى العلاقات السياسية وتبادل السفراء وتشكيل لجنة سياسية مشتركة بدأت مرحلة توثيق وتوسيع العلاقات. وبذلك بدأ السفير الإيراني في مسقط عمله بشكل رسمي عام ١٩٨٨، والسفير العماني في طهران عام ١٩٨٩.

شكلت اللجنة السياسية المشتركة أهم عامل فاعل في مجال العلاقات الثنائية. وهي قامت

بتنظيم الخطوط العامة لتوسيع العلاقات في المجالات المختلفة وتبادل الآراء حول اخر التحولات الإقليمية والعالمية. وقد عقدت اللجنة أولى اجتماعاتها نصف السنوية عام ١٩٨٩ في مسقط. أما الاجتماع الثاني عشر، فقد عقد عام ٢٠٠٣ في طهران، والاجتماع الثالث عشر عام ٢٠٠٤ في مسقط. ثم شهدت علاقة البلدين نمواً وتطوراً بعد انتخاب السيد محمد خاتمي رئيساً للجمهورية الإسلامية الإيرانية. فمنذ ذلك الوقت انبثقت لجان فرعية عدة عن اللجنة السياسية المشتركة. وقامت كل لجنة بعقد اجتماعات خاصة بها، ومنها اللجنة الفنية (مسؤولة عن شؤون الحدود) ولجنة الصداقة العسكرية، واللجنة العلمية المشتركة، ولجنة الصداقة البرلمانية. ويمكن القول إجمالاً أن علاقة البلدين علاقة جيدة. ومع ذلك، ونظراً لحجم التحولات الواسعة والعميقة في المنطقة والعالم، على البلدين أن يزيدا في حجم التعاملات والمراكز الثقافية (المستشاريات الثقافية) والتعاون السياسي والدولي بينهما.

العلاقات الاقتصادية

إن حجر الأساس في إعادة بناء العلاقات الاقتصادية وإعادة تنظيمها بشكلها الحالي يعود إلى مذكرة التفاهم التي تم توقيعها عام ١٩٨٧ بين وزارتي الخارجية في الجمهورية الإسلامية وسلطنة عمان. فقد تم التطرق في هذه المذكرة إلى التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والنفطية، وفي مجال الملاحة البحرية والجوية، وفي مجال الاتصالات. وعلى هذا الأساس تم تأسيس اللجنة الاقتصادية المشتركة في العام نفسه، والتي عقدت أولى جلساتها في مسقط عام ١٩٨٩.

هيأ توقيع اتفاقية تشجيع وحماية الاستثمار المتبادل عام ٢٠٠٢ واتفاقية التجارة بين البلدين عام ٢٠٠٣، الأجواء أمام توسيع العلاقات الاقتصادية المستمرة بين البلدين. على أن حجم التبادلات التجارية بين إيران وعمان تضاعف ٥,٥ أضعاف عام ٢٠٠٢ قياساً بما كانت عليه عام ١٩٩٤. إذ بلغت ٥٥٠ مليون دولار مقابل ١٠٠ مليون دولار عام ١٩٩٤. وتحتل الجمهورية الإسلامية حالياً المرتبة الثانية بعد الإمارات المتحدة العربية في استيراد الصادرات العمانية. فقد كان حجم التبادلات في العام الماضي ٥٦٠ مليون دولار، وكانت الصادرات العمانية تشكل ٩٠ في المئة من حجم هذه التبادلات.

صحيح أن حجم التبادلات التجارية بين البلدين جيدة عموماً. إلا أنه من أجل استقراره وثباته، ثمة حاجة إلى التنوع في مجال التعاون الاقتصادي وإيجاد توازن منطقي في التبادلات التجارية. فميزان التبادل غير متناسب مع الإمكانات الموجودة في البلدين. وفي هذا المجال يوجد طرق عملية مهمة لتوسيع العلاقات الاقتصادية وضمان استمرارها. على أن وجود عمان كعضو فاعل في الممر الاقتصادي بين الشمال والجنوب، وترانزيت البضائع إلى منطقة القوقاز وآسيا الوسطى، وحضور الشركات الهندسية الإيرانية في عمان وتنفيذ المشاريع

العمرانية والتعاون القائم بين غرفتي التجارة في البلدين، مع الالتفات إلى دور القطاع الخاص في زيادة التبادلات التجارية، وشرعنة وتنظيم عملية الصادرات والواردات بين البلدين، وإقامة معارض تخصيصية وإنشاء خطوط جوية مباشرة، وكذلك خطوط ملاحة بحرية... هي من الأعمال المقترحة في هذا المجال.

العلاقات الثقافية

تظهر المشتركات الثقافية بين البلدين أن عملية التبادلات الثقافية بين الشعبين تتمتع بعمق تاريخي، فضلاً عن أن اعتناق الشعبين للديانة الإسلامية السماوية أدى إلى تكريس الروابط الثقافية بينهما. وقد سهل الغنى التاريخي للعلاقة الثقافية عملية توسيعها في العصر الحالي. وقد رأينا قفزة في توسيع هذه العلاقات على مدى ثلاثة عقود الماضية. ونتيجة لهذا التطوير، جاءت الاتفاقية التي وقعت في العقد السابع من القرن الماضي والتي شملت التعاون في المجالات الثقافية والعلمية والتعليمية. صحيح أن إلغاء صلاحية الاتفاقية المذكورة عام ١٩٩٤ حد من تسارع التعاون الثقافي بين البلدين. إلا أن المسؤولين عن هذا الملف في البلدين وقعوا جملة من اتفاقيات التعاون الثنائية رفعت من مستوى التعاون الثقافي والأكاديمي في ما بينهما. وكان سفر مير سليم وزير الثقافة والإرشاد الإيراني إلى مسقط عام ١٩٩٥ وسفر المرحوم فيصل بن علي وزير الثقافة والميراث القومي في سلطنة عمان عام ١٩٩٧ إلى طهران بداية مرحلة جديدة من توسيع العلاقات الثقافية بين البلدين. كما تطورت العلاقات العلمية والجامعية بين البلدين بعد سفر وزير التعليم العالي العماني عام ١٩٩٩ وسفر وزير العلوم والأبحاث والتكنولوجيا الإيراني إلى مسقط عام ٢٠٠٠.

أفضت هذه الزيارات إلى إنشاء لجنة علمية مشتركة عقدت اجتماعين إلى الآن، أحدهما في مسقط، والثاني في طهران. وفي ظل هذه اللقاءات، أصبح هناك طلاب عمانيون يدرسون في جامعات إيران، وعقدت لقاءات عدة بين أساتذة الجامعات في البلدين. ويمكن ذكر تأسيس كرسي الفقه الاباضي في جامعة الإمام الخميني (ره) الدولية وعضوية المفتي العام العماني في المجلس الأعلى لمجمع تقريب المذاهب الإسلامية والمشاركة في المسابقات القرآنية والتعاون في مجال المكتبات والراديو والتلفزيون والصحف وإقامة أسبوع الثقافة، وهذا غيض من فيض مما هو قائم على أرض الواقع.

في نظرة شاملة يمكن القول أن السياسات الإقليمية للجمهورية الإسلامية تنسجم في كثير من الأمور مع السياسات الإقليمية لسلطنة عمان، لا سيما لناحية اعتماد النهج السلمي في العلاقات. وأرجو ختاماً التوفيق من الله تعالى للمؤسسات الدبلوماسية والسياسية الخارجية في البلدين من أجل تنفيذ وتطبيق جميع سياسات وآمال القادة في كلا البلدين.

حمزة الأمين*

العلاقات اللبنانية ـ الإيرانية

العلاقات اللبنانية الايرانية كيف يجب أن تكون لتخدم مصلحة الشعبين وتعمل على تنمية البلدين بإتجاه المزيد من التحديث والتطور؟ قبل الحديث عن العلاقات اللبنانية ـ الإيرانية وكيف يجب أن تكون لتخدم مصلحة الشعبين بإتجاه بلورة آفاق للمستقبل، يجب أن نجد الجواب عن بضع أسئلة بسيطة تتعلق بالموقع الجغرافي والتاريخي للبلدين وتبيان نقاط التلاقي والإختلاف السياسي، وبإمكانيات كل دولة في ما تقدم. لا شك ان هذه الأسئلة البسيطة هي أساسية ومحورية لتبيان كيف يجب أن تكون هذه العلاقات. دعك من العواطف وعلاقات القربى. فعلاقات الدول بعضها مع بعض تنبعث من مصالح صرفة، خاصة في عالم تزداد فيه الحاجة الاقتصادية يوماً بعد يوم، وتزداد فيه متطلبات النظم السياسية نحو المزيد من الاستقرار. إذ إن هناك عصفاً قد بدأ يطوف العالم اسمه العولمة، بحيث لن تستطع أية دولة ان تصمد إلا الدول التي لديها إمكانيات اقتصادية وموقع جغرافي جيد، ناهيك عن روح عميقة رابطة في التاريخ بعمق شديد.

في الواقع التاريخي لإيران، كان لبلاد فارس (إيران اليوم) عبر التاريخ شخصية مميزة وحضارة مستمرة وحدود مستقرة وشأن عظيم إلى حد ما، ذلك أن الإيرانيين كافة لن يكونوا ممزقين بين شعورهم الديني وشعورهم الوطني القومي، ناهيك عن الإثراء الاسلامي الأوسع. لقد تميز الإيرانيون بلغة وثقافة عبر التاريخ طغى على شعورهم الديني قبل الاسلام، وحضارتهم التي أنشئت قبل ٢٥٠٠ سنة كان لها أثر عظيم في تطور الأحداث في آسيا الوسطى ومنطقة الشرق الأوسط. وإيران كانت دائماً لاعباً أساسياً وكاتباً مهماً للأحداث المعاصرة وداعماً رائعاً للإسلام على صعيد المنطقة الممتدة من آسيا الوسطى، بدءاً من الحدود الصينية حتى الشرق الاوسط ودول إفريقيا العربية. وحديثاً هناك الخليج الفارسي، وقد سمي

* كاتب لبناني.

هذا الخليج بالفارسي نظراً لقوة التأثير الإيراني في مجريات المنطقة التي تعرف اليوم بالهلال الإسلامي.

في الواقع الجغرافي لإيران، منذ القديم تقع بلاد فارس (إيران اليوم) في تقاطع طرق العالم. وهي ممر طرق لقوافل التجارة العالمية قديماً: طريق الحرير التي كانت تربط بين الصين وأوروبا حيث تقع إيران في منتصف هذه الطريق. وهي اليوم نقطة عبور نفط آسيا الوسطى بإتجاه المحيط الهندي، وحلقة الوسط بين بلاد الهند وبلاد العرب، وهي الحد الفاصل لطموحات روسيا للوصول إلى المياه الدافئة للحصول على نفط الدول العربية. وإيران هي لاعب أساسي في بحر قزوين، ناهيك عن حدودها مع أفغانستان وتركيا. أما واجهتها البحرية فهي الأهم. إذ إنها تتحكم بإمكانيات تصدير النفط العربي إلى دول الغرب الصناعي، وذلك عبر مضيق هرمز. إن موقع إيران الجغرافي قد حدد لها بشكل مسبق نظرة الدول إليها، وبالتالي فإن موقع إيران الجغرافي سيحدد أهمية إيران على صعيد العلاقات الدولية. إن لعبة الأمم الإقليمية والمحلية والعالمية تتأثر كثيراً بالموقع الجغرافي للدولة.

في الواقع التاريخي للبنان، وجد لبنان تاريخياً عبر علاقات بين الشرقين الأدنى والأوسط مع أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط، وهي العلاقات التي كرست عبر التاريخ قيام الجمهورية اللبنانية بواقعها الحالي معبراً بين الغرب والشرق وهمزة وصل بين العرب والأوروبيين؛ لبنان التاريخي أزلي قديم غني بالثقافة والحرية، وهو معبّر رئيسي عن العلاقات الدولية بين الأمبراطوريات القديمة والعالم العربي، وهو حديثاً مرشد مهم للعلاقات التي ينوي الغربيون تقديمها للعالم العربي والإسلامي. إن تاريخ لبنان، كما هو تاريخ إيران، عريق وقديم. وجغرافيا لبنان وبقعة وجوده هي تماماً كجغرافيا إيران وبقعة وجودها، وقد قدرت لهما العناية الإلهية أن يؤديا دوراً رئيسياً في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. إن لبنان دولة وجدت لتؤدي وظيفة، وإيران وجدت لتحمي وظيفة لبنان. فوظيفة إيران الحالية هي العمل على التنمية الذهنية لمنطقة الشرق الأوسط، تماماً كما عمل لبنان ويعمل على الأمر ذاته.

في الواقع الجغرافي للبنان، فإنه كان ولا يزال تجسيداً صارخاً لبداهية الجغرافيا. فهو يتوسط منتصف الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط الذي يشكل المقدمة البحرية لسوريا والأردن والعراق والجزيرة العربية من وراءهما، ويتوسط المنطقة العربية بين شرقها وغربها من جهة، وبين شمالها وجنوبها من جهة ثانية، وهو من جهة أخرى أدى لفترة طويلة من الزمن دور الملجأ والملاذ في اكثر بقاع الكرة الأرضية خصوبة وحيوية على مر التاريخ البشري. باختصار هو نافذة حرة مفتوحة تؤدي دور رئة التنفس للمنطقة باثرها حيناً، ودور ثغرة التسلل الى المنطقة حيناً آخر.

ما الذي يستطيع لبنان أن يقدمه لإيران؟ يمكن للبنان أن يقدم الكثير لإيران، وذلك عبر ما يلي :

- يمكن أن يؤدي دور الوسيط السياسي بين إيران والدول العربية؛

- يمكن لنجاح التجربة اللبنانية في الديموقراطية والتعددية أن تكون نموذجاً لإيران المستقبل (القرار هنا ملك الشعب والقادة الإيرانيين مع مراعاة مبدأ الحرية في إختيار الشعوب الأنظمة السياسية التي تراها مناسبة)؛

- يمكن للبنان أن يقوم بدور المحرك نحو النمو الثقافي (المساعدة في هذا الأمر لإيران. اذ يتمتع لبنان بقسط كبير من الحرية والخبرات الثقافية شرقية وغربية)؛

- يستطيع لبنان أن يقوم بمساعدة الطلاب الإيرانيين للدراسة في الجامعات اللبنانية. إذ إن الجامعات في لبنان تتطور، بحيث يمكن لبنان ان يقدم لإيران قطاعاً مصرفياً متيناً وموثوقاً يستطيع اداء دور على صعيد البترودولار الإيراني في النظام المصرفي العالمي؛

- إن موقع لبنان يسمح له بأن يكون محطة لتصدير الصادرات الإيرانية نحو إفريقيا وباقي دول العالم؛

- يمكن للبنان أن بقدم اليد العاملة التقنية في مجالات الإتصالات، والخبرة السياحية في مجالات الفنادق، ناهيك عن امكانية لبنان في أن يكون دولة تعمل على تقديم السياحة للإيرانيين والتعريف بالثقافة الإيرانية للعالم؛

- ماذا تستطيع أن تقدم ايران للبنان؟ يمكن إيران أن تساعد لبنان بالضغط على اسرائيل بغية وقف إعتداءاتها، والحد من الاطماع الإسرائيلية حيال لبنان، والعمل على إنهاء الغطرسة الإسرائيلية في إعتبار لبنان نقطة الضعف العربية؛

- مساعدة لبنان سياسياً من خلال دعم نمو الدولة اللبنانية. هنا لا مانع للبنان من دعم ايران لهيئات ومنظمات وجمعيات لبنانية، سواء عبر الدعم المالي أو المادي العيني شرط موافقة وإطلاع الدولة اللبنانية على مجريات الأمور من منطق دولة لدولة؛

- إمكانيات ايران الاقتصادية هائلة، وتستطيع إيران تزويد لبنان بالنفط والغاز بأسعار مدروسة؛

- إيران يمكنها ان تؤدي دور الوسيط في تصدير المنتجات والصادرات اللبنانية إلى آسيا الوسطى وبلاد الشرق الأقصى؛

- إن السياحة الدينية اليوم هي عامل مهم في الشرق الاوسط. ونظراً لعلاقات القربى

الدينية بين الشعبين، ناهيك عن القربى الإنسانية وقربة التاريخ، تستطيع إيران أن تكون النقطة الثانية للسياحة الدينية بالنسبة للبنانيين. إذ يجب العمل على تطوير هذا الأمر وتنظيمه وتحديثه.

ما هي نقاط الاختلاف والإلتقاء السياسي بين اللبنانيين والإيرانيين؟ هناك إختلاف لا يكاد يذكر بشأن بعض النقاط، وهي موضوع الخلافات العربية ـ الإيرانية. وهنا تتفهم الجمهورية الاسلامية الإيرانية وضع لبنان في العالم العربي نظراً لوضع لبنان الحساس في العالم العربي ونظراً لتركيبة لبنان الاجتماعية؛

ـ لبنان دولة جمهورية ديموقراطية برلمانية ليبرالية. أما إيران، فإنها جمهورية إسلامية برلمانية تملك مقومات نظام خاص قائم بها. وهنا يجب أن لا يكون خلاف. فالانظمة السياسية هي إختيار الشعوب، والتنوع في الأنظمة السياسية هو رحمة. والاختلاف بين الشعوب والأمم هو من ثراء هذه الشعوب والأمم.

إن تقارب السياسات بين اللبنانيين والإيرانيين (كدول) هو أعمق بكثير في شتى المجالات من مجال الخلاف الحقيقي والواقعي. بمعنى آخر، إن الخلاف بسيط لا يكاد يذكر، والتقارب عميق في شتى المجالات، اهمها:

ـ هناك موقف متقارب بين الدولتين بالنسبة لمفهوم الإرهاب. فلبنان وإيران تحاربان الإرهاب وتعملان على بث روح السلام والتعاون بين الشعوب؛

ـ لبنان وإيران يؤديان دوراً مهماً ومحورياً في حوار الحضارات وفي ايجاد نقاط الالتقاء بين الامم والشعوب؛

ـ هناك اتفاق كامل بين لبنان وإيران بشأن موضوع إمتلاك إسرائيل للسلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل؛

ـ الدولتان اللبنانية والإيرانية تعملان بوحي من إحترام القانون ومواثيق الامم وبالتعاون مع المنظمات والهيئات الدولية؛

ـ هنالك تقارب كبير بالنسبة لنظرة الدولتين، خاصة في مسألة المفاوضات العربية ـ الإسرائيلية (مفاوضات السلام)؛

ـ على الصعيد الدولي، إن لبنان وإيران يستطيعان التفاهم مع الغرب إنطلاقاً من مصالحهما الذاتية وإنطلاقاً من فكرة التعاون مع الجميع على أساس تنمية العلاقات الدولية نحو المزيد من الإنفراج والإستقرار؛

إستناداً لما تقدم كيف يمكن ان تكون العلاقات الإيرانية ـ اللبنانية؟ يقتضي العمل

ومصلحة البلدين أن تكون العلاقات على أفضل ما يرام في جميع المجالات، وان يكون هناك تعاون وتفاهم واحترام متبادل، هذا إذا لم نأخذ في الإعتبار ما سبق وذكرنا، فكيف عندما يتوفر كثير من المصالح المشتركة بين البلدين والقليل النادر من نقطتين لا تكاد تذكر بشأن ما سبق من نقاط الإختلاف السياسي. إن مصلحة لبنان وإيران في هذا العصر بالذات، عصر العولمة والتكتلات الاقتصادية الكبرى وعصر غزو الفضاء، يتطلب من الدولتين العمل بكل جهد من اجل تحسين وتطوير هذه العلاقة نحو آفاق أفضل ومستقبل زاهر بما فيه مصلحة إنسانية الدولتين اللبنانية والإيرانية وباقي دول العالم. هنا لم أدخل في موضوع القربة الدينية بين الشعبين اللبناني والإيراني ولا في موضوع التاريخ المشترك لمنطقة الشرق الأوسط ولا من ناحية الذهنية اللبنانية ـ الإيرانية التي تكاد تكون متقاربة في كثير من الأمور، ناهيك عن أن الدولتين تمتلكان عدواً واحد يتمثل في أطماع إسرائيل في السيطرة على منطقة الشرق الأوسط. من هنا لا بد للدولتين من العمل بجدية وإخلاص على المزيد من الانفتاح الاقتصادي والثقافي والسياسي وايجاد مواقف مشتركة، خاصة في المجال السياسي.

د. محمد رضا ضيائي بيگدلي*

التحديات القانونية بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية

واجهت الحكومة الإيرانية في غضون الأشهر الأخيرة تحديات قانونية مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية بشأن نشاطاتها النووية، وذلك إثر صدور قرارين شديدي اللهجة لمجلس حكام الوكالة حول إيران، وتوقيع البيان الرباعي بين إيران وبريطانيا و فرنسا وألمانيا في طهران في الفترة التي تخللت إصدار القرارين المذكورين. وقادت هذه الوثائق القانونية الدولية المهمة الثلاث وما أعقبها من إلزام إيران بالانضمام إلى البروتوكول المعروف ببروتوكول (٢+٩٣)، إلى خلق تحديات قانونية بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية، كان يمكن أن تزج إيران في أزمة دولية خطرة. لكن إعلان إيران استعدادها لتنفيذ القرارات الآنفة الذكر، والذي جاء كحصيلة لديبلوماسية نشطة وفاعلة، أنقذ إيران من هذه الأزمة. على أن الوقوف على هذا الموضوع يستلزم تحليل واستعراض النقاط الآتية:

- التعرف على الوكالة الدولية للطاقة الذرية؛
- القوانين التي تسود الوكالة:

أ - النظام الداخلي للوكالة؛

ب - اتفاقية حماية معاهدة حظر الانتشار النووي بين إيران والوكالة؛

ج - معاهدة حظر انتشار السلاح النووي:

- قرار مجلس حكام الوكالة في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣؛
- بيان طهران المشترك في ٢١/١٠/٢٠٠٣؛
- قرار مجلس الحكام في تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣؛
- تقويم كلي.

* أستاذ في جامعة الشهيد بهشتي في طهران.

أصدر مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية قرارين حازمين وشديدي اللهجة حول النشاط النووي الإيراني في اقل من ثلاثة اشهر، أولهما في الثاني عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣ والثاني في ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣. كما شهدت الآونة الأخيرة أيضاً حدثاً قانونياً أخر لافتاً، هو توقيع البيان الرباعي لممثلين يتمتعون بصلاحيات مطلقة لدول إيران وبريطانيا وفرنسا والمانيا في ٢٢ تشرين الأول / اكتوبر ٢٠٠٣ في طهران. وأدى صدور هذه الوثائق القانونية الدولية الثلاث المهمة، وكذلك توقيع الجمهورية الإسلامية الإيرانية البروتوكول المعروف ببروتوكول (٢+٩٣) إلى خلق تحديات بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية؛ تحديات قد تجعل حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في المستقبل أمام أزمة دولية حقيقية خطرة للغاية. لكن ما تميز به القادة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية من بعد نظر وتفهم للظروف القائمة على المستوى الدولي أفضيا في النهاية إلى اتباع ديبلوماسية فاعلة وناجحة، وإلى انتشال إيران في هذه المرحلة من سقوط حتمي في مستنقع خطير ومن أزمة دولية. ومن البديهي أن أصحاب الرأي على صعيد العلاقات والقوانين الدولية يدركون جيداً أن الضرورة قد تدفع بلداً ما في مرحلة من مراحل تعاطيه الدولي إلى التضحية بمصلحة لضمان مصلحة أهم وأسمى، أو بعبارة أخرى التضحية بمصالح آنية من أجل مصالح مستقبلية، وهو أمر لا ينم عن ضعف ذلك البلد مطلقاً، بل على العكس يكشف عن النظرة الواقعية لقادة هذا البلد. وفي هذا الإطار، فإن إيران استطاعت في خضم التحديات القانونية أن تتفهم وتدرك هذه الحقيقة جيداً، فضحّت بالمصالح الآنية في سبيل المصالح المستقبلية. ويمكن تحليل التحديات الحقوقية الآنفة الذكر واستعراضها بشكل كامل إذا ما جرى تناول المواضع الآتية: التعرف بشكل مجمل على الوكالة الدولية للطاقة الذرية، والقوانين التي تحكم الوكالة، وقرار مجلس حكام الوكالة في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣، وبيان طهران المشترك في ٢٠٠٣/١٠/٢١، وقرار مجلس الحكام في تشرين الثاني / نوفمبر عام ٢٠٠٣، وبالتالي التقويم الكلي.

الوكالة الدولية للطاقة الذرية

بدأت الوكالة الدولية للطاقة الذرية نشاطها عام ١٩٧٥. ورغم أن الوكالة لا تعد من المؤسسات المختصة التابعة للأمم المتحدة، وإنما مؤسسة دولية مستقلة، فإنها تعمل تحت وصاية الأمم المتحدة وتمارس نشاطها في إطار النظام الدولي. ويعتبر نشر وتطوير استخدامات الطاقة الذرية على صعيد إقرار السلام والصحة والرفاه في شتى أنحاء العالم من أهم أهداف الوكالة، وذلك عبر وضع مقاييس ومستلزمات الوقاية والأمان النووي والبيئي والسيطرة عليها وتقديم الخدمات الفنية والتقنية النووية وتبادل المعلومات العلمية والفنية في الحقل النووي. وتقدم الوكالة للدول التي تعتزم إنشاء محطات نووية للأغراض السلمية

المعلومات والاستشارات اللازمة، كما تشرف على المصانع التي تعمل بالوقود النووي. وتعتبر الوكالة الدولية للطاقة الذرية المؤسسة الدولية الوحيدة المختصة التي تقدم تقاريرها بشكل مباشر إلى الجمعية العمومية، وفي بعض الموارد إلى مجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعى للأمم المتحدة. ويبلغ حالياً عدد الدول الأعضاء في الوكالة ١٤٠ دولة، ويقع مقرها في مدينة فيينا، عاصمة النمسا.

أركان الوكالة

تتألف الوكالة من ثلاثة أركان أساسية: المؤتمر العام ومجلس حكام أو هيئة ادارية ومدير عام. ويتألف المؤتمر العام من ممثلي الدول الأعضاء كافة. أما مجلس الحكام فيتألف من ٣٥ عضواً، بينهم ٢٢ عضواً من أعضاء المؤتمر العام و١٣ عضواً من الأعضاء الذين يمتلكون التقنية النووية، ويجري انتخابهم من جانب مجلس الحكام نفسه. وقد انتهت في الآونة الأخيرة فترة عضوية إيران والكويت في هذا المجلس وتم انتخاب اليمن وباكستان بدلاً منهما.

أسلوب اتخاذ القرارات في مجلس الحكام

تعتمد المنظمات الدولية عادة أسلوبين في اتخاذ القرارات، أولهما التصويت، والآخر الإجماع. وينبغي أن تعتمد قرارات مجلس الحكام مبدأ التصويت (المادة ٦ من النظام الداخلي)، بينما نجد في واقع الحال أن اعتماد القرارات يتم على أساس الإجماع وبصراحة. ولا يعتبر النظام الداخلي للوكالة عدم حضور أو غياب الممثل بمنزلة اعتراضه على القرار (المادة ٦ من النظام الداخلي).

الضمانات التنفيذية لقرارات مجلس الحكام

يرفع مفتشو الوكالة تقاريرهم إلى مدير عام الوكالة حول أي خرق لإجراءات اتفاقات حماية معاهدة حظر الانتشار النووي، والذي يقوم بدوره برفع التقارير المذكورة إلى مجلس الحكام. ويقوم مجلس الحكام من جانبه بعد تأييد ذلك برفع تقرير إلى مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة، وحتى إلى سائر الدول الأعضاء. وفي حال عدم مبادرة الدولة التي أخلت بالتزاماتها إلى اتخاذ التدابير اللازمة لوقف انتهاكاتها في فترة معقولة، فإن مجلس الحكام بإمكانه أن يتخذ أحد الإجراءين الآتين أو كلاهما ضد تلك الدولة:

- حد أو تعليق المساعدات التي تقدم من جانب الوكالة أو أحد أعضائها؛

- المطالبة بإعادة المواد أو الأجهزة التي جرى وضعها في خدمة عضو أو مجموعه من الأعضاء.

كما يمكن الوكالة أن تحرم العضو من حق الاستفادة من الامتيازات والحقوق التي تترتب على عضوية الوكالة (المادتان ١٢ و ١٩ من النظام الداخلي)

المدير العام

يجري انتخاب مدير عام الوكالة من جانب مجلس الحكام وبمصادقة المؤتمر العام لدورة مدتها أربع سنوات. علماً أن المدير العام يعتبر أعلى سلطة إدارية وتنفيذية في الوكالة (المادة ٧ من النظام الداخلي).

القوانين التي تحكم الوكالة

- النظام الداخلي للوكالة:

- معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية: تمت المصادقة على المعاهدة عام ١٩٦٨، ودخلت حيز التنفيذ عام ١٩٧٠. وبما أن هذه المعاهدة جرى إبرامها لمدة ٢٥ عاماً، فقد تم تمديدها عام ١٩٩٥ إلى أجل غير مسمى. ويبلغ عدد الأعضاء الموقعين للمعاهدة ١٦٨دولة.

أهم بنود المعاهدة

- حظر تزويد الدول الأعضاء التي لا تمتلك أسلحة نووية بهذه الأسلحة، وكذلك بكل المعدات الانفجارية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر؛

- حظر نقل الأسلحة النووية أو سائر المعدات الانفجارية من الدول الأعضاء التي تمتلك الأسلحة النووية، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر؛

- إلزام الدول الأعضاء الذين لا يملكون أسلحة نووية بإبرام اتفاقات حماية معاهدة حظر الانتشار النووي وفقاً للنظام الداخلي للوكالة الدولية للطاقة الذرية؛

- إلزام الدول الأعضاء بالتعاون السلمي في الاستفادة من الطاقة الذرية؛

- الاعتراف بمسؤوليات الوكالة الدولية للطاقة الذرية لناحية مهمة الرقابة والتفتيش الخطيرة؛

- السماح بخروج البلد العضو من المعاهدة بعد ثلاثة أشهر من إبلاغ سائر الدول الأعضاء ومجلس الأمن والأمم المتحدة (البند ١ من المادة ١٠).

الضمانات التنفيذية لمقررات المعاهدة

لم تضع المعاهدة ضمانات تنفيذية مؤثرة. إلا أن مجلس الأمن يمكنه أن يعتبر أن اخلال الدول التي لا تمتلك السلاح النووي بالتزاماتها يمثل تهديداً للسلام والأمن الدوليين. وبالتالي اتخاذ إجراءات تأديبية ضد الدول التي أخلت بالتزاماتها.

تسوية الخلافات الناجمة عن النظام الداخلي للوكالة

- تجري تسوية أية قضية خلافية تثار (بين الدول الأعضاء في الوكالة) حول تفسير أو

تطبيق النظام الداخلي للوكالة من طريق الحوار في البداية، وإلا فإن القضية تحال إلى محكمة العدل الدولية حسب النظام الداخلي للمحكمة إلا إذا اتفق الجانبان على تسوية خلافهما عبر طريق آخر (البند ألف من المادة ١٧ للنظام الداخلي)؛

- بإمكان المؤتمر العام ومجلس حكام الوكالة، كلاً على حدى، وبشرط أن تسمح بذلك الجمعية العمومية للأمم المتحدة، أن يطلب من محكمة العدل الدولية تقديم استشاراتها حول أية قضية قانونية في إطار نشاط الوكالة (البند ب من المادة ١٧ من النظام الداخلي)؛

- اتفاقات حماية معاهدة حظر الانتشار النووي بين الوكالة والدول الأعضاء في الوكالة استناداً للمادة ١٢ من النظام الداخلي للوكالة: يتعين على كل دولة عضو التوقيع على اتفاقية حماية معاهدة حظر الانتشار النووي مع الوكالة، وذلك حرصاً من الأخيرة على اتخاذ التدابير اللازمة لحماية معاهدة حظر الانتشار. وتتألف هذه الاتفاقية التي تمتاز بطابع نموذجي من ٩٨ مادة. وتنص الاتفاقية في هذا المجال على قيام الوكالة بعمليات تفتيش دورية محددة.

البروتوكول الاضافي الملحق باتفاقية الحماية

البروتوكول الاضافي الملحق باتفاقية الحماية هو عبارة عن اتفاقية نموذجية تشتمل على ١٨ مادة وملحقين مفصلين. ويبرم هذا البروتوكول بين الوكالة وكل دولة تعرب عن استعدادها لقبول مقررات البروتوكول. ويعتبر مجلس الحكام المرجع في المصادقة على البروتوكول من جانب الوكالة، فيما تفوض عمليه التوقيع والتنفيذ إلى المدير العام.

أهم نقاط البروتوكول

- الهدف: تعزيز كفاية معاهدة الحماية والنهوض بآلياتها في اتجاه، والنهوض والمشاركة في اهداف حظر انتشار الأسلحة النووية بالنسبة للدول الموقعة على اتفاقية الحماية (مقدمة)؛

- هذا البروتوكول هو في الواقع مكمل لاتفاقية الحماية، ولكنه يعد في الوقت نفسه معاهدة ثنائية مستقلة؛

- مقررات اتفاقية الحماية يجري تنفيذها في هذا البروتوكول ما دامت مرتبطة ومتطابقة مع مقررات هذا البروتوكول. وفي حال وجود تناقض بين مقررات اتفاقية الحماية وهذا البروتوكول يجري تنفيذ مقررات هذا البروتوكول (المادة ١)؛

- تقديم تقارير إلى الوكالة حول كل النشاطات النووية من جانب كل بلد عضو في البروتوكول في أوقات مختلفة (المادتان ١و٢)؛

- يحق لمفتش الوكالة الوصول إلى أي موقع في البلد العضو في البروتوكول بهدف الاطمئنان إلى عدم وجود مواد نووية ونشاطات سرية أو بهدف الوقوف على أن المعلومات

المقدمة صحيحة وكاملة أو ازالة التناقض الموجود في تلك المعلومات التي لها علاقة إلى حد ما بأهداف اتفاق الحماية بالنسبة للوكالة (المواد ٤و٥ و٩). وعلى مفتشي الوكالة الذين يريدون الوصول إلى المواقع المذكورة في البند السابق أن يبلّغوا البلد العضو في البروتوكول كتابة قبل ٢٤ ساعة على الاقل، وأن يبينوا دواعي زيارتهم والانشطة التي قاموا بها خلال زيارتهم للموقع. وفي الحالات الاستثنائية والخاصة يجري تقليص هذه المدة إلى ساعتين على الاقل، بل وحتى أقل من ذلك (المادة ٤)؛

- عمليات التفتيش تجري فقط أثناء ساعات الدوام الرسمي (المادة ٤)؛

- يحق للدول الأعضاء في البروتوكول إرسال ممثليهم لاصطحاب مفتشي الوكالة أثناء عمليات التفتيش، ولكن بشرط أن لا يقود ذلك إلى تأخير أو عرقلة عمل المفتشين (المادة٤)؛

- لا ينبغي لاي من مقررات البروتوكول أن تمنح البلد العضو في البروتوكول المبرر لمنع مفتشي الوكالة من الوصول إلى المواقع التي يرغبون في زيارتها. وفي غير ذلك يتعين على الوكالة المبادرة فوراً إلى بذل أي جهد معقول لتلبية مثل هذا الطلب (المادة ٨)؛

- يجري انتخاب مفتشي الوكالة من جانب مدير عام الوكالة، ويتم ابلاغ البلد العضو في البروتوكول بذلك (المادة١١)؛

- على البلد العضو في البروتوكول منح المفتشين المنتخبين الذين تعرّفهم الوكالة تأشيرات الدخول اللازمة التي تسمح لهم بالدخول والخروج مراراً في فترة أقصاها شهر من تاريخ استلام طلب تفتيش المواقع من قبل الوكالة. وينبغي أن تكون تأشيرة الدخول نافذة لفترة لا تقل عن عام، وأن تكون هذه المدة قابلة للتمديد (المادة ١٢)؛

- عندما يجد البلد العضو في البروتوكول أو الوكالة أن آلية تنفيذ الإجراءات الموضوعة طبقاً لهذا البروتوكول تحتاج إلى ضوابط تنفيذية، يبادر الجانبان إلى اعداد وتنظيم ذلك والتوقيع عليه (المادة ١٣)؛

- على البلد العضو في البروتوكول أن يضمن السماح لمفتشي الوكالة في داخل البلد الاتصال بمقر الوكالة أوالمكاتب الاقليمية لاهداف رسمية (المادة ١)؛

- على الوكالة وضع نظام دقيق يضمن صيانة وحفظ الاسرار التجارية والتقنية والصناعية وسائر المعلومات السرية التي يجرى الاطلاع عليها أثناء تنفيذ البروتوكول بشكل مؤثر ودقيق. على أن النظام المذكور يجب اقراره من قبل مجلس حكام الوكالة واعادة النظر فيه من قبل المجلس بشكل دوري؛

- سيكون البروتوكول نافذاً من تاريخ استلام الوكالة الابلاغ الرسمي للبلد الراغب في العضوية والقاضي بأن المقررات القانونية ودستور ذلك البلد باتت ممهدة لتطبيق البروتوكول أو بعد التوقيع عليه من قبل ممثلي البلد المذكور والوكالة (المادة ١٧)؛

- بامكان البلد الراغب في الانضمام لعضوية البروتوكول الاعلان عن تنفيذ البروتوكول بشكل موقت في أي وقت قبل أن يصبح تنفيذه لازماً. وينبغي أن يبادر مدير عام الوكالة إلى ابلاغ جميع الدول الأعضاء في الوكالة بتنفيذ البروتوكول بشكل موقت (المادة ١٧).

وقعت البروتوكول ٨٠ دولة لغاية الآن، بينها الدول الأعضاء في الاتحاد الاوروبي والقوى النووية الخمس التي تتمتع بحق النقض، فضلاً عن اليابان وكوريا الشمالية، فيما قبلتها بعض البلدان، من بينها الولايات المتحدة الأميركية، بتحفظ.

قرار مجلس حكام الوكالة في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣

استناداً للمعلومات التي وصلت إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية (التي لم يعلن لغاية الآن مصدرها أو مصادرها) والقاضية بأن إيران تقوم بعمليات تخصيب اليورانيوم، بادر مدير عام الوكالة، بموجب اتفاقية حماية معاهدة حظر الانتشار النووي، إلى ارسال مفتشين إلى إيران. وقام المفتشون عقب تفقد نقاط مختلفة بالبلاد (والتي رفع حولها تقارير) بابلاغ مدير عام الوكالة رسمياً بصحه المعلومات المذكورة. وبما أنه كان على إيران بموجب اتفاقيه الحمايه أن تطلع الوكالة على كل نشاطاتها في مجال تخصيب اليورانيوم (حتى للاغراض السلمية)، وهو الأمر الذي لم تلتزم به طهران، قام مدير عام الوكالة باتهام إيران بالتستر على نشاطاتها المذكورة، ما أدى بالتالي إلى اثارة الشبهات حول نشاطات إيران وضرورة إحالة الموضوع على مجلس حكام الوكالة لمناقشته. وعقد مجلس الحكام اجتماعاً في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣ تلبية لطلب مدير عام الوكالة جرى خلاله الاستماع إلى تقرير مدير عام الوكالة حول انشطة إيران النووية ودفاع ممثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ثم أصدر في ١٢ أيلول / سبتمبر قراراً شديد اللهجة بالاجماع ضد إيران. وقد بادر ممثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى مغادرة الاجتماع احتجاجاً قبل أن يصدر المجلس قراره لانه شعر بأن المناخ الذي ساد اجتماع المجلس بات ضد بلاده.

المحاور الرئيسية و المهمة للقرار

طلب القرار من حكومة الجمهورية الإسلامية:

- الوقف الفوري والكامل لعمليات تخصيب اليورانيوم؛

- التوقيع فوراً على البروتوكول (٢+٩٣)؛

- إعلان التفاصيل الكاملة لبرامجها النووية؛

- تعيين مهلة لتسوية القضية اقصاها نهاية تشرين الاول / أكتوبر ٢٠٠٣.

تحليل قانوني للقرار

- تتعارض المطالبة بوقف فوري وكامل لانشطة تخصيب اليورانيوم مع النظام الداخلي لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية (N.P.T) لأنه استناداً لادعاء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، فان عمليات تخصيب اليورانيوم في إيران مكرسة للاغراض السلمية فحسب؛

- إذا كانت المطالبة بتوقيع البروتوكول (٢+٩٣) فوراً وتحديد مهلة لذلك بشكل اقتراح أو دعوة، فليس هناك مشكلة، ولكن اذا كانت بشكل الزام وفرض (حيث يبدو إنها كذلك) فإنها تتعارض بشكل صارخ مع القوانين الدولية، لاسيما قوانين المعاهدات الدولية. إذ إن اجبار الدول على ابرام المعاهدات يعد مخالفة قانونية لانه طبقاً لأحد المبادئ القانونية ان من الشروط اللازمة لقبول أي اجراء قانوني، ومنها ابرام المعاهدات، هي الارادة الحرة للجهة التي تتخذ الاجراء. ومن هنا يمكننا أن نستشف من هذا المبدأ بشكل منطقي أن هذه الارادة لا يمكنها أن تفضي إلى الالزام إلا اذا كانت مختارة، وإلا فسيقال، كما هو مصطلح، أن الرضا معلول لعلة، وعليه، فإن المعاهدة باطلة.

تشير المادة ٥٢ من معاهدة فيينا التي تتناول قوانين المعاهدات إلى ان استخدام لغة القوة (لاجبار الدول على ابرام المعاهدات) من شأنه ابطال المعاهدات بشكل مطلق. وفي هذه الحالة الخاصة، وبما أن رفض إيران الانصياع نوعاً ما للقرار، ولاسيما عدم توقيعها البروتوكول الاضافي، سيؤدي إلى احالة القضية إلى مجلس الأمن واحتمال استخدام لغة القوة (العسكرية و غير العسكرية) من قبل المجلس، فإن مجلس حكام الوكالة هدد إيران في الوا قع باللجوء إلى استخدام القوة.

من جهة أخرى، إن اجبار الدول على ابرام المعاهدات يعد انتهاكاً لعدد من مبادئ القوانين الدولية العامة ومبدأ احترام سيادة البلدان و استقلالها السياسي، فضلاً عن مبدأ المساواة وتكافؤ الدول.

طبعاً، للاسف، انتهك مجلس الأمن الدولي هذه المبادىء المذكورة في كثير من القرارات التي اصدرها سابقاً، لاسيما بعد أيلول / سبتمبر ٢٠٠١، ومنها القرار الرقم ١٣٦٨و١٣٧٣ بشأن افغانستان. فقد طلب من جميع الدول باصرار المبادرة على وجه السرعة للالتحاق بالمعاهدات والبروتوكولات المتعلقة بمكافحة الارهاب أو عقد اتفاقيات ثنائية أو متعددة الأطراف والتعاون بعضها مع بعض في مجال منع وقمع العمليات الارهابية واتخاذ التدابير ضد الضالعين في هذه العمليات.

رغم النقاط المذكورة، يبدو اجمالاً أنه ليس أمام الدول المعنية بقرارات مجلس الأمن، وحتى مجلس حكام الوكالة، ونظراً لطابعها القطعي والالزامي، سوى تطبيقها، رغم المآخذ القانونية التي ترد عليها.

بيان طهران المشترك (٢٢/١٠/٢٠٠٣)

قامت حكومة الجمهورية الإسلامية في الفترة الزمنية الممتدة بين صدور قرار مجلس حكام الوكالة ضد إيران (١٢ أيلول / سبتمبر) حتى صدور بيان طهران المشترك (٢٢ تشرين الاول / اكتوبر) بإجراءات واسعة على المستوى الدولي من اجل اقناع المجتمع الدولي بسلمية نشاطاتها النووية. وهي اتبعت ديبلوماسية نشطة وايجابية في اوروبا الغربية، وبالاخص مع اهم اعضاء الاتحاد الأوروبي (بريطانيا وفرنسا وألمانيا). وفي النهاية لم تجد حيلة سوى إعلان استعدادها لقبول القرار، ولكن مع سلسلة من الضمانات من قبل الاسرة الدولية برفدها بالمساعدات العلمية والتقنية النووية. ومن اجل تمهيد القاعدة السياسية والقانونية اللازمة لقبول وتطبيق القرار من قبل إيران، زار وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا طهران في ٢٢/١٠/٢٠٠٣ وعقدوا جولة من المحادثات الديبلوماسية المطولة مع ممثل الحكومة الإيرانية قبل أن يوقعوا معه (الدكتور حسن روحاني) بياناً مشتركاً جاء فيه:

- بناء على دعوة حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، زار وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا إيران في ٢١ تشرين الاول / اكتوبر عام ٢٠٠٣ . واتفق المسؤولون الإيرانيون والوزراء بعد جولة من مشاورات مطولة على التدابير اللازمه لتسوية كل القضايا العالقة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في ما يتعلق بالبرنامج النووي الإيراني وتكريس الثقة للتعاون السلمي في الحقل النووي؛

- أكد المسؤولون الإيرانيون مجدداً انه لا مكان للسلاح النووي في الإستراتيجية الدفاعية لإيران، وأن البرامج والنشاطات النووية الإيرانية مكرسة للاغراض السلمية، كما أنهم اكدوا مجدداً التزام الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمعاهدة حظر الانتشار النووي، واطلعوا الوزراء على:

أ - ان الحكومة الإيرانية عازمة على التعاون الكامل مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية لمناقشة مسألة الالتزامات والشبهات العالقة لدى الوكالة بشكل شفاف وصولاً إلى تسويتها وتقديم الايضاحات اللازمة حول أي قصور محتمل ضمن اطار الوكالة واصلاح ذلك؛

ب - من أجل تعزيز الثقة مع الاخذ في الاعتبار ازالة جميع العقبات امام التعاون في الحقل النووي:

أولاً، تعتزم الحكومة الإيرانية بعد حصولها على الايضاحات الضرورية، التوقيع على البروتوكول الاضافي وبدء عملية التمهيد للمصادقة عليه. هذا وستواصل الحكومة الإيرانية تعاونها مع الوكالة طبقاً لهذا البروتوكول كخطوة تأتي بهدف التأكيد على حسن نياتها؛

ثانياً، قررت الحكومة الإيرانية التعليق الطوعي لجميع عمليات تخصيب اليورانيوم وفقاً

لتعريف الوكالة، رغم أن طهران يحق لها في اطار نظام حظر الانتشار تطوير أنشطتها واستخدامها للطاقة النووية للاغراض المدنية؛

ثالثاً، رحب وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا بقرارات الحكومة الإيرانية واطلعوا المسؤولين الإيرانيين على النقاط الآتية:

أ - اعتراف حكوماتهم بحق طهران في الاستفادة السلمية من الطاقة الذرية وفقاً لمعاهدة حظر انتشار السلاح النووي (N.P.T)؛

ب - لايهدف البروتوكول الاضافي حسب نظرهم إلى المساس بالسيادة والكرامة الوطنية أو الأمن القومي للدول الأعضاء مطلقاً؛

ج - ينبغي أن ينال التزام إيران الكامل بتنفيذ القرارات، حسب رأيهم، تأييد مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وأن يقود مجلس حكام الوكالة إلى الاقتناع بأن القضية منتهية؛

د - ترى الدول الثلاث أن هذا الأمر من شأنه فتح الطريق أمام الحوار على أساس التعاون الطويل الامد، وأنه سيجري من خلال هذه الطريق اعطاء الضمانات الكافية لجميع الجهات المعنية ببرنامج إيران لانتاج الوقود النووي. وبمجرد أن تتبدد المخاوف الدولية، ومن بينها مخاوف الدول الثلاث بشكل كامل، يمكن إيران أن تتوقع الحصول على التقنيات الحديثة وباقي القضايا الأخرى في شتى المجالات بشكل اسهل؛

- ستتعاون الدول الثلاث مع إيران للنهوض بالأمن والاستقرار بالمنطقة، بما في ذلك ايجاد شرق أوسط منزوع من أسلحة الدمار الشامل طبقاً لاهداف الأمم المتحدة.

تحليل البيان المشترك

- يعد البيان المشترك من منظار القوانين الدولية اتفاقية أخلاقية دولية تم توقيعها من قبل ممثلين مطلقي الصلاحية لاربع دول، هي إيران وبريطانيا وفرنسا وألمانيا من ناحية، ووثيقة تنص على التزام قانوني دولي من جانب واحد من قبل الحكومة الإيرانية من ناحية ثانية؛

- يكشف نص البند الاول للبيان البعد الاخلاقي للوثيقة؛

- تنص جوانب من البيان على تعهدات قانونية من جانب واحد قطعتها إيران ازاء المجتمع الدولي. إذ إن استخدام عبارات «ايدت مجدداً» و«تتعهد الجمهورية الإسلامية الإيرانية» و«قررت» و«انها ستواصل التعاون» و«الالتزام الكامل بالقرارات من قبل إيران» يكشف بشكل جلي التزام إيران بتنفيذ اجراء قانوني من جانب واحد؛

- الاعتراف بحق إيران في الاستفادة السلمية من الطاقة النووية وفقاً لمعاهدة حظر الانتشار النووي (N.P.T) لا يتضمن أية ملاحظة جديدة؛

ـ لا ينص البيان في الواقع على أي تعهد من قبل وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا والمانيا حيال إيران. فعبارات «نعد بالتعاون، نرحب بقرارات إيران، وتأييد حقوق إيران المشروعة والاعتراف بها، بامكان إيران ان تتوقع الحصول على تقنيات حديثة وقضايا أخرى في شتى المجالات بشكل أسهل» لا توحي بأنهم قطعوا تعهدات قانونية لصالح إيران؛

ـ يبدو أن استخدام عبارة «قصور إيران المحتمل» في البيان لا يخدم مصالح إيران الوطنية إلى حد ما؛

ـ الملاحظة اللافتة جداً في البيان هي ان البروتوكول الاضافي، من وجهة نظر وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا، ليس من شأنه المساس بالسيادة والكرامة الوطنية أو الأمن القومي للدول الأعضاء (ومنها إيران التي تريد الانضمام اليه)، وهذا في الوقت الذي ليس هؤلاء المسؤولين في موقع يمكنهم من تفسير البروتوكول الاضافي باسهاب، فيما يبين الرجوع إلى اهم نقاط البروتوكول المذكور آنفاً (البند ٢ـ٣) ان عمليات التفتيش دون قيد أو شرط من قبل مفتشي الوكالة من شأنها المساس بالسيادة والكرامة الوطنية أو الأمن القومي للبلدان الأعضاء.

قد يدعي مدعٍ في المقابل أن قبول الدول بأية معاهدة دولية بشكل طوعي من شأنه المساس نوعاً ما بسيادتها وكرامتها الوطنية وأمنها القومي. ولكن الانتباه إلى هذه النقطة أمر مهم للغاية، وهي أن الحديث في المورد الآنف الذكر يدور فقط حول «تحديد السيادة» لا غير. ومن هنا، فإن المواقف المعلنة لوزراء الدول الثلاث ليس لها أي اعتبار أو قيمة قانونية في مقابل النص الصريح للبروتوكول الاضافي.

إجمالاً، يبدو أن بيان طهران المشترك يعد انتصاراً سياسياً كبيراً لوزراء خارجية الدول الثلاث قبل أن يكون انتصاراً لحكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية. ويمكن رغم الانتقادات الواردة على البيان ان نعتبره انتصاراً ديبلوماسياً للجمهورية الإسلامية الإيرانية اذا ما تفهمنا الحقائق والظروف القائمة. فرد الفعل السلبي للمسؤولين الاسرائيليين وبعض المسؤولين الأميركيين، وفي المقابل رد الفعل الايجابي جداً لمدير عام الوكالة والامين العام للامم المتحدة والاسرة الدولية بشكل كلي حيال البيان هو خير دليل على هذا الانتصار.

قرار مجلس حكام الوكالة (تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣)

اثر صدور بيان طهران المشترك واعلان إيران موقفها الرسمي القاضي باستعدادها للتعاون الوثيق والجاد مع الوكالة والتوقيع على البروتوكول الاضافي، قدمت منظمة الطاقة الذرية الإيرانية تقريراً مفصلاً وشاملاً عن كل انشطة إيران النووية إلى مدير عام الوكالة الذي قدم في مستهل اجتماع مجلس الحكام في تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣ تقريراً

مسهباً عن انشطة إيران النووية وانتهاكات إيران السابقة في هذا المجال إلى اعضاء المجلس. وتضمن تقرير المدير العام إجمالاً نقاطاً ايجابية لصالح إيران. ولكن الضغوط السياسية لبعض الدول، لاسيما الولايات المتحدة الأميركية، على المجلس، وتقديم مسودة قرار ضد إيران يتضمن عزم المجلس على إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن الدولي، خلق جواً ضد إيران داخل مجلس الحكام. من جهة أخرى رفضت دول، مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا، ان يبدي مجلس الحكام رد فعل شديد اللهجة حيال إيران، كما رفضت مسودة القرار الأميركي المقترح. ودفع هذا التحدي السياسي القانوني مجلس الحكام إلى أرجاء اصدار قراره لأيام عدة، فيما بادرت في هذه الفترة أميركا من جهة، والدول الاوروبية الثلاث من جهة أخرى، إلى تعديل مواقفها، وقامت الدول الثلاث المذكورة في ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر باعداد مسودة قرار حول البرنامج النووي الإيراني من ١٢ بنداً، اخذت في الحسبان وجهات نظر أميركا والدول العظمى (لا سيما النووية) ووزعته على الدول الأعضاء في مجلس الحكام، فيما أقر مجلس الحكام القرار المقترح بالاجماع في اجتماعه الذي عقده في ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر.

نص قرار مجلس الحكام

أ - مع الاخذ في الاعتبار قرار مجلس الحكام المصادق عليه في ١٢ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣ والذي اعرب فيه المجلس عن قلقه من تخلف إيران وتقصيرها في تقديم تقرير حول المواد والمواقع والانشطة التي ينبغي لطهران الاعلان عنها التزاماً منها باتفاقات حماية معاهدة الانتشار النووي، قرر المجلس مطالبة إيران باتخاذ كل التدابير اللازمة حتى ٣٠ تشرين الاول/ اكتوبر لضمان عدم تغيير موارد استخدام المواد النووية من خلال السماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بالقيام بعمليات تفتيش والتأكد من ذلك والتعويض عن كل الانتهاكات التي اكتشفتها الوكالة؛

- مطالبة إيران بالتعاون مع الامانة العامة والمصادقة على البروتوكول الاضافي فوراً ومن دون قيد أو شرط، وتطبيقه بشكل كامل والالتزام بالعمل وفقاً للبروتوكول الاضافي حتى ذلك الموعد كاجراء لتعزيز الثقة؛

- مطالبة إيران بتعليق كل العمليات المتعلقة بتخصيب اليورانيوم وإعادة المعالجة؛

ب - مع الترحيب بالبيان المشترك بين وزراء خارجية فرنسا والمانيا وبريطانيا وامين المجلس الاعلى للامن القومي في طهران بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣؛

ج - مع الاخذ في الاعتبار والاشادة في الوقت نفسه بتقرير مدير عام الوكالة في ٩ تشرين الثاني / نوفمبر حول التزام إيران باتفاقات حماية معاهدة حظر الانتشار النووي؛

د ـ مع الاشادة بمدير عام الوكالة لمساعيه المهنية الحيادية لتنفيذ اتفاقات حماية معاهدة حظر الانتشار النووي مع إيران ولتسوية كل القضايا العالقة في ما يتعلق بالاتفاقات النووية في إيران، والتي قام بها في اطار اداء مهمات الوكالة وبنود قرار ١٢ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣:

هـ ـ مع الاخذ في الاعتبار رسالة آقازاده نائب رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ١٩ تشرين الاول / أكتوبر ٢٠٠٣، والتي اكد فيها مجدداً عزم بلاده على اعطاء صورة كاملة عن نشاطاتها النووية واطلاق سياسة التعاون الكامل والشفاف؛

و ـ مع الاخذ في الاعتبار المشفوع بالقلق الشديد حيال البند ٤٨ من تقرير مدير عام الوكالة، فإن إيران ارتكبت مخالفات في موارد متعددة ولفترة طويلة على صعيد التزامها بتعهداتها حيال اتفاقات حماية معاهدة حظر الانتشار النووي، والقاضي بتقديم تقرير حول المواد النووية وإعادة المعالجة واستخدامها، إلى جانب الاعلان عن المواقع والمنشآت التي تتم فيها اعادة المعالجة وخزن المواد المعالجة؛

ز ـ مع الاخذ في الاعتبار المشفوع بالقلق أن إيران بادرت إلى تخصيب اليورانيوم واستخلاص البلوتونيوم في المواقع والمنشآت التي لم تعلن عنها ومن دون وجود اتفاقات نووية؛

ح ـ مع الاخذ في الاعتبار المشفوع بالقدر نفسه من القلق حيال حالات الاخفاء في الماضي وانتهاك التعهدات النووية (من قبل إيران) والكشف عن معلومات جديدة من قبل إيران، والتي تم رفع تقرير حولها من قبل مدير عام الوكالة تتضمن نقاطاً أكثر بكثير وتتناقض مع المعلومات التي اعلنت عنها إيران سابقاً؛

ط ـ مع الاخذ في الاعتبار التصريحات الافتتاحية للمدير العام، والتي اشار فيها إلى أن إيران بدأت تعاوناً أنشط مع الوكالة وأعطت ضمانات للالتزام الكامل بسياسة التعاطي الشفاف؛

ي ـ مع الوقوف على أن إيران تعهدت إلى جانب الإجراءات الاصلاحية التي ستتخذها، بالاعلان عن كل المواد النووية خلال عمليات التفتيش المقبلة للتأكد من مدى صدقها؛

ك ـ مع التأكيد على ضرورة استمرار سياسة خلق الثقة والتعاون الكامل والشفاف من جانب إيران، بحيث تتمكن الوكالة من تسوية كل المسائل العالقة، وتحصل مع مرور الزمن على الضمانات المطلوبة من جانب الدول الأعضاء والحفاظ عليها؛

ل ـ يولي اهتمامه المتسم بالرضا باعلان إيران استعدادها لتوقيع البروتوكول الاضافي والالتزام ببنوده حتى انتهاء الفترة اللازمة لتوقيعه والمصادقة عليه؛

م - مع الاخذ في الاعتبار كلمة الافتتاح لمدير عام الوكالة، والتي اشار فيها إلى ان إيران عازمة على تعليق عمليات تخصيب اليورانيوم؛

ن - مع التأكيد على أن التعليق الطوعي لجميع النشاطات المتعلقة بتخصيب اليورانيوم من جانب إيران مازال يحظى باهمية استراتيجية على صعيد اعادة الثقة الدولية؛

س - مع الاعتراف بحق الدول المشروع في تنمية وتطوير واستخدام الوقود النووي للأهداف السلمية، ومنها توليد الطاقة الكهربائية، وذلك نظراً إلى حاجات المناطق غير النامية في العالم؛

ع - التأكيد على الحاجة إلى الاتفاقات النووية الفاعلة للحؤول دون استخدام المواد النووية للاغراض المحظورة التي تتعارض مع اتفاقات حماية معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، والتشديد على الدور الحيوي للمعاهدات النووية الفاعلة لتسهيل التعاون في مجال الاستخدامات السلمية للطاقة النووية؛

١ - يرحب باقتراح إيران اطلاق تعاون فاعل وردها الايجابي على المطالب المدرجة في قرار مجلس الحكام الصادر في ١٢ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣ ويؤكد ضرورة أن تعطي التقارير التي قدمتها إيران لغاية الآن صورة صحيحة وكاملة ونهائية عن برامجها النووية السابقة والحالية لكي يجري اختبار مدى صحتها عبر القيام بعمليات تفتيش لتأييد ذلك؛

٢ - استنكر بشدة مخالفات وانتهاكات إيران السابقة حيال تعهداتها بالالتزام ببنود اتفاقات حماية معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية التي جاء ذكرها في تقرير مدير عام الوكالة، ويطالب إيران باصرار الالتزام بواجباتها حيال اتفاقات الحماية نصاً و روحاً؛

٣ - يأخذ في الاعتبار بيان مدير عام الوكالة القاضي بأن إيران قامت بإجراءات معينة باعتبارها إجراءات أساسية وفورية بناء على طلب البند ٤ من قرار ١٢ أيلول / سبتمبر لمجلس الحكام؛

٤ - يطلب من مدير عام الوكالة اتخاذ جميع الخطوات اللازمة للوقوف على صحة وشمولية كل المعلومات التي قدمتها إيران حول انشطتها النووية السابقة والراهنة إلى جانب العمل على تسوية ما شابه ذلك من القضايا العالقة؛

٥ - يؤكد استناداً لوجهة نظر المدير العام ومن أجل تحقيق مثل هذا الهدف، ضرورة أن تتمتع الوكالة بنظام قوي وحيوي وفاعل لاختبار مدى صحة المعلومات، فضلاً عن بروتوكول إضافي إلى جانب سياسة منفتحة وشفافة تماماً من قبل إيران.؛

٦ - يؤكد مجدداً أن التعاون الفوري والكامل والوثيق لجميع الدول الأخرى مع الوكالة

لازالة كل موارد الغموض الباقية حول البرنامج النووي الإيراني يعد قضية أساسية ومهمة للغاية؛

٧ - تريد إيران اتخاذ واكمال جميع التدابير الاصلاحية المطلوبة بالسرعة اللازمة، والحفاظ على التعاون الكامل مع الوكالة لتنفيذ تعهداتها القاضية بالاعلان عن جميع المعلومات والسماح بعمليات التفتيش غير المحدودة، وبالتالي ابداء الشفافية والانفتاح الضروريين للوكالة لاكمال حجم ملحوظ من الاعمال اللازمة بهدف تأمين وحفظ الضمانات المطلوبة من قبل الدول الأعضاء؛

٨ - يقف على عزم إيران التوقيع على البروتوكول الاضافي الملحق باتفاقيتها النووية بكل رضا، ويؤكد مجدداً أن تحرك إيران السريع باتجاه المصادقة على البروتوكول الاضافي ومواصلة النشاط حتى ذلك الوقت يحظى بالأهمية اللازمة استناداً لبنود البروتوكول الاضافي الذي يشتمل على اعداد التقارير المتعلقة في مهلتها المحددة؛

٩ - يقرر في حال التأكد من وجود المزيد من المخالفات الجادة لإيران في المستقبل عقد اجتماع طارئ لمجلس الحكام فوراً ليناقش استناداً للظروف القائمة وارشادات المدير العام كل الخيارات المتاحة بموجب النظام الداخلي للوكالة الدوليه للطاقة الذرية واتفاقات حماية معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية؛

١٠ - يرحب بقرار إيران الطوعي تعليق كل أنشطتها المتعلقة بتخصيب اليورانيوم ويطالب إيران الالتزام بهذا القرار بشكل كامل مع القدرة على اختبار صحة ذلك، كما يدعم قرار مدير عام الوكالة قبول دعوة إيران للتحقق من التزامها بتنفيذ قرارها وتقديم تقرير حول ذلك؛

١١ - يطلب من مدير عام الوكالة تقديم تقرير شامل حول مدى تنفيذ هذا القرار حتى اواسط شباط / فبراير ٢٠٠٤ لتتم مناقشته خلال اجتماع مجلس الحكام في نيسان / أبريل ٢٠٠٤ أو قبل هذا الموعد؛

١٢ - يعتزم مواصلة ومتابعة هذه القضية.

تحليل نص القرار

بما أن مقدمة القرار يمكن الاستناد اليها فقط باعتبارها عنصراً لتفسير القرار، فإننا سنلجأ إلى تحليل نص القرار الذي يحظى بخصوصيات لازمة التنفيذ بشكل كامل فحسب.

أ- النقاط الايجابية التي تصب في صالح إيران:

- ترحيب المجلس باقتراح إيران للتعاون الفاعل مع الوكالة؛

- النظرة الايجابية للمجلس لتقرير مدير عام الوكالة حول الإجراءات المتخذة من قبل إيران في تنفيذ القرار السابق للمجلس؛

- ارتياح المجلس لقرار إيران توقيع البروتوكول الإضافي؛

- ترحيب المجلس بقرار إيران الطوعي لتعليق كل انشطتها النووية.

ب ـ النقاط السلبية ضد إيران:

- تأكيد المجلس ضرورة دراسة التقارير التي قدمتها إيران لغاية الآن للوكالة للتأكد من صحتها؛

- انتقاد مخالفات إيران وانتهاكاتها السابقة لتعهداتها بشكل جاد؛

- التأكيد على مطالبة إيران بأداء واجباتها حيال اتفاقات حماية معاهدة حظر انتشار اسلحة الدمار الشامل؛

- طلب المجلس من مدير عام الوكالة اتخاذ التدابير اللازمة للتحقق من شمولية وصحة جميع المعلومات التي قدمتها إيران؛

- تأكيد المجلس ضرورة اقامة نظام قوي وحيوي وفاعل للقيام بعمليات تفتيش والتأكد من صحة ما أعلنته إيران؛

- تأكيد المجلس التعاون الفوري والكامل والوثيق لكل الدول الأخرى مع الوكالة حول أنشطة إيران النووية؛

- طلب المجلس من إيران المبادرة فوراً إلى اتخاذ واكمال جميع التدابير الاصلاحية اللازمة؛

- قرار المجلس عقد اجتماع فوري واتخاذ الإجراءات اللازمة اذا ما لاحظ في المستقبل مزيداً من المخالفات الجادة من قبل إيران؛

- على إيران التحرك بسرعة باتجاه المصادقة على البروتوكول الاضافي، وأن تواصل حتى ذلك الوقت تعاونها الفاعل مع الوكالة؛

- مطالبة إيران بمواصلة تعليقها الطوعي لنشاطاتها النووية؛

- الطلب من مدير عام الوكالة تقديم تقرير شامل حول مدى الالتزام بتطبيق هذا القرار إلى مجلس الحكام حتى اواسط شباط/ فبراير ٢٠٠٤ لكي تتم مناقشته في اجتماع المجلس خلال شهر نيسان / أبريل ٢٠٠٤ أو قبل ذلك الموعد.

تقويم كلي

نجد في عالمنا المعاصر أن تقدم علوم وتقنيات المعلوماتية والاتصالات والحركة الحرة والسريعة للمعطيات في كل المجالات على المستوى العالمي، حوّل الكرة الارضية إلى قرية عالمية يجد فيها الاشخاص انهم ليسوا غرباء كثيراً بعضهم عن بعض، وكأن هناك علاقة قرابة عريقة تربطهم بعضهم ببعض؛ هذه القرابة اساساً قضية حسنة ومقبولة. ومن أبرز مظاهر هذه القرابة هو إقرار حقوق الانسان الذي يعد في الواقع ترجمة لحلم كبار المفكرين على مر التاريخ . ففي هذه القرية العالمية لا يعيش الاشخاص بعضهم إلى جوار بعض وتربطهم علاقات وثيقة فحسب، بل ان المؤسسات تكون قريبة بعضها من بعض وتتعايش. ومن المتيقن ان التنمية المستمرة والمطردة للمؤسسات غير الحكومية (ONG) على المستويين الوطني والدولي ودورها المؤثر والكبير في تحقيق المبادئ المنشودة للمجتمع المدني العالمي رهن بالحياة الفاعلة والحيوية في القرية العالمية.

بعيداً عن المؤسسات غير الحكومية، نجد أن الشركات الخاصة الاجنبية، لاسيما الشركات المتعددة الجنسيات، تتمتع بمكانة عالية ومرموقة في القرية العالمية حيث تقوم بتنظيم وتنسيق الشؤون التجارية لسكان القرية العالمية. وإلى الاشخاص والمؤسسات المذكورة، هناك دول ومنظمات دولية تتمتع بأنظمة سياسية - قانونية منسجمة وقوية تعمل على تنظيم وتلبية الحاجات والمتطلبات الضرورية على الصعيد الدولي بشكل جيد. على أن التعاطي المذكور، لاسيما في العلاقات بين الدول أو مع المنظمات الدولية أو المنظمات الدولية في ما بينها قد يتحول في احدى المراحل الزمنية إلى مواجهة، بل قد تتطور المواجهة إلى الصراع المسلح. ولكن ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار دوماً أن عالمنا المعاصر الذي تشهد فيه الثقافة الدولية تقدماً وتكاملاً كبيراً نسبياً لا يسمح للمواجهة والخصومة - ان وقعت - بأن تدوم لفترة طويلة، بل يحاول احتواء ذلك سريعاً وتحويله إلى حالة من التعاطي الذي تتوقف عليه حياة المجتمع الدولي وبقاؤه.

رغم الصورة الواضحة والأولية التي تم رسمها عن مجتمعنا الدولي المعاصر، فإننا نجد في بعض الاحيان أن عضواً أو أعضاء اساسيين في المجتمع الدولي (دول ومنظمات دولية) تواجه - ارادياً أو لاارادياً - قضية على الصعيد الدولي تستلزم رد فعل ديبلوماسياً حكيماً وفاعلاً وسريعاً ومناسباً من قبل ذلك البلد أو المنظمة الدولية، وإلاّ فانها قد تواجه موقفاً دولياً يتطور إلى مواجهة دولية، وبالتالي إلى أزمة دولية قد لايمكن التكهن بنتائجها. وليست قضية بعض النشاطات النووية الإيرانيه والتحديات السياسية - القانونية، وحتى التقنية بين هذا البلد والوكالة الدولية للطاقة الذرية بمعزل عن الوضع الآنف الذكر. فقد قامت إيران ببعض النشاطات النووية طيلة السنوات الاخيرة من دون أن ترفع تقارير عن ذلك إلى الوكالة ولا إلى

مفتشي الوكالة الذين انتبهوا خلال عمليات التفتيش الدورية إلى هذه النشاطات. في الواقع، إن الوكالة ترى أن إيران أخفت عن الوكالة بعض انشطتها النووية في خلال مرحلة زمنية طويلة يمكن أن تستغل لامتلاك السلاح النووي، علماً أن إيران ملزمة طبقاً للنظام الداخلي للوكالة ومعاهدة حظر انتشار السلاح النووي (N.P.T) وبالتالي اتفاقات حماية معاهدة حظر انتشار السلاح النووي، برفع تقارير إلى الوكالة حول كل نشاطاتها النووية (سواء السلمية منها أوغير السلمية).

ان مثل هذه الانتهاكات من قبل إيران، والتي اعترفت بها الحكومة الإيرانية، قادت فجأة إلى الاخلال بالتعاطي الدولي القائم بين إيران والوكالة، كما أدت إلى التقرير الرسمي لمدير عام الوكالة إلى مجلس الحكام والقاضي بأن إيران ارتكبت بعض الانتهاكات وصدور قرار مجلس الحكام ضد إيران في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٣، ما أدخل الجانبين في مواجهة دولية. ولم تقتصر دائرة هذه المواجهة في الواقع على العلاقات بين إيران والوكالة، بل اتسعت لتشمل العلاقات بين إيران والمجتمع الدولي. ومع المواجهة الاولية التي جاءت نتيجة لانتهاك إيران تعهداتها وصدور القرار الاولي لمجلس حكام الوكالة ضد إيران، بدأت الازمات القانونية بينهما ايضاً:

- من حق الوكالة نتيجة لاخفاء إيران بعض انشطتها النووية ومخالفة التعهدات الدولية أن تلزم طهران بقبول بعض التعهدات الجديدة من أجل سد الطريق أمام انتهاكات لاحقة؛

- إيران، ورغم اعترافها بانتهاك تعهداتها، فإنها تعتبر انشطتها النووية سلمية بشكل كامل وتنفي الخطر الذي يثير قلق الوكالة؛

- ترى إيران أنه لا يحق للوكالة أن تعمل خلافاً لنظامها الداخلي وسائر قواعد القانون الدولي الملزمة وأن تفرض على الدول بعض التعهدات، من بينها توقيع وابرام المعاهدات (البروتوكول الاضافي).

على كل حال، بما أن قرار مجلس الحكام هو قرار حاسم وملزم، فان إيران ملزمة بتنفيذه. ولكن الديبلوماسية الحكيمة للحكومة ساهمت في الحفاظ على منزلة ومكانة البلاد إلى حد ما جراء قبولها هذا القرار. إذ أثمرت دعوة وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا إلى إيران وما تبع ذلك من محادثات جادة ومؤثرة عن توقيع بيان طهران المشترك الذي ساهم بشكل كبير في التخفيف من حدة التوتر والضجة الدولية المثارة ضد إيران. ولكن من الناحية القانونية كانت القضية مقرونة دوماً بتحديات، في طليعتها القبول بسلسلة تعهدات قانونية دولية من قبل إيران بشكل ممارسات قانونية من جانب واحد، وفي المقابل تلتزم كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا بسلسلة تعهدات اخلاقية ـ سياسية دولية. إذ إن التعهدات التي أقرتها إيران لم تكن أكثر من التعهدات التي التزمت بتنفيذها سابقاً.

عقب بيان طهران المشترك، رفع مدير عام الوكالة تقريراً شاملاً وايجابياً نسبياً حول انشطة إيران النووية إلى مجلس حكام الوكالة، الأمر الذي خلق في هذه المرحلة تحديات قانونية واسعة بين الدول الأعضاء في مجلس الحكام، لاسيما الولايات المتحدة الأميركية وكندا واليابان من جهة، وبريطانيا وفرنسا وألمانيا من جهة أخرى، كادت أن تقضي على سلسلة الإجراءات الايجابية التي اتخذتها إيران من أجل إنهاء المواجهة واعادة المياه إلى مجاريها. ولحسن الحظ، فإن التعهدات السياسية ـ الاخلاقية، سواء الخطية منها أو الشفهية التي قطعها وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا في اجتماع طهران من جهة، ووجهات النظر الايجابية لمدير عام الوكالة ودول عدم الانحياز الأعضاء في مجلس الحكام من جهة أخرى، قادت إلى ابطال مفعول الضغوط السياسية على إيران ومنع مجلس الحكام في قراره الثاني احالة الملف الإيراني بشكل فوري وآلي إلى مجلس الأمن ، الأمر الذي جعل هذا القرار، رغم لهجته الشديدة والحازمة وما تضمنه من بنود مهمة ضد إيران، بمثابة انتصار كبير لحكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية عموماً.

ليس امام إيران راهناً اذا ما التزمت دوماً بتعهداتها الدولية ازاء الوكالة والمجتمع الدولي، سوى التوقيع والمصادقة السريعة على البروتوكول الاضافي (٢+٩٣)، كما يتعين عليها ان تكف عن كل انواع النشاطات النووية، حتى المدنية منها، وذلك حتى انتهاء مرحلة الاختبار وعمليات التفتيش من قبل الوكالة واطمئنانها إلى انشطة إيران النووية.

المراجع:

(١) النظام الداخلي للوكالة الدولية للطاقة الذرية لعام ١٩٥٧.
(٢) معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية (N.P.T) لعام ١٩٦٨، والتي تم تمديدها عام ١٩٩٥.
(٣) اتفاقية حماية معاهدة (N.P.T) بين إيران والوكالة الدولية للطاقة الذرية لعام ١٩٧٤.
(٤) نموذج البروتوكول الاضافي الملحق باتفاقية حماية معاهدة (N.P.T) بين الوكالة والدول الأعضاء في الوكالة المصادق عليه عام ١٩٩٧ من قبل مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية.
(٥) بيان طهران المشترك بتاريخ ٢١/١٠/٢٠٠٣.
(٦) قرار مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية في ١٢ ايلول / سبتمبر و٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٣.

عبد الحسين شبيب*

الخيارات الاميركية في مواجهة البرنامج النووي الإيراني

تتهم الإدراة الأميركية طهران بالسعي لتطوير قدراتها النووية لأغراض عسكرية وتصنيع وامتلاك القنبلة النووية، الأمر الذي تعتبره اخلالاً بميزان القوى في الشرق الأوسط، عبر دخول احد اضلاع «محور الشر» إلى نادي الدول النووية، وبالتالي فقدان السيطرة عليها، لان إحدى الخلاصات التي تعتمد عليها الولايات المتحدة في مقاربة هذه الموضوعات هي «ان دولة تمتلك قوة تدميرية صغيرة من الأسلحة النووية قابلة للإطلاق يمكن أن تحقق الأمل ببقائها. إذ رغم أنها تظل أقل من أن تكسب حرباً شاملة ضد الولايات المتحدة، فإنها قادرة، إذا ما هددت باستخدام أسلحة كهذه ضد القوة الأميركية المنتشرة أو ضد حلفائها الإقليميين وأراضيهم، على ردع الولايات المتحدة عن العمل ضدها»[1]. على أن ما يزيد من قلق المسؤولين الأميركيين هو أن هذه القوة الإقليمية (إيران) المتعاظم دورها في المنطقة متهمة بأنها دولة داعمة للإرهاب، وأنها تعارض عملية السلام مع إسرائيل، وترفض رفضاً جذرياً وجود دولة إسرائيل، وتقدم دعماً مادياً ومعنوياً بمختلف الأشكال لقوى المقاومة في لبنان وفلسطين، وهو ما يمثل، من وجهة النظر الأميركية ـ الإسرائيلية، تهديداً استراتيجياً وجودياً لإسرائيل، خصوصاً متى امتلكت طهران السلاح النووي. من هنا لا يستبعد بعض المحللين أن تفكر الولايات المتحدة وإسرائيل في «ضربة استباقية» لقطع الطريق على برنامج الجمهورية الإسلامية النووي. لكن يبدو ان واشنطن ـ التي تتولى معالجة الموضوع وابقاء اسرائيل في الظل بسبب حساسية المسألة ـ تواجه أزمة خيارات، خصوصاً أنها تبدو في سباق مع الوقت في ظل التقديرات المتفاوتة بشأن المدة الزمنية التي تحتاجها طهران لكي تصبح قادرة على تصنيع قنبلة نووية حسب الاتهامات الأميركية. وتتفاوت هذه التقديرات بين بضعة أشهر لبلوغ نقطة اللاعودة في البرنامج النووي الإيراني، حسب بعض التقديرات الإسرائيلية، وخمس سنوات على الأكثر

* كاتب وصحافي لبناني.

حتى تصبح طهران قادرة على انتاج القنبلة النووية، وفقاً لتقرير معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن في أحدث تقدير له بعنوان «برنامج إيران للأسلحة الإستراتيجية» أعده الخبير في المعهد غاي ساموور[٢]. ويبدو ان لدى الإيرانيين خبرات متقدمة في التقنيات النووية تمثّل أخر كشف عنها في تقرير بثه التلفزيون الإيراني أعلن فيه نجاح باحثي الوكالة الإيرانية للطاقة الذرية بعد أعمال استمرت ست سنوات في استخراج يورانيوم أكثر نقاء من مناجمها باللجوء إلى وسائل تكنولوجية حيوية تسمح بانتاج «الكعكة الصفراء بكلفة أقل بـ ١٠٠ إلى ٢٠٠ مرة»[٣]، مما يفاقم المخاوف الأميركية والإسرائيلية ويجعل للوقت قيمة استثنائية.

الخيار السياسي - العقوبات الدولية

إن إحدى الوسائل التي يتم التلويح بها من قبل الأوروبيين والأميركيين هي إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن الدولي تمهيداً لفرض عقوبات دولية على طهران، تراوح بين عقوبات من الدرجة الثانية، سياسية واقتصادية وحظر عسكري، أو عقوبات من الدرجة الأولى قد تصل إلى حد استخدام القوة ضدها، علماً أن الولايات المتحدة استندت إلى التقرير الأخير للوكالة الدولية للطاقة الذرية، والذي قدم ملاحظات حول البرنامج النووي الإيراني، وجاء فيه «أن إيران حولت أطناناً من اليورانيوم الخام في منشأة اصفهان إلى غاز يمكن في مرحلة لاحقة تخصيبه لتصنيع وقود يمكن استخدامه في صنع قنبلة». وذكر التقرير أيضاً «انه ليس بالإمكان بعد تأكيد ان إيران لا تمتلك برنامجاً سرياً للأسلحة النووية»[٤]، وذلك لإصدار قرار في مجلس حكام الوكالة يمهّد لإحالة الملف إلى مجلس الأمن. لكن تجاوز العقبات في مجلس الحكام لا يعني أنه يمكن تمرير العقوبات بسهولة في مجلس الأمن، حسبما يتضح من مروحة المواقف التي تطلقها الدول المعنية.

معوقات سياسية واقتصادية

إن الاتفاق بين الثلاثي الأوروبي، فرنسا وبريطانيا (عضوين دائمين في مجلس الأمن) والمانيا من ناحية، والولايات المتحدة من ناحية ثانية، لا يكفي للدفع بإتجاه تمرير مشروع قرار دولي ضد الجمهورية الإسلامية، لإنه يمكن من ناحية أن لا يتوافر عدد الأصوات الضرورية داخل مجلس الأمن لإصدار القرار. كما أن روسيا والصين قد تلجآ إلى استخدام حق النقض (الفيتو) لإجهاض أي قرار بهذا الشأن، وذلك ضمن حسابات متعددة لكليهما، أبرزها ان روسيا، وهي المزود الأول لطهران بالتكنولوجيا النووية، تعتبر انه ليس في مثل هذه الظروف مبرر لاحالة القضية إلى مجلس الأمن[٥]، فضلاً عن أن روسيا ليست مستعدة للتخلي عن مصدر مالي مهم وفر لها مليارات الدولارات بسبب بنائها مفاعلاً نووياً لإيران في

بوشهر، وتقديمها تقنيات عدة في هذا المجال، إضافة إلى ما قد يترتب عليه من خسائر مضاعفة جراء فسخها عقوداً ملزمة مع الجمهورية الإسلامية. أما من الناحية السياسية، فإن روسيا الطامحة إلى استعادة دورها العالمي (خصوصاً بعد النجاحات التي حققتها على الصعيد الاقتصادي)، أو على الأقل الإقليمي، ليست في وارد افتعال ازمة مع دولة يمكن ان تشكل معها تحالفاً في وجه الهيمنة الأميركية، وتسدد تالياً من حسابها للولايات المتحدة التي أخذت كثيراً من مجالات النفوذ الحيوي الروسي عبر تمددها في معظم جمهوريات آسيا الوسطى، لا سيما بعد الثورات التي حصلت في أوكرانيا وجورجيا وقرقيزيا، وهو ما أكده ديبلوماسيون في موسكو يعتبرون «أن موقف روسيا القوي المؤيد لإيران ينبع من عدم رغبتها في فقدان حليف رئيسي في الشرق الأوسط وسوق مهمة للتكنولوجيا النووية، وأن لروسيا مصالحها الاقتصادية الخاصة، وإحالة عميلها الرئيسي إلى مجلس الأمن سيؤدي تلقائياً إلى الغاء كل تعاقداتها المغرية مع إيران. كما أن موسكو لن تضيع أية فرصة لمضايقة الأميركيين»[٦].

أما الصين، ثالث أكبر مستورد للنفط في العالم منذ عام ٢٠٠٣[٧]، والشريك في المفاوضات السداسية بشأن البرنامج النووي الكوري الشمالي، فإن لديها هي الأخرى حسابات سياسية واقتصادية ليست في وارد التفريط بها والاقدام على خطوة من هذا النوع. كما أن لدى الصين ملفات عالقة عدة مع الولايات المتحدة ليست أقلها المسألة التايوانية، فضلاً عن النزاعات التجارية[٨]. على أن من بين هذه التعقيدات برز عنصر آخر من شأنه أن يعرقل المساعي الأميركية لفرض العقوبات على إيران، ويتعلق بالنتائج الكارثية التي أفضى إليها اعصار «كاترينا» الذي ضرب ثلاث ولايات اميركية وألحق خسائر فادحة تجاوز تقديرها الأولي المئة مليار دولار، وأحدث أزمة نفطية عالمية دفعت بسعر البرميل إلى عتبة السبعين دولاراً، واجبر إدارة جورج دبليو بوش على اللجوء إلى الاحتياطي النفطي الاستراتيجي للمرة الأولى منذ حرب الخليج الثانية[٩]، كما دفع وكالة الطاقة الدولية إلى السماح باستخدام جزء من مخزوناتها الاستراتيجية النفطية لمواجهة الأزمة المستجدة، وبالتالي فإن السوق النفطية العالمية لا تتحمل خطوة مثل فرض عقوبات دولية قاسية على إيران، لأن من شأن ذلك أن يرفع سعر البرميل إلى حدود خيالية، إذ إن إيران تنتج يومياً أربعة ملايين ومئتي ألف برميل، وهي المصدر الثاني في منظمة «أوبك»، ورابع أكبر منتج للنفط في العالم، وتمتلك ثاني أكبر احتياطي عالمي من النفط والغاز. وفي المقابل تشكل إيران سوقاً جذابة للإستثمار الأجنبي في حقولها النفطية. إذ تسعى طهران لزيادة انتاجها اليومي إلى سبعة ملايين برميل بحلول عام ٢٠١٥، وهو ما يغري كثيراً من الشركات الأوروبية والآسيوية الطامحة، في حين ان الشركات الأميركية تدفع منذ بدء فرض العقوبات الأميركية

على إيران ثمناً باهظاً جراء اقصائها عن هذه السوق وتركها لمنافساتها من جنسيات مختلفة، أوروبية وغير أوروبية[١٠].

معوقات تقنية وقانونية

إن الشق الآخر الذي يلجم التصعيد عبر مجلس الأمن هو أن قطع خطوط الاتصال مع طهران وإنهاء عمل الوكالة الدولية للطاقة الذرية بسبب أية عقوبات من أية درجة كانت يجعل البرنامج النووي الإيراني بعيداً من أية رقابة دولية، وهو ما هددت به طهران خلال المداولات لإصدار قرار مجلس حكام وكالة الطاقة، الأمر الذي يتيح لإيران فرصة المضي بمشروعها، وربما تصل إلى قرار بتطويره، بحيث يمكن استخدامه لأغراض عسكرية، وذلك كرد على الخطر الذي ستعتبر أنه يتهددها، وبالتالي (ربما) يبرر لها التخلي عن الموقف الذي أعلنه مرشد الجمهورية الإسلامية السيد علي الخامنئي بأن بلاده لا تسعى لصنع القنبلة النووية[١١]. كما أن أي قرار يفترض أن يصدره مجلس الأمن الدولي يجب أن يقوم على مبررات قانونية وواقعية تتيح له التصرف وفق موجبات القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة. إذ لا يمكن التذرع بأن إيران تشكل تهديداً للسلم والأمن الدوليين بسبب برنامجها النووي، فضلاً عن أنها لم تخالف التزاماتها الدولية في ما يتعلق بهذا البرنامج، وسجلت أخيراً تعاوناً مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي قامت ولا تزال بأعمال التفتيش على المنشآت التي طلبتها، وان خطوة استئناف تخصيب اليورانيوم في مفاعل اصفهان لا تخرج عن التزاماتها بموجب معاهدة الحد من إنتشار الأسلحة النووية، والتي لا تحظر مثل هذا التخصيب، بل إنه يعتبر سلوكاً طبيعياً لطهران بموجب الأطر القانونية الدولية التي تنظم عمل البرنامج النووي الإيراني. وفوق كل ذلك، فإن ايران تؤكد باستمرار ان هذا البرنامج هو لأغراض مدنية صرفة، وبالتالي لا يمكن الشروع في اجراء عقابي دولي بناء على افتراضات وهواجس أميركية وإسرائيلية من دون أدلة دامغة، وهو أمر غير متوافر حتى الآن. إذاً، لا أساس قانونياً يخول مجلس الأمن الدولي في حال رفع الملف إليه ان يشرع في فرض عقوبات من أية درجة، أو وصوله حد تشريع استخدام القوة ضد الجمهورية الإسلامية، وهذا ما يحول دون انخراط كثير من الدول في هكذا مغامرة، فضلاً عن ان هكذا قرار من شأنه أن يعرض السلم والأمن الدوليين للخطر. وإذا كان مجلس الأمن الدولي لم يمنح مثل هذه الشرعية للغزو الأميركي للعراق عام٢٠٠٣ وتبين لاحقاً كذب الادعاءات الأميركية بوجود أسلحة دمار شامل عراقية، وقصّر في منع الولايات المتحدة من اجتياح هذا البلد، فمن غير المبرر ان يشرع في عمل عدائي ضد بلد يشهر موقفه السلمي، وبناء على افتراضات وتوجسات وليس وقائع وأدلة.

الخيار العسكري

إذا فشلت الولايات المتحدة في الإستعانة بمجلس الأمن، فهل تقدم على عمل عسكري آحادي، بعدما تبين ان العقوبات الاقتصادية والسياسية من طرف واشنطن لم تضر بطهران بقدر ما أضرت بالمصالح الأميركية، وخصوصاً الشركات الأميركية؟

رفض الرئيس الاميركي جورج بوش استبعاد اللجوء إلى القوة لوضع حد لطموحات ايران النووية، وذلك في معرض تعقيبه على قرار إيران رفع الاختام عن منشآتها في اصفهان واستئناف تخصيب اليورانيوم[١٢]، وهو ما يشكل إشارة تصعيدية في خطاب واشنطن تجاه طهران. ويبدو هذا التصعيد مرتبطاً ليس بقرار استئناف التخصيب فحسب، وإنما بمنسوب الثقة العالي الذي أرفقته الجمهورية الإسلامية بالقرار، وباللغة الإيرانية عالية النبرة التي قطعت مع المناورات الأوروبية بعدما قدم الثلاثي، الألماني - الفرنسي - البريطاني، عروضاً «غير لائقة» لطهران عقب أشهر من المفاوضات، والتي أعلنت تمسكها بحقوقها في التخصيب ورفضها التهديد وابداءها عدم اكتراثها بالتلويحات المستمرة بإحالة ملفها إلى مجلس الأمن وفرض عقوبات ضدها، معتبرة أن هذا الزمن قد ولى، الأمر الذي أُعتبر تحدياً من الطرف الإيراني للآخرين[١٣]. وربما كان يقصد الرئيس بوش من خلال تصريحه أنف الذكر استخداماً «إيجابياً» للقوة الأميركية المنتشرة على التخوم الإيرانية في العراق وأفغانستان وفي مياه الخليج. إلا أن منسوب اللامبالاة العالي الذي تعاطى به الإيرانيون ازاء تهديد بوش يعكس إدراكاً منهم للصورة الكاملة للقوة الأميركية وامكانياتها الراهنة في المواجهة من جهة، وتعبيراً عن امكانيات وقدرات ايران العسكرية والأمنية في التصدي لمثل هكذا خطوات من جهة ثانية. وعلى أية حال، فإن معطيات رئيسية عدة تحول دون شروع الولايات المتحدة في عمل عسكري ضد المنشآت النووية الإيرانية حتى الآن، رغم السباق المحموم مع الوقت. ومن هذه المعطيات التعثر الأميركي في العراق. إذ إن لدى القيادة الإيرانية تصوراً واضحاً عن حقيقة المأزق الذي تعانية إدارة بوش هناك، إذ بدأت ترتفع داخل الولايات المتحدة الأصوات الداعية إلى سحب القوات الأميركية من هذا البلد في أسرع وقت ممكن[١٤]، بعدما أدخلته في موجة من الفوضى والعنف أدت إلى تكبدها خسائر فادحة في أرواح جنودها، وأخفقت في نقل العراق إلى مرحلة من الإستقرار وإقامة نظام جديد يعيش فيه العراقيون بسلام. على أن هذا التخبط في العراق يشل قدرة الولايات المتحدة على القيام بعمل عسكري آخر في الشرق الأوسط بحجم توجيه ضربة عسكرية للمنشآت النووية الإيرانية، فضلاً عن انه يجعله ساحة تصفية حسابات يذهب إليها من لديهم خلافات مع واشنطن لتصفيتها هناك بعدما أصبح بلداً مفتوحاً على كل الجبهات. والواضح ان الإدارة الأميركية منشغلة بالبحث عن خيارات لتجاوز مأزقها في العراق بعدما بلغ عدد قتلاها حداً غير محسوب، حيث قارب الألفي قتيل منذ

الغزو، وحيث سجل شهر أب / أغسطس المنصرم سقوط أكثر من خمسين جندياً اميركياً ليكون من أكثر الأشهر دموية بالنسبة للإحتلال الأميركي، وحيث تظهر استطلاعات الرأي تدنياً بارزاً في شعبية الرئيس بوش وتراجع تأييد الشعب الاميركي للحرب إلى نسب متدنية جداً. وارتفاع الأصوات المطالبة بسحب القوات التي تحتاج إلى إنفاق مليار دولار أسبوعياً[١٥].

كما أن من بين المعوقات الأخرى للخيار العسكري عدم قدرة الإدارة الأميركية على ادارة جبهتين ـ أزمتين في وقت واحد، ذلك أن هناك سؤالاً ملحاً حول قدرة الولايات المتحدة على خوض حرب ونصف أو حربين ونصف في وقت واحد ـ وإن لم تكونا حربين بالمعنى التقليدي بعدما اختبرت واشنطن نظريات ومفاهيم جديدة كـ «الحرب النظيفة والمعقمة»، وحرب «الصدمة والترويع»، و«الحروب من بعد» وزجت بأحدث التقنيات العسكرية والأسلحة فيها ـ وهو نقاش تعود جذوره إلى الستينات بشأن الدرجة الحرجة التي تقتضي الإستخدام الكامل للقوة الأميركية. وكان النقاش يفترض في حينه إمكانية مواجهة الصين أو روسيا أو كلاهما معاً، وفي الوقت نفسه وجود نزاع أصغر في مكان ما في العالم الثالث. لكن في أوائل التسعينات كان نقاش مخططي الولايات المتحدة يتركز حول فضائل وجود قوة حرب ونصف بدلاً من قوة حربين ونصف[١٦]. وقد تجدد النقاش حالياً، وإن بوتيرة ومستويات مختلفة. فالإدارة الأميركية المستهلكة، حالياً، بتداعيات ونتائج مرحلة ما بعد حرب (العراق) ونصف حرب (أفغانستان)، أظهرت اخفاقاً في مجالات حيوية اساسية، لعل ابرزها عدم توقعها واستعدادها لمرحلة ما بعد الحرب في العراق، وإن كانت قد اعتبرت أن تقديرها لمرحلة ما بعد غزو افغانستان يتيح لها الشروع في غزو العراق. لكن الحسابات الورقية غالباً ما تخفق إذا لم تحتسب تطورات غير منظورة على جبهات غير متوقعة ولا علاقة لها البتة بالأعمال العسكرية، وهو ما أضيف إلى أعباء إدارة بوش التي فوجئت بإعصار «كاترينا» وبحجم الخسائر والأضرار التي ألحقها، وما خلفه من انتقادات قاسية بالتقصير[١٧]، وما استلزمه ذلك من استدعاء قوات اميركية من العراق على عجل للمشاركة في اعمال الإنقاذ وضبط الأمن. وهذا الأمر بذاته استدعى محاولة من بوش واركان ادارته للتأكيد على «قدرتهم على إدارة أزمتين في وقت واحد، وذلك في مواجهة الاتهامات بالتقصير والأصوات التي تعالت في الولايات المتحدة، متسائلة هل تستطيع البلاد ان تقوم بعمليات عسكرية واسعة النطاق، وأعمال الإغاثة في الوقت نفسه»[١٨]. إذاً، ثمة شكوك جدية في إمكانية انتقال القوات الأميركية إلى وضع تكون قادرة فيه على إطلاق النار على أكثر من «عدو» في وقت واحد، فيما هي تتعرض لنيران «اعداء» معلومين ومجهولين في العراق، ومجدداً في أفغانستان، وما يمكن ان يحصل في سياق الحرب التي تخوضها عموماً ضد الإرهاب، ولا تعني بلداً بذاته بقدر ما تجعل الساحات التي تتواجد فيها المصالح الأميركية أهدافاً محتملة للهجمات.

إلى ما تقدم يُضاف فقدان معلومات استخبارية أساسية كعائق أساسي آخر. إذ من الواضح أن الإدارة الأميركية فيما لو كانت تعتزم القيام بعمل عسكري ضد إيران - محدود طبعاً - غير مؤهلة نظرياً وعملياً بحسب التجربة لإضافة جبهة جديدة إلى الجبهات الأخرى المفتوحة، خصوصاً أن العدو الجديد المستهدف - أي إيران - يختلف جذرياً لناحية الطبيعة والإمكانات عن العدوين السابقين (العراق وأفغانستان)، وبالتالي فإن التقديرات التي يفترض أن تدرج في أية خطة عسكرية يشوبها نقص كبير، ما يؤدي عملياً إلى عدم التمكن من وضع خطة حربية متماسكة، رغم التفوق العسكري الأميركي العالمي. وهناك إقرار أميركي رسمي ورد في تقرير لجنة مستقلة حول أسلحة الدمار الشامل أوكل إليها الرئيس بوش دراسة وضع جميع أجهزة الإستخبارات الأميركية «بعجز هذه الأجهزة عن توفير معلومات أساسية وحيوية عن البرنامج النووي الإيراني»[١٩]، تتيح لها تحديد الأهداف التي ينبغي ضربها. وهذا يعني عدم وجود لائحة أهداف دقيقة تضمن فيما لو تقرر مهاجمتها القضاء على أي أمل وأية إمكانية لإيران في الوصول إلى مرحلة استخدام تقنياتها ومنشآتها النووية لأغراض عسكرية. فالإعتقاد المتداول أن هناك مواقع سرية موزعة في مختلف أنحاء الأراضي الإيرانية، وهناك مواقع وهمية، وحتى المواقع الحقيقية الخاضعة للرقابة الدولية مبنية في أعماق الأرض، ومصممة لعدم تمكين أي عدو من استهدافها بأية وسيلة عسكرية، فضلاً عن وسائل الدفاع العسكرية الموزعة في محيط هذه المنشآت للتصدي لأي استهداف صاروخي لها.

الخيارات الإيرانية في الرد

إن هذا الافتقاد للمعلومات الإستخبارية يقود إلى صعوبة تقدير مرحلة ما بعد الضربة فيما لو حصلت، وهو أمر يحتاج بحد ذاته إلى عناية خاصة، لا سيما في ضوء الاخفاق المستمر في التجربة العراقية، رغم الفوارق بين خصائص البلدين وطبيعتهما السياسية والاجتماعية والاقتصادية. أما الوجه الآخر لإنعدام التقدير الصحيح في ما يتعلق بالخيارات المتاحة أمام الجمهورية الإسلامية في التصدي لأي عدوان على أراضيها، والتي إذا ما استعرضها الخبراء العسكريون الأميركيون والإسرائيليون، فإنها ستشكل رادعاً يحول دون إقدام إدارة جورج بوش على مغامرة جديدة، إلا إذا دفعها جموحها اليميني وتخبطها في العراق إلى الهروب إلى الأمام، ما قد يشكل عملية إنتحار للهيمنة الأميركية في العالم. فالواضح أن لدى إيران سلة من الخيارات التي قد تستخدمها مجتمعة أو منفردة أو متدرجة في الرد على أي عدوان، ولو كان محدوداً، لأن احتمال الحرب الشاملة غير وارد لدى الأميركيين. والنظرية الناظمة لهذه السلة هو أن قواعد اللعبة ستتغير في حال استهدفت المنشآت النووية الإيرانية، وبالتالي، فإن الخطوط الحمر الراهنة ستسقط، ما دامت الأمور قد فتحت على كل الاحتمالات، وهناك قواعد صراع جديدة ستنشأ وتتحكم بمسار الأوضاع. وفي ما يلي بعض الخيارات الإيرانية:

- **القوة الصاروخية الإيرانية:** إن أحد السيناريوهات المحتملة للرد الإيراني على أي عدوان تتعرض له هو استخدام ترسانتها الصاروخية القصيرة والمتوسطة والبعيدة المدى، بما في ذلك الصواريخ الباليستية. ولا يوجد شكوك لدى القيادة الأميركية في أن لدى إيران قوة صاروخية تشكل درعاً دفاعياً مهماً. لكن ليس لديها معلومات دقيقة حول حجم هذه القوة ومداها الحقيقي في ضوء العجز الآنف الذكر لدى اجهزة الإستخبارات الأميركية وغير الأميركية عن تقديم تقدير دقيق وواقعي للإمكانات العسكرية الإيرانية، وفي ظل جرعات قليلة من المعلومات الرسمية المنظمة التدفق في شأن الاختبارات التي تجريها طهران باستمرار حول الجيل المتقدم من صواريخها.

من المؤكد أن لدى إيران طرازاً جديداً من صواريخ «شهاب» المصنع إيرانياً. وتتفاوت المعلومات بشأن قوة الطراز الأحدث «شهاب ٣» ومداه الذي يبلغ الألفي كيلومتر كحد أدنى. وقد أعلنت طهران نهاية أيار / مايو ٢٠٠٥ أنها اختبرت للمرة الأولى محركاً لصاروخ «شهاب ٣»، مستخدمة الوقود الصلب وليس السائل[٢٠]، مما يعطيه مرونة أكبر في الحركة ويجعله قادراً على حمل شحنة أكبر من المتفجرات في رأسه. وبمعزل عن دقة المعطيات المتوافرة، فمن المؤكد أن هناك قدرة إيرانية مهمة جداً للرد، لا سيما أن مروحة الأهداف العسكرية الأميركية لا تحتاج إلى مديات بعيدة جداً، إذ إن كل القواعد والمنشآت العسكرية الأميركية في دولتي الجوار الإيراني (العراق وافغانستان) إضافة إلى مياه الخليج وتركيا، وصولاً إلى آسيا الوسطى، كلها تقع في مدى الصوريخ الإيرانية، وهذا ما أكده تقرير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن الصادر في السادس من أيلول / سبتمبر ٢٠٠٥، تحت عنوان «برنامج إيران للأسلحة الاستراتيجية - تقييم» حيث قدّر أن إيران تنشر نحو ٧٢ صاروخاً قصير المدى و١٢ صاروخاً متوسط المدى تصل إلى إسرائيل ومعظم ارجاء تركيا وجنوب روسيا[٢١].

أما العنصر الذي يفاقم قلق الأميركيين والإسرائيليين تحديداً، فهو أن تكون ايران قد حصلت على رؤوس نووية من السوق العالمية، إضافة طبعاً إلى قلق يتعلق بصعوبة تقدير «قدرات إيران من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية بسبب نقص المعلومات المتوافرة. إلا أن وجود الخبرات الفنية العالية في إيران يجعل احتمال وجود تلك الأسلحة وارداً»[٢٢]. وإذا كانت الجمهورية الإسلامية ترفض استخدام هذه الأسلحة في حال توافرت لديها، بسبب حرمتها من الناحية القانونية الدولية ومن الناحية الشرعية الإسلامية، فإن المخططين الأميركيين سيتحتم عليهم استعراض كل الاحتمالات، خصوصاً أن ما قد يقومون به ضد إيران لن يكون له أي اساس قانوني، وبالتالي لا يعود هناك مسوغ للتذرع بالالتزامات القانونية الدولية ما داموا قد تجاوزوها.

- **الساحة العراقية:** يسود اعتقاد واسع ومعتد به لدى الإدارة الأميركية بجميع مؤسساتها

العسكرية والأمنية والديبلوماسية والإعلامية أن هناك حضوراً إيرانياً كبيراً وفاعلاً على الساحة العراقية. وهي لا تتوقف عن تحريض العراقيين ومن يهمهم الأمر من دول الجوار ضد طهران على خلفية دورها المتعدد الأوجه في هذا البلد الذي يمر في مرحلة انتقالية خطيرة. ومن الأكيد أن هناك شبكة علاقات واسعة نسجتها الجمهورية الإسلامية مع شرائح واسعة من مختلف ألوان الطيف العراقي. وهذا الأمر كان معروفاً في أوج فترة المعارضة لنظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين لجهة احتضان طهران لمختلف فصائلها من أقصى الشمال العراقي إلى أقصى الجنوب. وإذا كانت واشنطن لا تستطيع ان تنكر حقيقة الدور الإيجابي السياسي الإيراني في العراق، فإنها ترصد تحولاً نوعياً طرأ على وسائل المقاومة التي تتعرض لها القوات الأميركية في العراق، وتحديداً العبوات الناسفة، وألحقت بها خسائر بشرية فادحة في فترة زمنية قياسية. ويعود التغيير في تكتيك العبوات إلى الثالث والعشرين من تموز / يوليو المنصرم، عندما انفجرت عبوة ضخمة على طريق مطار بغداد بعربة على متنها أربعة جنود أميركيين، ما أدى إلى مقتل الأربعة، ولم يُعثر إلا على رجل أحدهم، إذ إن العبوة كانت مصنوعة من قنابل عملاقة زنة الواحدة منها نصف طن. لكن الأمر اللافت الذي اكتشف في تقنيات المواجهة الجديدة هو زرع عبوات عدة في مكان الهجوم؛ هذه العملية اطلقت إشارة الإنذار لدى الأجهزة المختصة في جيش الإحتلال الأميركي لتفحص ما إذا كان هناك «عدو جديد» قد ظهر على أرض المعركة، من دون أن يستطيعوا الحد من الخسائر لاحقاً، وهو ما حصل مع عبوة الثالث من آب / أغسطس الماضي عندما قُتل أربعة عشر جندياً من «المارينز» دفعة واحدة في تفجير عبوة ناسفة في منطقة حديثة غرب بغداد، حيث استحقت هذه العملية وصفاً بأنها أحد اعنف الهجمات التي استهدفت الأميركيين منذ غزوهم العراق عام ٢٠٠٣، وثم في العاشر من آب / أغسطس قتل ستة جنود بعبوات وصفت بالمتطورة أيضاً، ليتأكد دخول معطيات جديدة على الساحة العراقية ثبتها رئيس الأركان الأميركي ريتشارد مايرز بقوله «أن وسائل تكنولوجية حديثة تستخدم في بعض العبوات»[٢٣]، وهو ما تناولته صحيفة **نيويورك تايمز**. إذ نقلت عن مسؤولين عسكريين وفي الإستخبارات الأميركية أن عدداً كبيراً من القنابل التي استخدمت أخيراً ضد قوافل القوات الأميركية جاءت من إيران، وأنها تتمتع بقدرة تدميرية كبيرة مصممة لتخترق الهيكل المدرع للآليات باتجاه واحد وبسرعة كبيرة، وأن صنع هذه العبوات يوحي بوجود «تعاون جديد وغير عادي بين الإيرانيين الشيعة والسّنة العراقيين». وأسهبت الصحيفة في روايتها لتقول إنه تمت مصادرة بعضها، من بينها شحنة قادمة من إيران تم اعتراضها أخيراً شمال شرق العراق. ونقلت عن مسؤولين في البنتاغون وأجهزة الإستخبارات الأميركية قولهم «إن هذه المتفجرات قد تكون أدخلت من الحدود العراقية ـ الإيرانية من طريق مجموعات تابعة لحزب الله أو من قبل أفراد في الحرس الثوري الإيراني»[٢٤].

إذا كانت مثل هذه المعلومات ـ التي تداولها مسؤولون أمنيون أميركيون كثر[٢٥] ـ صحيحة، علماً أن إيران نفت هذه المعلومات والإتهامات، واعتبرت أنها تهدف إلى تبرير اخفاقات واشنطن في العراق[٢٦]، فإن على الأميركيين، بناء على كلامهم أن يتوقعوا أن تتحول الساحة العراقية جحيماً لهم في حال قرروا الإعتداء على إيران، لأن الأخيرة ستكون معنية بالرد بوسائل تقليدية وغير تقليدية. وربما لا يعود الإيرانيون والحال هذه بحاجة إلى صواريخ بعيدة المدى لقصف الأهداف العسكرية الأميركية في العراق. ومن جهة أخرى، فإن الأميركيين معنيون بالتدقيق جيداً في رد فعل بعض القوى العراقية الرئيسة والنافذة والحليفة لإيران على أية خطوة تصعيدية ضد الجمهورية الإسلامية، خصوصاً أن الأخيرة ساهمت إلى حد بعيد في تأسيس وتوفير الدعم القوي لهذه القوى.

ـ **وسائل أخرى:** إن من بين الساحات التي يمكن أن تشكل مصدر قلق للأميركيين هي الساحة الأفغانية، البلد المجاور لإيران، وذلك خشية أن يقوم الإيرانيون بمهاجمة أهداف أميركية فيها، مباشرة أو بالتعاون مع مجموعات لا تزال ناشطة في هذا البلد ضد القوات الأجنبية فيه. وهناك تقديرات اميركية بأن لإيران قدرة على التحرك في هذا البلد غير المتماسك أمنياً، وحيث تتعرض القوات الأميركية بين وقت وآخر لهجمات زادت وتيرتها أخيراً وتلحق خسائر بها. كما سبقت سابقاً اتهامات كثيرة لإيران بأنها تقف وراء هجمات عدة تعرضت لها مصالح اميركية وإسرائيلية ويهودية في دول عدة، مثل الأرجنتين. وعليه يمكن أن يتوقع الأميركيون تعرض مصالحهم في أكثر من مكان، وخصوصاً في العالم العربي والإسلامي للخطر، لأن من يعتقد ان لدى إيران إمكانات لوجستية للضرب في الأرجنتين مثلاً من دون أن يقود أي طرف خيط إليها، فإنه يفترض أن يتوقع تكرار التجربة، لأنه في هكذا حالات، لن تعود هناك محظورات في الرد طالما توافرت الوسيلة. كما أن تفاعل قوى أخرى في الشرق الأوسط على صلة بإيران أو متعاطفة معها، قد يشكل بذاته حافزاً للإنتقام من السلوك الأميركي المعادي والمحتضن للبرنامج النووي الإسرائيلي العسكري. وفي هذه الحال، فإن الأميركيين يفتقرون إلى تقدير حقيقي وواقعي حول حجم ردود فعل مجموعات كثيرة يمكن أن تتعاطف مع الجمهورية الإسلامية بناء على خلفيات متعددة. وثمة قلق أميركي وإسرائيلي تم التعبير عنه أكثر من مرة وعلى مستويات مختلفة من أن صواريخ حزب الله تشكل عنصراً رادعاً لأية خطوة عسكرية ضد المنشآت النووية الإيرانية. ورغم ان قيادة الحزب أكدت ان «إيران قادرة على الدفاع عن نفسها»، لكنها ـ أي قيادة الحزب ـ تعتبر نفسها غير معنية بأن تطمئن أعداء إيران، وترفض إتخاذ مواقف مسبقة حيال هذا الموضوع»[٢٧]. إلا ان القلق الإسرائيلي والأميركي من استخدام هذه الصواريخ لا يمكن تبديده، وذلك على خلفية اليقين السائد في واشنطن وتل أبيب بعمق العلاقة بين حزب الله وطهران، وضرورة تفاعل الأول مع أي خطر

تتعرض له الجمهورية الإسلامية وعدم سكوته على أي اعتداء. من هنا، يبرز تحليل يوجد رابطاً بين حرص الإدارة الأميركية على تطبيق القرار الدولي الرقم ١٥٥٩ المطالب بنزع سلاح حزب الله، وذلك كتوطئة للتفكير في ضربة عسكرية لإيران، وبين السيناريوهات التي يتم تداولها حول قيام فصائل في المقاومة الفلسطينية تقيم علاقة وثيقة مع طهران بعمل انتقامي ضد أهداف إسرائيلية.

استنتاجات

لا تبدو البيئتان الداخلية والخارجية للولايات المتحدة مؤاتيتان لها في مقاربتها للملف النووي الإيراني، وهذا ما يؤكده أولاً إعراضها عن القيام بخطوات تصعيدية ضد الجمهورية الإسلامية، رغم أهمية الوقت كعنصر حاسم في إمكانية وصول طهران إلى مرحلة تستطيع فيها استخدام التكنولوجية النووية لأغراض عسكرية كما تتهمها واشنطن، وما يستوجبه ذلك من تحرك سريع، ولأنها من ناحية ثانية تركت للثلاثي الأوروبي حرية العمل ديبلوماسياً للتوصل إلى صيغة مقبولة مع إيران، ما يفسر محدودية خياراتها. ومن الممكن أن يكون التهويل الأميركي المستمر محاولة لإظهار استمرار امساك واشنطن بالقرار النهائي بشأن هذا الملف باعتبارها القوة الأعظم حالياً، في حين أن الوقائع تظهر أن الإستجابة الدولية والإقليمية للذهاب معها في إجراءات تصعيدية ضد إيران غير ممكنة عملياً، وإن كانت بعض التهديدات اللفظية تظهر بين الحين والآخر. على أن إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن الدولي لا يعني الإنتقال التلقائي إلى خطوة فرض عقوبات دولية ضد الجمهورية الإسلامية. وحتى لو تم الحصول على قرار دولي بعقوبات من الدرجة الثانية، فإن إمكانية الإستجابة لها على المستوى الدولي والإقليمي غير مضمون. وفي حين ان قراراً دولياً بتوجيه ضربات عسكرية للمنشآت النووية الإيرانية أمرٌ غير وارد إطلاقاً، فإن الإمكانات الأميركية للقيام بخطوة أحادية من هذا النوع غير متوافرة. فالحرب في العراق تلقي بظلالها السوداء على ادارة جورج بوش مع تزايد أعداد القتلى بين صفوف الجنود الأميركيين. وفي حين ان إدارة بوش تحاول أن تتجاوز محنة إعصار «كاترينا» بسبب الخسائر المادية والسياسية التي ألحقها بالبلاد، فإن طريقة التعامل معه أظهرت عجز الإدعاء الأميركي بإمكانية العمل على جبهات عدة في وقت واحد، فكيف إذا كانت إحدى هذه الجبهات إيران، بما تملكه من خيارات ردعية متنوعة؟

يتضح مما سبق أن الخيارات العسكرية الأميركية محدودة ضد إيران لأسباب استخباراتية وعملانية، وأيضاً بسبب مضاعفات هكذا خطوة على البيئة الإقليمية في الشرق الأوسط، حيث تسعى إدارة بوش إلى خفض منسوب الكراهية فيها ضد الولايات المتحدة، وباشرت لهذه الغاية في الأسبوع الأول من أيلول / سبتمبر ٢٠٠٥ عملية تجميلية تقودها

منسقة الديبلوماسية العامة في وزارة الخارجية كارين هيوز باشراف وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس. وهناك احتمالات كبيرة بحصول ردود فعل سلبية لدى الرأي العام في دول عربية وإسلامية عدة، وأيضاً لدى بعض القوى والمجموعات السياسية والجهادية، مما قد يعرض المصالح الأميركية والإسرائيلية للخطر، باعتبار أن اسرائيل هي المحرض الرئيس ضد إيران. في المقابل يبدو أن الجمهورية الإسلامية هي التي تمسك بالعصا من الوسط، إذ إنها تتمترس خلف أطر قانونية دولية تحصن موقفها وخطواتها النووية السلمية، وتجعل من أي عدوان عليها عملاً مخالفاً للشرعية الدولية يجيز لها ممارسة حقها في الدفاع عن نفسها واستخدام الوسائل المتاحة لديها، لا سيما انها تتمتع بسلة خيارات عسكرية وأمنية كثيرة تستطيع إلحاق خسائر جسيمة بالقوات والمصالح الأميركية في أماكن عدة، إضافة إلى أن أي عمل عدواني على إيران من شأنه أن يجعلها أكثر تماسكاً داخلياً، خصوصاً ان الانتخابات الرئاسية الأخيرة أعادت تمركز السلطة في يد فريق واحد وبتفويض شعبي كبير، وبالتالي فإن سوء تقدير كيفية تفاعل المجتمع الإيراني مع هكذا خطوة سيؤدي إلى مضاعفات خطيرة على المصالح الأميركية. وإجمالاً، فإن إيران التي تعرضت طيلة السنوات الثماني الأولى على انطلاقة جمهوريتها الإسلامية لحرب شرسة قادها صدام حسين مدعوماً من معظم القوى العسكرية العالمية الغربية، واستطاعت رغم عدم توازن القوى أن تتجاوز هذا القطوع، فإنها لن تألو جهداً في ابتداع وسائل الدفاع عن نفسها، وهي في أوج قوتها العسكرية وغير العسكرية.

المصادر:

(١) أرون فريدبيرغ، «مستقبل القوة الأميركية»، مجلة **الشؤون العامة والدولية**، الولايات المتحدة، عدد الربيع، ١٩٩٤.

(٢) **الحياة**، لندن، ٢٠٠٥/٩/٧.

(٣) **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٨/٣٠ وجاء في التقرير أن التكنولوجيا المبتكرة تستخدم فيها البكتيريا لتطهير المعدن قبل استخراجه، وأنها تحد من التكاليف وتزيد الإنتاج وتحمي البيئة خلال عملية استخراج «الكعكة الصفراء» المركزة لدى خروجها من المناجم.

(٤) **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٩/٢.

(٥) بيان وزارة الخارجية الروسية، **رويتر**، ٢٠٠٥/٩/٥.

(٦) **رويتر**، ٢٠٠٥/٩/٥

(٧) **رويتر**، ٢٠٠٥/٩/٧.

(٨) كان لافتاً تحذير واشنطن لبكين بشأن علاقات الطاقة مع طهران، إذ حذر نائب وزير الخارجية روبرت زوليك من أن الصين ستصبح بدرجة متزايدة في صراع مع الولايات المتحدة إذا استمرت في عقد صفقات طاقة مع دول تعتبرها واشنطن ودول اخرى مثيرة للمتاعب، مثل إيران، **رويتر**، ٢٠٠٥/٩/٧.

(٩) اللافت أن الرئيس بوش حث الأميركيين على ألا يشتروا البنزين إذا لم يكونوا في حاجة إليه لانه سيكون من الصعب الحصول على البنزين في بعض الأسواق، **رويتر**، ٢٠٠٥/٩/١.

(١٠) **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٦/١٧. عام ١٩٩٦ حاول الأميركيون حمل حلفائهم على الانضمام إليهم في فرض هذه العقوبات على إيران في إطار قانون «داماتو» الذي ينص على فرض عقوبات على الشركات الأجنبية التي تستثمر أكثر من عشرين مليون دولار أميركي في القطاع النفطي الإيراني، لكن واشنطن لم تحصد سوى خيبة الأمل.

(١١) راجع خطاب السيد علي الخامنئي في خطبة الجمعة في طهران بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٩، والذي كرر فيه أن إيران لا تسعى إلى التسلح النووي: **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٨/١٩.

(١٢) راجع تصريح بوش للتلفزيون الإسرائيلي خلال زيارته الأراضي المحتلة في الثاني عشر من آب / اغسطس الماضي، بان جميع الخيارات مطروحة، واللجوء إلى القوة الخيار الأخير بالنسبة إلى الولايات المتحدة: **رويتر**، ٢٠٠٥/٨/١٣.

(١٣) راجع تصريحات الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية حميد رضا آصفي في مؤتمره الأسبوعي في طهران، بتاريخ ٢٠٠٥/٩/٤، نقلاً عن **وكالة الصحافة الفرنسية**، وايضاً تصريح المسؤول عن الملف النووي الإيراني علي لاريجاني: المصدر نفسه.

(١٤) بيتر ماكلر، واشنطن، تقرير **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٨/٢٠.

(١٥) حول الاخفاقات الأميركية في العراق، راجع مقالة: فرانسيس فوكوياما، «اجتياح الانعزاليين»، **نيويورك تايمز**، ترجمة نسرين ناضر، **النهار**، بيروت ٢٠٠٥/٩/٧. ٢٩، وتقرير بيتر ماكلر، مصدر سابق.

المصادر:

(١٦) مستقبل القوة الأميركية، مصدر سابق.

(١٧) راجع تقرير **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٩/٣.

(١٨) راجع تصريحات بوش خلال جولته في مدينة بيلوكسي المنكوبة، نقلاً عن **وكالة الصحافة الفرنسية** ٢٠٠٥/٩/٢، وأيضاً تصريح وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد في ٢٠٠٥/٩/٦، نقلاً عن **وكالة الصحافة الفرنسية**.

(١٩) **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٦/٣٠. جاء في التقرير الذي نشرته اللجنة في آذار / مارس ٢٠٠٥ ان الولايات المتحدة تملك معلومات محدودة حول برامج تطوير اسلحة غير تقليدية في ايران وكوريا الشمالية وروسيا والصين.

(٢٠) **وكالة الصحافة الفرنسية**، ٢٠٠٥/٨/٢٣.

(٢١) **الشرق الأوسط**، لندن، ٢٠٠٥/٩/٧.

(٢٢) دون تشيبمان، مدير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن، **الشرق الأوسط**، ٢٠٠٥/٩/٧.

(٢٣) وكالة **رويتر**، ٢٠٠٥/٨/١٠.

(٢٤) **نيويورك تايمز**، ٢٠٠٥/٨/٦.

(٢٥) راجع المؤتمر الصحافي لوزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد في البنتاغون بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٠، نقلاً عن وكالة **رويتر**، وفيها اسهاب في الحديث عن العبوات الإيرانية.

(٢٦) راجع تصريح الناطق باسم الخارجية الإيرانية حميد رضا آصفي بتاريخ، ٢٠٠٥/٨/٧، نقلاً عن **وكالة الصحافة الفرنسية**.

(٢٧) راجع مقابلة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله مع صحيفة **الرأي العام** الكويتية، ٢٠٠٥/٨/٢٧.

محمد علي اذرشب*

الجواهري وإيران: في التاريخ والجغرافيا

إن الحديث عن الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري هو الحديث عن قرن من الزمان، بكل مافي هذا القرن من أحداث مرّت على مغاني الجواهري، من صراع صاخب بين العزّة والذلّة، وبين الاستقلال والاستعباد، وبين التبعية والأصالة، وبين بقايا الروح الإسلامية من جهة، وبين عمليات الغزو العسكري والمسخ الثقافي والتحطيم المعنوي من جهة أخرى. فهو شاعر عاصر وعايش وتفاعل مع كل الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية على صعيد بلده العراق، وعلى صعيد العالمين العربي والإسلامي.

إن الحديث عن "الجواهري في إيران" ذو شجون، يمتد إلى مساحات مختلفة من قضايا الأدب والسياسة والمجتمع، ويتناول في جزء منه تأثير إيران في الأدب والأدباء العرب، ولقد تناول الباحثون تأثير إيران في أبي تمام والمتنبي، وقد تحدث الجواهري نفسه عن تأثير إيران في شعره. كما أن الحديث عن الجواهري في ايران يكشف حقيقة ارتباط شعبين جارين شاء الله أن يكون بينهما صلات عميقة في النسب واللغة والدين والعادات والتقاليد، وشاءت القوى المتجبرة لهما أن ينفصلا، وأن يقوم بينهما جدار سميك من الحساسيات النفسية، وبل من الصراع الدموي المؤلم.

تكشف دراسة الجواهري نفسه ووجوده في إيران - إلى ما فيها من متعة - حقائق أدبية وثقافية نحن بأمسّ الحاجة لأن نعرفها، ونحن نسعى لاستعادة وجودنا على الساحة العالمية.

نسب الجواهري

أول ما يهمنا معرفة ارتباط الجواهري بإيران نسباً، علماً أن هذه المسألة كانت من أهم الإثارات - مع شديد الأسف - في حياة الجواهري كما سنرى. لكن لا بد من أن نذكر أولاً أن

* ـــ أستاذ في جامعة طهران.

إيران والعراق كانا قبل النزاع الصفوي ـ العثماني، وقبل الغارة الأوروبية على العالم الإسلامي، بلداً واحداً لا تفصل بينهما سوى التضاريس الجغرافية التي ما كانت تستعصي على المترددين بين البلدين. ولذلك نجد في تاريخ العلماء والأدباء، تردداً مستمراً بين البلدين. ولا شك أن عامة الناس كانوا ينعمون أيضاً بهذه الحرية للزيارة والسياحة وطلب الرزق. ومن الطبيعي أن يخلق هذا الامتزاج اختلاطاً في الأنساب حتى باتت كثير من الأسر تستوطن في مكانين، بعض أعضائها في إيران وبعضهم الآخر في العراق، لدرجة أنه كان يتعذر غالباً أن يعرف أصل الأسرة أهو من إيران أم من العراق. على أن هذه الظاهرة طبيعية ومشهودة في جميع أرجاء العالم الإسلامي، وخاصة بين أقطاره المتجاورة، وذلك قبل رسم الحدود، وفرض القيود.

عندما نشب النزاع بين الدولتين الصفوية والعثمانية، بسبب مصالح الحكم والتدخل الأجنبي، رسمت الحدود بين البلدين، وأصبح المواطنون في كل من البلدين يحمل جنسية عثمانية أو إيرانية. غير أن اختلاف «الجنسية» هذا لم يمنع أيضاً من استمرار الامتزاج، فهو أعمق من أن يمنعه اختلاف هوية الأحوال الشخصية أو حدود مرسومة على الخرائط.

نعود إلى نسب عائلة الجواهري، ونقول إنها من العوائل التي استوطنت في إيران والعراق، ومن العبث البحث عن أصلها أهو إيراني أم عراقي، لأنها من العوائل التي اتخذت من العراق وإيران موطناً لها. وكانت الروح العلمية والإسلامية السائدة لدى رجالها تأبى عليها أن تقف وراء السدود والحدود المصطنعة، فترى إيران والعراق لها وطناً على حدّ سواء. لم لا، والإسلام دعا أبناءه ليروا «الكون بأسره لهم وطناً».

صاحب الجواهر

أشهر أعضاء أسرة الجواهري هو الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبدالرحيم بن آغا محمد الصغير بن عبدالرحيم الشريف الكبير، صاحب كتاب **جواهر الكلام في شرح عقائد الإسلام**، وهو كتاب فقهي عظيم في ٤٤ مجلداً. وقد سميت العائلة باسم صاحب الجواهر هذا، وأطلق عليها لقب الجواهري. وهو توفي في النجف الاشرف سنة ١٢٦٦ هجرية. وأول من يلقانا من هذه الأسرة في النجف هو عبدالرحيم المعروف بالشريف الكبير الذي هاجر إلى النجف لطلب العلم، وتوفي فيها أوائل القرن الثاني عشر.

التبعية الإيرانية

المعروف أن هذه الأسرة في النجف كانت تحمل الجنسية الإيرانية منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ويذكر لنا الشيخ محمد رضا المظفر قصة تسجيل الأسرة بالتبعية

الإيرانية[1]. فيقول: «وأما تسجيل أسرة الجواهري بالتبعية الإيرانية، فقد حدث متأخراً كسائر الأسر النجفية الأخرى لاجل التخلص من الجندية الإجبارية في عهد الأتراك». على أن لهذا الأمر قصة طريفة خلاصتها أن الحكومة العثمانية شددت في إحدى السنين على تجنيد الناس بالنجف وطلبت من المرحوم الشيخ علي الجواهري المتوفي ١٣١٨هـ، حفيد الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المعروف بـ «علاوي» أن يحضر المشمولين من أسرته. وحينما رأت دائرة التجنيد تباطؤه، أرسلت ثلة من الشرطة (الجاندرمة) وهو في المسجد للصلاة فأخذوه مخفوراً. وكان طريقهم على دار رئيس البلدية يؤمئذ الحاج محمد سعيد شمسة، الذي كان واقفاً على باب داره لاستقبال الناس لمجلس التعزية عنده، فلما رأى الشيخ وقد حفت به الشرطة وقع عليه مقبلاً يديه ونهرهم وأخذ بيده إلى أن أدخله المجلس. ولما علم أهل النجف بهذا التحدي، ثارت ثائرتهم وعطلت الأسواق وتجمهروا، ما اضطر القائم مقام إلى زيارة الشيخ في ديوانه (براني آل الجواهر المعروف) معتذراً، ولكن التدابير سبقته. فقد عزم الشيخ أن يسجل أسرته بالتبعية الإيرانية مع أسر أخرى نجفية رغبت في ذلك، وأرسل إلى القنصل الإيراني للحضور، فاتفق حضوره في وقت حضور القائم مقام، فتشادا في الأمر ومنعه القائم مقام من التسجيل، فرفع القنصل قلنسوته (الكلاه) وأقسم ألا يضعها على رأسه قبل تسجيل أسرة الجواهري بالتبعية الإيرانية. وهكذا استمر الجدال، ما اضطر المرحوم الشيخ جواد نجل الشيخ علي أن يسافر في يومه إلى بغداد، وهو يؤمئذ ابن خمس وعشرين، واتصل هناك بالسفارة الإيرانية، وبالمقام العالي بالاستانة، فاهتمت الحكومة الإيرانية بالأمر، وأوعزت إلى ممثلها لدى الباب العالي أن يفهم الحكومة العثمانية بضرورة الخضوع لهذا الأمر. أما السلطان، فقد أوعز إلى والي بغداد أن يترك هذه الأسرة وباقي الأسر النجفية الطالبة للتبعية الإيرانية وشأنها. ولكن الوالي لم يحفل بأمر السلطان، والسلطان يكرر عليه الأمر ثلاث مرات وهو مصرٌ على عناده، ما أثار حفيظة الحكومة الإيرانية حتى قطعت علاقتها بالحكومة العثمانية وأمر الشاه ناصر الدين سفيره في الاستانة بإنزال العلم. وعندما رأى السلطان ذلك، أرسل إلى العراق رسولاً خاصاً بهذه المهمة، جاء مع الشيخ جواد إلى النجف وحلّ ضيفاً عليه، فسجلت الأسرة بحضوره وحضور القائم مقام والقنصل في ديوان آل الجواهر، كما سجلت كثير من الأسر كآل الصافي وآل سميسم في ذلك المجلس.. ووجه الشيخ جواد كلاماً قارصاً إلى القائم مقام مهدداً له بالتحاق جميع رعايا الدولة العلية بإيران إن بقى موظفوها على مثل هذه الغطرسة. وكان ذلك الموقف باكورة أعمال الشيخ جواد، ومنه ارتفع شأنه وعلا صيت فعاليته. ولاشك أنه سجل بذلك نصراً مبيناً للحوزة العلمية بالنجف وللحكومة الإيرانية معاً، ذلك أن النجف التي هي مرجع تقليد الأقطار الشيعية وقبلة أنظارهم كانت موضع عناية الحكومة الإيرانية واعتزازها، فكيف إذا طلب عيون أهلها التبعية لها والالتحاق، لاسيما وأن النجف كانت تلاقي من اضطهاد الدولة العثمانية ما لا يوصف، ولم

يكن شيء يقف في وجهها غير تعهد الحكومة الإيرانية بصيانة العتبات المقدسة وأهلها، ولولا ذلك لنسفوها نسفاً وما أبقوا فيها دياراً".

الجواهري في زيارته الأولى والثانية لإيران

كان للجواهري في العشرينات زيارتان لإيران، الأولى سنة ٢٤ والثانية سنة ٢٦، وفي هاتين السفرتين أنشد أجمل قصائد، وهي: «**على حدود فارس**» ومطلعها:

أحبـابنا بين محـاني العراق كلفتم قلبي مـا لا يطـاق(٢)

و«**الذكرى المؤلمة**» ومطلعها:

أقول وقـد شاقتني الريح سحرة ومن يذكر الأوطان والأهل يشتق(٣)

و«على كرند»، وكرند مدينة على الحدود الإيرانية العراقية، ومطلعها:

خليلـي أحسـن مـا شاقني بفارس هذا الجمال الطبيعـي(٤)

وقصيدة «بين قطرين» ومطلعها:

سقى تربها من ريق المزن هطـال ديار بعثن الشوق والشـوق قتال(٥)

وقصيدة «الأحاديث شجون»، ومطلعها:

جددي ريح الصبًا عهـد الصبـا وأعيدي فالأحاديـث شجـون(٦)

وقصيدة «البادية في إيران»، ومطلعها:

بهجـة القلـب جلاء البصر هذه الأرياف غـب المطـر(٧)

وقصيدة «**على دربند**»، ودربند مصيف شمال طهران، ومطلعها:

أحبتنـا لـو أنزل الشوق والهوى على قلب صخر جامـد لتصدعا(٨)

وقصيدة «بريد الغربة»، ومطلعها:

هـب النسيـم فهبّت الأشواق وهفا إليكم قلبـه الخفّـاق(٩)

وهي القصيدة التي تتضمن دعوة لإيران لكي تنتفض من رقدتها وتتطلع إلى الفجر المرتقب:

يا بنت «كومورث» أقلي فكرة وتطلعـي تتبيني الفجـر الذي

فلقد أضرّ برأسك الإخفاق تتوقعين وتنجلـي الآفـاق

كما أنها القصيدة التي أثارت حوله ضجة طائفية وسمته بالشعوبية بسبب بيت جاء فيها:

لي في العراق عصابة لولاهم ما كان محبوباً إليّ عراق

وسنذكر قصة هذه الضجة في حديثنا عن الطائفية في ذكريات الجواهري.

ومن قصائده في إيران أيضاً: «في طهران»، ومطلعها:

ما انتفاعي بغيض هذي الدموع والجوي ملء مهجتي وضلوعي(١٠)

وقصيدة «الخريف في فارس»، ومطلعها:

يا هائجين لخريف فارس ما تصنعون لو أتى ربيعه

أما تأثير إيران في شعر الجواهري فنترك الحديث للجواهري نفسه ليبين مدى هذا التأثير، وليوضح دعوته إلى التفاعل بين الأدبين العربي والفارسي باعتباره السبيل الوحيد لنهضة حديثة حقيقية للأدب العربي، بدل التفاعل غير الطبيعي بين الادبين العربي والغربي. وهو يقول معلقاً على رسالة وردته بشأن ترجمات من شعر حافظ الشيرازي تحت عنوان «كنوز الفرس»(١١) نشرها في جريدتي النجف والفضيلة في العشرينات

«بعد السلام...

«وبعد.. فجواباً عن سؤال صديق عليّ عزيز فيما يتعلق بنشراتي المتوالية على صفحات «النجف» الأغرّ والمعنونة بـ «كنوز الفرس» وطلبه مزيد الإيضاح عنها.. بعد الشكر على عنايته بها وإعجابه فيها مما أعده مشجعاً لي على مواصلتها أقول: لقد كان لوجودي في طهران عاصمة الفرس مدة صيف سنة (٤٣) و(٤٥)(١٢) الفضل الأدبي الذي لا ينسى.. فقد لطّف أوضاع هذه المملكة الروحية، وأذواقها النفسانية من روحي وذوقي التلطيف المحسوس واستطاعت بما أوتيت من صفاء جو، واعتدال مناخ، وعذوبة هواء، وجمال طبيعي التأثير في هذه الروح العراقية تأثيراً قرّ بها من روح حافظ وسعدي والخيام والفردوسي والنظامي وبالأخير من روح عارف وايرج، وعرفانهم لحد المشاركة في الذوق والفن والمشاطرة للعواطف والميول.

«وبدافع الإعجاب بهذا الفضل، والاعتراف بالتأثير أقول: إن «على العراق العجمي» و«على كرند» و«البادية في ايران» و«الطبيعة في فارس» في الأولى.. و«فارس الجميلة» و«شمران العروس» و«يوم في دربند» في الثانية هي أعز ما ضمنته مذكرتي الشعرية، وأنفس ما عرفته صفحاتها.. ففي هذه المقاطيع، وقليل من غيرها، استطعت أن أعرف ما هو الشعر الطبيعي، وكيف تثور النفس الشاعرة، وتختلج الفكرة، ويدب المعنى، ويختلق النفس.

«ولما كنت مدة بقائي هذين الصيفين هناك مضطراً إلى التحدث عن الأدب العراقي مع

شذوذ من أدباء الفرس بصفتي أحد المتطفلين عليه، وطبعاً كان يجرّ ذلك إلى التحدث عن الأدب الفارسي والمقابلة بينه وبين تربيه ونسيبه الأدب العربي . فقد عدت وأنا أعتقد، بالدليل والبرهان، أن أبواب الشعر الخالد من وحي والهام وقريحة ثرة هي مفتوحة في وجه الشعر الفارسي أكثر منها في وجه الشعر العربي.. ومعتقد أيضاً بوجوب انصراف الغيورين على الآداب العربية، والمتطلبين التوسع والتجدد فيها، والساعين لإنهاضها من كبوتها، ولإنعاشها من انقباضها إلى تقريب هذه الروح الشرقية، روح «طهران» من الروح العربية عوضاً عن جلب ما لا يتناسب وإياه من روح لندن وباريس وموسكو وروما وجذبه بالحبال، خصوصاً أن القرب بين قواميس اللغتين، واندماج بعضهما في بعض، ووجود العارفين بهما من كلا الطرفين أكثر من أي لسان آخر.. وتجانس الأمتين في كثير من الأخلاق والعادات، كل ذلك وغيره مما يشجع هذه الفكرة ويرغب فيها.

«وإجابة لهذا الداعي، وامتثالاً لهذا الواجب، جربت قلمي في هذا العنوان: كنوز الفرس.

«ومع أن كل ما نشر إلى الآن وكل ما عندي منه مما لم ينشر بعد هو الحفاظ فقط، فقد وضعت العنوان ولم أخصصه بشاعر واحد من الفرس إباحة لدخول غيره منهم في هذا المضمون، ممن يستحسنهم ذوقي ويلائم شعرهم طبيعي.

«هذا وقد كنت حين عنونت هذه المقتطفات (وهذا اسمها بعد اليوم) بهذا العنوان، معتداً على فهم القراء والسامعين .. ولكن طلب هذا الأخ الأديب واحتمال وجود كثيرين مثله ممن يرمون زيادة في البيان بكلمتي هذه، مبيناً فيها أن كل ما أنشره تحت هذا العنوان فإنما هو ترجمة من دواوين الفرس ومجاميعهم الأدبية.

«هذا ولابد أن أتدارك بعد اليوم ما فاتني قبله، من تصدير هذه المقتطفات بمقدمة أتفاهم فيها مع القراء الكرام عن مسلك حافظ الشيرازي وغيره من الأدباء ومذاهبهم الشعرية والفلسفية والاجتماعية.. وأغتنم فرصة هذه المناسبة لأعلن إعلاناً عاماً لكل من يتصادم فيه هذه المقتطفات بما لا يرتأي أو يستحسن من أفكار وآراء، أنني ليس لي من غرض خاص يحملني على نشرها سوى الخدمة الأدبية اللغوية، وفيما أنشره، في الضمن، من الآراء المقررة والقوانين العامة المتفق عليهما ما يبرر ذلك.. وكل ما يأتي من ذلك القبيل فهو واسطة لا غاية».

مأساة الطائفية في ذكريات الجواهري

رحل الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري، بعد أن خاض تجربة حياتية تقرب من القرن وفيها شاهد كل ما مر على بلده والعالم العربي والإسلامي من مآس، ومن تلك الأحداث الطائفية البغيضة التي شهدها بلده فاكتوى بها وسجلها على بعض صفحات ذكرياتي. وتشكل وثائق مهمة عن هذه الظاهرة وعمن وراءها من رموز مشبوهة عبثت بمقدرات هذا البلد المسلم.

تبدأ قصة اكتواء الجواهري بنار الطائفية من قضية الجنسية العراقية. والمقصود بالجنسية هو الوثيقة التي يحملها المواطن لكي يثبت بها انتماءه إلى وطنه. وحين رُشّح الجواهري للعمل مدرساً في المدرسة الثانوية كان عليه أن يبرز الجنسية ولم يكن يحملها، لأن العراقيين كانوا مصنفين آنئذ إلى عثماني يحمل الجنسية العثمانية أيام سيطرة الدولة العثمانية على العراق، وهو الذي يحق له بحكم قانون الجنسية العراقي أن يحمل الجنسية العراقية بعد الاستقلال، والى غير عثماني، وهو من أبى لاسباب عديدة[١٣] أن يحمل الجنسية العثمانية، فاعتبره القانون غير عراقي!! وهذا القانون ينطوي على مؤامرة طائفية مدروسة، لأن أغلب شيعة العراق أبوا حمل الجنسية العثمانية، فاعتبرهم القانون غير عراقيين.

يتحدث الجواهري عن قصته في الفصل الثالث من الجزء الأول من **ذكرياتي** فيقول[١٤]: «تلقيت في أوائل عام ١٩٢٧ وأنا في مدينتي النجف من صديقي باقر الشبيبي يخبرني، أنني مرشح للتدريس في إحدى ثانويات العراق، وكان ذلك خبراً طبيعياً ، لكن الشيء الذي فاجأني مفاجأة لا تخطر على بالي بحال من الأحوال أن يكون شرطاً في ذلك تقديم الجنسية العراقية. تلقيت أوراقاً هي بحد ذاتها غريبة عليّ، بعيدة عني، أوراقاً لا أكاد أصدق ما فيها، واحدة منها كانت استمارة بتعداد المذاهب والأديان والجنسيات، وفيها أكثر من عمود يحمل تساؤلاً هل أنت عراقي؟ مفهوم أنني عراقي، ثم وبالحرف الواحد، هل أنت مسلم؟ طبعاً مسلم. والمفاجأة الأخرى التي توقفت عندها بأكثرها من غيرها: هل أنت شيعي؟ هل أنت سني؟ وهذه كلها وثائق محفوظة لدى وزارة المعارف الآن، وبالنص .. وكان كل ذلك في عهد ساطع[١٥]، وهو أول مدير للمعارف في العراق. تسلمت الأوراق فجأة وبكل بساطة كتبت مستهزئاً وساخراً بأكثر من تساؤل وعلى سبيل، سؤال: ماهي شهادتك المدرسية؟ كتبت ان شهادتي «لا اله إلا الله»، كما أجبت على سؤال عن شيعيتي، أجل أنا مسلم، وعن سنيتي بمثلها. أجل أنا مسلم . وعن عراقيتي، وهنا أحب أن استوقف القارئ، أجبت: إنني هندي!!».

يتألم الجواهري من هذه الظاهرة التي قلّ لها نظير في العالم، ويتحدث عنها باعتبارها مظهراً من مظاهر الحقد الطائفي في بلده، ويقول[١٦]: «طفت بكل البلدان العربية وسألت في بلدان عديدة أخرى عما إذا كان يوجد في أي مجتمع نظير لمثل هذه الفضيحة، أن يكون أهل البلد بعد انحسار الاحتلال الاجنبي، أجانب في التبعية اذا لم يثبت تمتعهم بجنسية الاجنبي المحتل، فلم أجده، ولا اعتقد أن هناك من يقدر أن يرد عليّ ويورد مثالاً لذلك في كل ما وجدته قبل هذا وأنا في عزّ شبابي في النجف وتوسعت فيه بعد ذلك. إن من يولد بمجرد الولادة في أمريكا، فهو على حق من أن يرشح نفسه لرئاسة الجمهورية وأكرر هذه الكلمة - رئاسة الجمهورية - وأنا في براغ وما أزال حتى يومي هذا، فإن من تضعه أمه في طائرة تحلق فوق سماء براغ وتحط فيها فهو بحكم دستورها، جيكوسلوفاكي لمجرد ولادته في سمائها وليس على ترابها حسب.

«لماذا نذهب بعيداً؟ والمثال الشاخص بين أيدي القرّاء في هذا اليوم: إن كسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة هو من مواليد ألمانيا، وقد التحق هو بنفسه لا بأبيه ولا بأمه ليصبح وزيراً لأهم وزارة في موطنه الجديد. وبأكثر من هذا كله وبأقرب موعد منه، فالمرشح اليوم، وأنا في الشهر التاسع من عام ١٩٨٨ لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الامريكية هو من أبوين فقيرين من اليونان.

«لقد استمرت السلطة تلعب لعبة الطائفية في العراق، وتشد الأوتار في هذه اللعبة المفضوحة، وفي عهد عبدالسلام عارف بدأت حملة استهدفت إفراغ العراق من أبنائه من الشيعة، قدر الامكان، وأقول هذا لأجل الحقيقة وإدانة لهؤلاء الناس الذين لا يكفون عن زرع هذه السموم في هذا البلد.

«أقول هذا وأنا أتساءل عمن سيبقى في العراق من أهل البلد وسكانه بعد هذا التفريغ المصطنع، وبعدما يفترض مما أن يكون الشك في أصل التجنس أو طالب شهادة الجنسية يتساوى في الحالين. فقد يكون حامل الجنسية الايرانية من أصل إيراني فعلاً، بالقدر نفسه من الاحتمال والترجيح والامكان، يمكن أن يكون حامل الجنسية العثمانية تركياً وغير عراقي أيضاً! ذلك لأن العراق كان ولاية تركية لأكثر من أربعة قرون، فكان من الطبيعي والمتوقع، بل والمفروغ منه أن تتوافد عليه أعداد كبيرة من الاتراك الحقيقيين والاصليين، وأن يعيش هؤلاء في العراق ويندمجوا بأهله وينسوا لغتهم الاصلية فيصبحوا عرباً كغيرهم من أهل البلد، ثم أن يحملوا الجنسية العراقية فيما بعد وفقاً لقانون الجنسية العراقي الذي شرع بعد إقامة الدولة العراقية. ومع ذلك لم تبحث السلطات عن أمر هؤلاء الناس من ذوي الأصل التركي لابعادهم عن العراق كما فعلت مع غيرهم».

مع أن سمة التدريس في الثانوية قليلة بحق هذا الرجل النابغة، فقد عملت الاحقاد على تقليل سمته ليكون معلماً في الابتدائية، بل حتى التدريس في الابتدائية لم يخفف من غلواء تلك الاحقاد، فقدتشبث ساطع الحصري ببيت شعر قاله الجواهري وهو يزور ايران، فاعتبره شعوبية يستحق الشاعر بموجبها أن يفصل من وظيفته. وفي هذا الصدد يقول الجواهري: «داومت قرابة الشهر واذا بي وأنا أفاجأ قبيل عيد الاضحى بمدير المدرسة، وهو صديقي ورجل كريم، ليقول لي وبالحرف الواحد: إنك مطلوب للحضور لدى مديرية المعارف في العاصمة. وأنا بحكم تسلسل الوظائف تابع لها... لماذا؟، لا أدري. ذهبت ووجدتني أقف بين حفنة من الهررة الجائعة، عرفت من بينهم طالب مشتاق ونوري ثابت الملقب بعد ذلك بـ «حبزبوز» وسيأتي الحديث عن كل واحد منهما في المناسبة المطلوبة. إذ كانا من الرموز التي يضرب بها المثل في التعصب المذهبي البغيض، والتي بعد ذلك بثلاث سنوات شملها التذليل والعزل، ولم يكن هناك من بين هذه الحفنة شخص واحد يمثل الاكثرية الساحقة في العراق

وممن أنا في الصميم منهم. ولكي تكون الصورة واضحة وأمينة فقد كان بينهم أحمد أمين المدرس ـ كما أتذكر ـ للرياضيات والملازم وشبه المترجم لساطع، الحديث العهد بتعلم اللغة العربية. ومهما يكن الأمر، فقد ذهبت الى مديرية المعارف، لتفاجئني هذه الهررة برئاسة ساطع نفسه، بأنني نشرت قصيدة في جريدة أسبوعية كان يصدرها عبد الرزاق الحسني عن ذكرياتي واصطيافاتي في إيران، والتي أوردت النماذج الحلوة منها قائلاً إنني أعتز بها وبالنقلة الجديدة فيها، وكانت كلها لهفة مؤثرة وساخنة بالحنين الى الوطن، أي من ذلك النمط الذي سبقني اليه (حسان بن ثابت) سيد الشعراء المخضرمين الذين تحلى بهم العهد الإسلامي، وبالتحديد عن الرسالة النبوية الاولى، شاعر الغساسنة الكرام في بلاد الشام، وهو يتشوق الى دمشق عاصمته وعاصمة أخواله:

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً (بجلّق) في الزمان الأول

بل والذي زاده عليه، وفي هذه الحقبة الأخيرة بالذات الرصافي، وهو يعلن بغداد، بل والعراق كله في قصيدته التي يقول في جملتها:

ويل لبغداد مما سوف تذكره ... عني وعنها الليالي والدواوين

أما البيت الشعري في قصيدتي والاصح جريمتي، تلك، هو:

لي في العراق عصابة لولاهم ... ما كان محبوباً إليّ عراق

والذي ورد ـ كما أشرت ـ ضمن قصيدتي المشحونة بالحنين الى العراق وحسبي مطلعها:

هبّ النسيم فهبت الأشواق ... وهفا اليكم قلبه الخفاق

ومع هذا فقد بربرت الهررة الجائعة، مستشهدة به أن فيه ما يشبه التنصل من العراق والتمدح لإيران التي كانت خصمهم الوحيد دون كل القوميات والمذاهب الأخرى، بما في ذلك المحتل البريطاني الغاصب للعراق. أما لماذا ايران بالذات؟ فذلك لأن الدولة الفارسية كانت هي من دون كل الدول الإسلامية المسحوقة تحت كلكل ما يسمى بالخلافة العثمانية، الوحيدة التي تواجهها على طول الخط الذي يمتد بها نفوذها في مشارق الأرض ومغاربها قوةً ونفوذاً وعنصراً ومذهباً، بل وحضارة وعراقةً، والتي امتدت الحروب فيما بينها وبين الخلافة المزعومة على العراق نفسه، ولاكثر من قرنين من الزمن. أقول عن يقين إن هذا البيت لو كان مدحاً لبريطانيا وتشوقاً اليها أو لتركيا لكان داعية للترقية وليس للفصل من الوظيفة، واذا بي وكما قلت وكأنها هدية العيد، أسلم أمراً إدارياً بفصلي من وظفتي».

الجواهري في زيارته الثالثة لإيران

بكيت مـرات عند قـراءة قـصـائد الجـواهري.. هكذا قـال الامـام الخـامنئي في بعض محاضراته التي يلقيها أسبوعياً باللغة العربية حول مختلف شؤون الادب والحياة.

دار الحديث في بعض تلك المحاضرات عن الجواهري فعاد الاستاذ المحاضر الى ذكريات شبابه، حين تعرف لأول مرة على شعر الجواهري من خلال صديقه اللبناني المرحوم السيد محمد جواد فضل الله.

راح السيد الامام يستعيد تلك القصائد التي أثارت فيه هياجاً بالغاً ويردد:

أطبق دجى، أطبق ضباب	أطبق دخان من الضمير
أطبـق عـلى متبلـد	لـم يعـرفـوا لون السمـاء
أطبق جهاماً يا سحاب	محرقاً أطبق، عذاب..
ين شكا خمولهم الذباب	لفرط مـا انحـنت الرقـاب

ويواصل قراءة أبيات القصيدة بتأثر بالغ وتفاعل كامل مع التجربة الشعورية للشاعر.. ثم ينتقل منها الى قصيدة:

نامي جياع الشعب نامي	نامي فان لم تشبعي
نامـي علـى زبد الوعـود	حرستك آلهة الطعام
من يقظة فمن المنام	يـداف في عسـل الكـلام...

وبعد كل بيت يتوقف ليبين مـا فيه من مضامين رائعة وموسيقى خلابة، ومشـاعر جياشة.. ثم ينتقل الى قصيدة أخرى.. وأخرى.

ترى أمامه، وهو يتحدث، كتباً كثيرة، ودواوين كثيرة، تتغير كل أسبوع غالباً، الا ديوان الجواهري، فهو الى جانبه دائماً، يعود اليه كلما اشتاق الى الحديث عن الجواهري وشعر الجواهري. ولا يصعب على مستمعيه أن يفهموا سبب شغفه بشعر الجواهري، فقد وهبه الله ذوقاً أدبياً رفيعاً يستطيع به أن يدخل مع الجيد من الشعر التجربة الشعورية نفسها التي يخوضها الشاعر، ويتفاعل مع القصيدة تفاعلاً تاماً وينظر الى كل ما فيها من قوة وضعف، ولذلك اشتهر بين أدباء ايران بأنه ناقد لا يبارى. عرفوه ناقداً أكثر مما عرفوه شاعراً. ثم إنه عشق اللغة العربية وهام بها وقرأ لامراء الشعر العربي القديم، وهام خاصة بجرير والفرزدق والمتنبي والبحتري وأبي تمام.. وكان ذلك دافعاً آخر للسيد الامام نحو شعر الجواهري

باعتباره وارثاً لعمالقة الشعر المسمى اليوم بالشعر الكلاسيكي.. أو الشعر العمودي الاصيل الذي يغرف فيه الشاعر من بحر أو ينحت في صخر.

أضف الى هذا وذاك أن الجواهري كان يحمل هموم المجتمع العربي بما فيه من سبات عميق وتخلف اجتماعي وفقر مدقع وسيطرة العملاء، وهي هموم الثوار في إيران نفسها أيام نضالهم في عصر الشاه. لذلك كان الجواهري يتحدث في كثير من قصائده، وخاصة تلك التي اهتز لها السيد الامام، عما يجول في نفس كل ثائر إيراني. ولا تعجب إذا رأيت هذا «الرجل الفقيه» مولعاً بالشعر الى هذا الحد الكبير. فكل الفقهاء الكبار أصحاب ذوق رفيع في الشعر. أضف الى ذلك أن الذوق الادبي لا ينفك عن الفقاهة، لأن فهم الكتاب والسنة لا يتم الا بتذوق الجانب الادبي من هذه النصوص الدينية التي يقوم عليها الاستنباط. كما لا تعجب إذا رأيت الرجل من موقعه القيادي ومسؤوليته الكبيرة يخصص وقتاً للادب العربي، فهو وسيلة ارتباط بالتراث، وبالامة العربية، وهو أيضاً حاجة نفسية وروحية لا يجوز التفريط بها في مسيرة الحياة. وفي مرة وقع بيده الجزء الاول من كتاب الجواهري: **ذكرياتي**، فعكف على قراءته بشغف لما فيه من أحداث تاريخية ووقائع أدبية ووضع هوامش على كثير من صفحاته، وتصحيحات لبعض معلوماته، وربما رجع الى الديوان ليطابق بين الوقائع والقصائد. وقد بلغه أن الجواهري يود أن يسافر من مهجره في سورية مع زوجته أم فرات الى ايران لزيارة ثامن أئمة أهل البيت الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في مدينة مشهد من محافظة خراسان. أمر السيد أن توفر لهما سبل السفر. غير أن الاجل لم يمهل أم فرات، فتوفيت وفي قلبها حسرة زيارة الامام الرضا (عليه السلام) ، وحين وصل النبأ أوعز السيد الامام باقامة مجلس فاتحة على روحها، في مرقد الامام الرضا تقديراً لرغبة دينية لم تتحقق للمرحومة، وتكريماً لأسرة الجواهري العريقة في العلم والادب والجهاد.

بعدها بمدة وصل نبأ برغبة الجواهري أن يقيم مدة في إيران. وليس بمستغرب أن تكون للجواهري مثل هذه الرغبة. فهو عراقي، وإيران للعراقيين مصيف ومزار، والعراق للإيرانيين مزار لأئمة آل البيت. فالتزاور والتزاوج والتفاعل الاجتماعي والثقافي والعلمي كان قائماً على مر العصور بين العراقيين والايرانيين، وكثير من الأسر مثل أسرة الجواهري نصفها يقطن في العراق، ونصفها في إيران. والجواهري نفسه له زيارتان مهمتان مسجلتان في ديوانه لايران حين كان شاباً، فلماذا لا تكون له زيارة ثالثة لايران التي لبست حلة العز والاستقلال والحرية بفضل ثورة الاسلام، وهي أهداف طالما حلم الشاعر بها وغنّى لها في حياته الادبية.

قال السيد الامام حين بلغته رغبة الجواهري «عسى أن تكون زيارته لايران عاقبة خير لهذا الرجل الذي أنشد في الامام الحسين (عليه السلام) أروع قصيدة، كما ألهب شعوب الأمة وعبأها ضد أعدائها ومذليها وساحقي كرامتها». وبعث السيد القائد من يدعو الشاعر. فما

هي إلا أيام وإذ الجواهري في مطار طهران يبدأ زيارته الثالثة والاخيرة الى إيران. كان في استقباله عدد من الادباء والكتّاب، والقى أحد الادباء العراقيين قصيدة رحب فيها بالجواهري وعتب عليه عتاباً خفيفاً لسكوته عما يجري في بلده، وعما حدث في ايران، لم يجبه الجواهري، لكنه أحس بمرارة العتاب. بعد ذلك تحدث عن سبب سكوته، ثم أنشد بمناسبة عيد «الغدير» قصيدة برر فيها هذا السكوت - سيأتي ذكرها. ثم حين زار مرقد الامام الخميني(رض) قال «انشدت في الامام الخميني بيتاً أحسبه يعادل قصيدة من أعظم قصائدي وهو:

إمام ومن ذا يكون الامام	إذا لم تكنه عليك السلام

ولم يستحسن السامعون له، ولكن ضعف الحجة سمة غالبة في التبرير.

فرح الجواهري كثيراً حينما سمع بشغف الامام الخامنئي بشعره وتعجب حينما علم بأن السيد قد طالع ذكرياته بولع وبسرعة مع تهميش لكثير من الصفحات. وكان يقلقه انزعاج السيد من الصفحات التي تتحدث عن لحظات ضعف الشاعر وانهيار إرادته وانغماسه أياماً من حياته في المجون. وسجل هذا القلق في أخر بيت من مقطوعة دوّنها على كتاب **ذكرياتي** الذي قدمه للسيد في لقائه به يوم ١٠/٥/١٩٩٢.

كان لقاء تاريخياً. جلس الشاعر في صالة الضيوف. ثم أقبل السيد فنهض الشاعر نحوه وقبّل يده، وقال: هذه أول يد وأخر يد أقبلها. قدم الجواهري كتاب **ذكرياتي** وأنشد مقطوعته:

سيدي أيها الاعز الاجل	يعجز الحرف أن يوفّي عظيماً
أيها الشامخ الذي شاءه الله	لك في السلم منبر لا يبارى
لك في ذمة الاله يمين	لك أهل فوق الذرى ومحلّ
فاغتفر لي مازلّ مـن ذكرياتـي	أنت ذو منة وأنت المدل
كل مازاد عن سواء يقل	زعيماً لثورة تستهلّ
لك في الحرب مضرب لا يفلّ	يد من مسّها بسوء تشلّ
لك بعد في المكرمات وقبل	يـا عطـوفاً على خطى من يزلّ

استحسن السيد المقطوعة وأشكل على بعض مفرداتها، ودار نقاش أدبي ممتع، ثم دار الحديث عن أسرة الجواهري ومكانتها العلمية والادبية، وسأل السيد الامام عن بعض أفرادها. وانتهت الجلسة، وغادر الجواهري بيت السيد الخامنئي وهو يردد «لقد عادت الى إيران أيام ابن العميد والصاحب بن عبّاد»، مشيراً الى ما كان في إيران خلال القرن الرابع من اهتمام بالادب العربي ومن مجالس أدبية صاخبة على أعلى المستويات.

أمضى الجواهري بضعة أشهر في إيران كان يعاني فيها من ضعف البصر والسمع وانهيار القوى والاعصاب. غير أن ما يقرب من قرن من الزمان عاشه الجواهري لم يؤثر في ذاكرة الرجل، فقد كان خلال إقامته في إيران يتحدث عن ذكرياته السياسية والادبية والاجتماعية، منذ أيام صباه وشبابه، وبالتفاصيل ، وكأن كل شيء كان ماثلاً أمامه.

عقد له الشعراء والادباء الايرانيون في طهران جلسة تكريم، أنشد فيها الشاعر قصيدته «آمنت بالحسين»:

فداءٌ لمثواك من مضجع	بأعبق من نفحات الجنا
ورعياً ليومك يوم "الطفوف"	تنوّر بالأبلج الاروع
ن روحاً، ومن مسكها أضوع	وسقياً لأرضك من مصرع

وكانت الاديبة الشاعرة صديقة وسمقي قد ترجمت القصيدة الى الفارسية ترجمة أدبية رائعة، فقرأتها على السامعين، وضجّت الجلسة بالبكاء، لا حزناً على الحسين، لأن الشاعر لم يسلك نهجاً بكائياً فيها، بل للهياج العاطفي الذي تتركه القصيدة في النفوس جرّاء سردها للمواقف البطولية في واقعة الطف بكربلاء.

خلال إقامة الجواهري في ايران التقى في مدينة قم عائلة الجواهري الكبيرة المهاجرة من العراق، وبكى الشاعر حينما رآهم، وتفقد واحداً واحداً منهم، وبينهم العلماء والتجار والطلبة.. كما زار شمال إيران وتمتع أمداً بجمال الطبيعة الساحر على بحر الخزر وعلى ضفاف جبال البرز الخضراء.

حانت ذكرى الغدير في السابع عشر من ذي الحجة حيث تجمع روايات أهل السنة والشيعة على أن رسول الله (ص) أعلن علياً (عليه السلام) بعد حجة الوداع في هذا اليوم وليّاً للمسلمين، فكتب الجواهري الى السيد الامام رسالة مشفوعة بقصيدتين. وهذا نصّ الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي سماحة القائد الاعلى الجليل دام ظله

أقبل يدكم وأتشرف - وأنا الغريق بألطافكم - بأن أرفع الى سماحتكم تهنئتي هذه المتواضعة بعيد (الغدير) السعيد آملاً أن تحوز شرف قبولكم إياها. كما أنني أتشرف بأن أرفع اليكم قصيدة جديدة بدأت بها مرفقة بقطعة شبه جديدة لم تنشر بعد جاءت بمحض الصدفة على وزنها وقوافيها بل حتى لكأنها جزء لا يتجزأ مما أريد أن أقوله فيها. كل ذلك لمجرد مباركتكم إياها على أن تكون بعد إتمامها في الجملة من قصائدي التي تحوز شرف

رضاكم عنها. أعاد الله على سماحتكم مدى عمركم الطويل عيد الغدير السعيد وقد تخلّص المسلمون برعايتكم وتوجيهاتكم الكريمة من براثن المستكبرين والمستعمرين، وعاد اليهم ومن جديد عز الاسلام ومجده القديم. وتقبلوا يا سيدي صميم إجلالي واعزازي. والسلام عليكم

المخلص الامين محمد مهدي الجواهري

١٩٩٢/٦/١٩»

القصيدة الاولى التي قدمها الشاعر بالنصّ على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

مرفوعة الى حضرة سماحة سيدنا القائد الاعلى للجمهورية الإسلامية في إيران آية الله السيد علي الخامنئي حفظه الله ورعاه.

أبا الحسين تحيات معطرة — كان الوليّ (أمير المؤمنين) به

يا سيد الامة الكبرى وقائدها — تعطل الزند منها واستشاط دم

نحن الدعاة الى (التوحيد) يعوزنا — تسابقت من (قريش) سادة نجب

كلٌّ وللواحد الجبار عصمته — وكان ماكان من نهج، ومن شطط

واستنفر (الدين) رهط بعدهم شعث — ديست بهم عرصات(الوحي)، وانتبهت

واليوم تدفع عنهم فديةً أممٌ — مستعبدين لحكم الفرد يرهقهم

يمتصّ من قدرهم طوراً، ومن دمهم — خطب ألم بدنيا كل مسلمةٍ

وأنت يا سيد المستضعفين لها — لك الأمانة ألقت ثقلها، شرفٌ

تخيرتك إمام الناهضين بها — في يوم عيد (غدير) رحت ترعاهُ

واليوم أنت (وليُّ الأمر مولاهُ) — يسراه تحسد عند الله يمناهُ

سوح الجهاد تلقاه وتسقاهُ — قول نعايش معناه ونخشاهُ

(خلائف) من رسول الله أشباهُ — ممدح في حمى الاسلام مسعاهُ

للآن يشتط مغزاه ومرماهُ — من كل مستكبر عبدٍ لدنياهُ

عصائب أهل بيتٍ صانه اللهُ — بريئةُ الدم من ذنبٍ تبنّاهُ

بكل ما يتشهاه ويأباهُ — مستعمرٌ بالذي يمتصُّ تيّاهُ

وليس يعرف الا الله عقباهُ — عن كل ماستطعت من غوث ستجزاهُ

ما كل من يتمنّاه يلقّاهُ — كأنها دون كل الناس تهواهُ

المخلص الامين محمد مهدي الجواهري

١٩٩٢/٦/١٨

والقصيدة الأخرى التي أشار اليها الشاعر في رسالته الى السيد الامام تحت عنوان إيران، ونصّها:

إيران عاد الصبح من أفراح   سبحان من يسع الفتى وغروره
ولقد بكيت لفرط ما طمح الردى   قالوا سكتّ وأنت أفظع مهلبٍ
حتى على صور الملاح أثارةٌ   فعلام أبدل وكر نسر جامح
فأجبتهم: أنا ذاك حيث تشابكت   قد كنت أرقب أن أرى راحاتهم
لكن وجدت سلاحهم في عطلةٍ   قد كنت أُحمل فوق أجنحةٍ لهم
واليوم أحمل جذوة مسعورة   لابد أبرد حرها فأعرتها
ولقد أقول لصاحبي لم أدره   كن فوق داجية الخطوب وريبها
وتحدّها، فلقد تحدّت صخرةٌ   وارحمتا للجيل دون عذابه
ترمي به الاطماح في متفجرٍ   حذر الفوات، فآذني بصباح
ويمدّه لوحاً من الألواحِ   بأحبتي، فسخرت من أطماحي
وعن الجموع، لزندها قدّاحِ   حمراء من صور لديك ملاحِ
حردٍ بعشٍّ البلبل الصداحِ   هام الفوارس تحت غاب رماحِ
مدّت لأدفع عنهم بالراحِ   فرميت في قعر الجحيم سلاحي
واليوم أحمل مهجتي بجناحي   لاشيء ينجدها من الارواحِ
ريح الصبا، ووهبتها للراحِ   أسيان أم ثملاً، أفق يا صاحِ
وألح من آذيها الملحاح   طوفان (نوح) ببطشه المجتاحِ
حمم (الجحيم) ومدية الذباح   صخبٍ، وتسقطه على ضحضاحِ

وفي هذه الزيارة تفاصيل وذكريات كثيرة رصدها مركز الدراسات الثقافية العربية الايرانية باعتبارها حدثاً ثقافياً عربياً - ايرانياً مهماً عسى أن نقدمها كاملة الى القرّاء الكرام في القريب العاجل باذن الله.

المصادر:

(١) مقدمة كتاب **جواهر الكلام** ٦/١ ـ ٧

(٢) **الديوان**، وزارة الاعلام العراقية، ج ١، ص ٢٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٥٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٥٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٦١.

(١١) المصدر نفسه، ص ٣٦٧، وما بعده.

(١٢) المقصود سنتي ١٩٢٤ و١٩٢٦م.

(١٣) انظر نسب الجواهري ، وحديث الشيخ المظفر عن التبعية الايرانية لعائلة الجواهري وعوائل نجفية أخرى في هذه الدراسة.

(١٤) **ذكرياتي**، (دمشق: دار الرافدين، ج ١)، ص ١٤١ وما بعدها.

(١٥) يقصد ساطع الحصري.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٤٥ ومابعدها.

محمد أحمد الزّغول*

الروائي الإيراني «بُزُرْگ عَلَوي»: من المقاومة إلى الاغتراب

كانت سنوات عقد الثلاثينات من القرن العشرين حبلى بالأحداث الصاخبة في إيران. إذ كانت الحركة الوطنية قد دخلت منحنى خطراً في المواجهة التي كانت تخوضها ضد حكومة الاستبداد. ففي خلال هذه السنوات تعرف بُزُرْگ عَلَوي إلى أحد كبار المناضلين الماركسيين في إيران، فوجد نفسه، وهو الذي ينتمي إلى إحدى العائلات البورجوازية في طهران، ينجرف بلا إرادة منه في سيل الأحداث السياسية ليمارس النضال الثقافي السياسي(١) في ظلّ حكومة مستبدّة لم تتردد في إلقاء القبض على الرفيقين مع بقية الرفاق في المجموعة، والإلقاء بهما في السجن، ليتفنن بعد ذلك رجال «السافاك» في تعذيبها، وينتهي الأمر بهم إلى قتل استاذ بُزُرْگ عَلَوي في النضال الدكتور تقي أراني في مستشفى السجن(٢)، بعد إدلائه بدفاع جريء في محاكمته التي تحولت مهزلة سياسية. أما بُزُرْگ عَلَوي، فقد مكث في السجن حتى عام ١٩٤١ حينما هبّت رياح الحرية على إيران، وتشكلت الحكومة الوطنية، وأطلق سراح جميع السجناء السياسيين.

قبل سنوات السجن كان علوي قد نشر مجوعته القصصية الأولى چَمْدان، متأثراً بالمذهب التبييني الألماني (Expressionism) في نزعاته الرومانسية الحادة، ذلك أن بُزُرْگ عَلَوي كان قد نشأ وترعرغ في ألمانيا وأتم فيها دراسته المتوسطة والعليا في مجال التربية والتعليم. إذ كان والده الحاج سيّد أبو الحسن قد هاجر إلى ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى بعد أن وقعت بغداد وكرمانشاه في أيدي الإنكليز، لأنه كان من أنصار الثورة الدستورية المشروطية في إيران(٤). وهناك تعرف علوي على اللغات والآداب الأوروبية وتأثر بشدّة بالأدباء الرومانسيين الكبار: هيسّه ودوستويفسكي وغوته وشيللر وتشيخوف وغيرهم، وترجم بعض آثارهم بالفارسية.

* أستاذ مساعد ورئيس قسم الفارسية وآدابها بمعهد اللغات ـ جامعة اليرموك ـ الأردن.

عاد بُزُرْگ عَلَوي عام ١٩٢٨ إلى إيران حيث تعرف إلى الأديب صادق هدايت وتشرّب منه أفكاره القومية والوطنية المتطرّفة، وتأثّر به، فقرّرا معاً كتابة مجموعة قصيية يُعرّضان بها بالثقافات التي هاجمت الحضارة الفارسية وألقت بظلالها عليها وأعاقت تقدمها بحسب اعتقادهم. ثم إنضم إليهما الأديب شيراز پُور پَرْتو، وكتب الثلاثة معاً مجموعة قصصية مكونة من ثلاث قصص تحمل اسم **أنيران**: فكتب صادق هدايت **ظِلّ المغول**. وكتب برتو حول **هجوم الإسكندر على إيران**، وكتب علوي **قصة الغول** حول هجوم العرب على إيران[٥]. وفي هذه الفترة نشر علوي ترجمته لأثر الأديب الألماني الشهير شيللر المسمى **عذراء أورليان**[٦]. وكتب هدايت مقدّمة لترجمة علوي.

بعد فترة وجيزة، انضم إلى هذه المجموعة أدباء آخرون، أمثال مجتبى مينوي، ومسعود فَرزاد، ومين باشيان، ونُوشين... الخ، وأسسوا معاً ما عُرف باسم عُصبة الأربعة (گروهِ رُبْعه) عام ١٩٣٤[٧]، لإيجاد نهضة أدبية مناصرة للحداثة في مواجهة الهجوم الذي كان يشنه الأدباء المحافظون في إيران على الأنماط الأدبية الحديثة. وكان هذا التيار هو الآخر مُمثلاً بمجموعة من الأدباء كانت تعرف باسم عُصبة السبعة (گروهِ سُبعة)، وكان على رأسهم محمد قزويني وسعيد نفيسي ورشيد ياسَمي وإقبال آشْتياني وتقي زاده... الخ[٨]. ويتحدّث الأديب مجتبى مينوي حول عصبة الأربعة فيقول: «كانت مجموعتنا هذه رد فعل ساخر على عصبة الأدباء السبعة... في الحقيقة كانوا هم أكثر من سبعة أفراد، ونحن أيضاً كنا أكثر من أربعة. أما هم فكان لهم ألف قلب، وأما نحن فكنا على قلبٍ واحد،...»[٩]. هكذا كان علوي يتأرجح بين قطبين، الأول يشدّه إلى عالم الأدب والثقافة الذي يعشقه ويرى فيه مستقبله، وكان متمثلاً في صادق هدايت، والآخر يشده إلى عالم السياسة والنضال الاشتراكي الذي يرى فيه خلاص مجتمعه ومستقبله، وكان يمثله الدكتور تقي أراني. أما علاقته بصادق هدايت، فقد دفعته إلى الترجمة وشجعته على الكتابة، فبدأ من خلال القصة القصيرة، وكان ينهج فيها منهجاً رومانسياً حالماً. إذ بدا متأثراً بالرومانسيين الألمان، ومتأثراً بقوة بآثار صادق هدايت، ولم يكن بعد قد شق طريقه منفرداً بشخصية مستقلة، لكن علاقته بالدكتور أراني فتحت له آفاقاً جديدة ما كان له أن يكتشفها لولا هذه التجربة المريرة، فأبدع آثاراً خالدة، مثل **عيناها وقُصاصات السجن**[١٠]، وذلك بعد أن تبلورت لديه رؤية كونية اجتماعية وسياسية، فكانت رواية **عيناها** أهم منعطفات حياته الأدبية، إذ شقّ فيها طريقه في اتجاه الواقعية الاجتماعية الجادّة.

خرج علوي من السجن - كما سلف - عام ١٩٤١، إثر انهيار الحكومة الديكتاتورية، فأحسن استغلال فسحة الحرية التي نعمت بها إيران في تلك الفترة، وأسس مع رفاقه حزب الشعب الإيراني، وأخذت آثاره تظهر في منشورات ومجلات الحزب، خاصة في مجلة **پيام**

نو (الرسالة الجديدة) التي صدرت عام ١٩٤٣ عن الرابطة الثقافية الإيرانية ـ السوفياتية، وكان علوي رئيس تحريرها، إضافة إلى مجلات عدة أخرى نظير مجلتي **سُخن**، **ومَرْدُم**. ونشر علوي في هذه الفترة مجموعته القصصية **٥٣ شخصاً**، وأيضاً مجموعة **قصاصات السجن**، إضافة إلى العديد من الترجمات والمقالات النقدية.

في عام ١٩٤٨، عاد الإستبداد السياسي ليهيمن في إيران مجدداً بعد محاولة اغتيال مدبّرة وصوَرية للشاه، فقررت الحكومة حلّ حزب الشعب (توده) وإعلانه حزباً محظوراً، وبدأت المداهمات والاعتقالات مجدداً، فاعتقل علوي وأودع السجن مرة أخرى، لكنه ما لبث أن خرج منه بوساطة صادق هدايت.

بلغت الحركة الوطنية الإيرانية ذروتها عام ١٩٥٠. وعاودت الأجواء السياسية الانفتاح نسبياً، واستأنف علوي الكتابة مرة أخرى. وهو كتب في هذه الفترة روايته الشهيرة **عيناها** عام ١٩٥٢، وبعدها بعام واحد غادر علوي إيران إلى أوروبا للعلاج، وهناك سمع بانقلاب ٢٨ مرداد العسكري، وأوصاه رفاقه بعدم العودة إلى إيران، فمكث هناك حتى انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية وسقوط الشاه عام ١٩٧٩، إذ عاد علوي مع بقية المشردين والمطاردين السياسيين إلى البلاد. لكن الشعب الإيراني كان قد اختار طريقه، واتجهت الثورة اتجاهاً لم يكن لـ بُزُرْگ عَلَوي، صاحب الأفكار الماركسية الشيوعية، أن يتعايش معه، فاختار الرحيل مرة أخرى وعاد إلى ألمانيا وبقي فيها حتى وافته المنية عام ١٩٩٦، بعد أن ناهز عمره التسعين عاماً، وكان خلال هذه الفترة يعمل مدرّساً للأدب الفارسي والبلاغة العربية في الجامعات الألمانية، وأصدر هناك عدداً من الروايات بالفارسية والألمانية.

آثار علوي

ترك علوي آثاراً عدة في مجالات القصة والرواية والسيرة الذاتية، أهمها:

ـ **الغول** (ديو)، وهي قصة تاريخية تدور حول هجوم العرب المسلمين على إيران، وتتميز بنزعة قومية متطرفة على شاكلة القصص التاريخية التي سادت آنذاك تحت تأثير الأفكار الإشتراكية والقومية المناهضة للدين، نشرها عام ١٩٣١.

ـ **الحقيبة** (چَمْدان)، مجموعة قصص قصيرة تضم ست قصص تدور أربع منها حول علاقات غرامية بائسة، وقصتان تميزتا بطابع اجتماعي انتقادي.

ـ **قصاصات السجن** (ورق پاره هاي زِنْدان)، مجموعة قصص قصيرة، بأسلوب عاطفي للغاية اعتمد فيه علوي التحليل النفسي العميق للشخصيات، مصوراً من خلاله المعاناة التي تعرض لها في سنوات السجن، وكان قد كتب بعضها أثناء سجنه على قصاصات من الورق والكرتون وهرّبها بجرأة وسرية بالغة وأعاد كتابتها بعد خروجه من السجن.

- ٥٣ شخصاً (پنجاه و سه نفر)، وهي أيضاً مجموعة قصص قصيرة تروي مذكرات علوي في سجنه، صيغت بأسلوب تقريري تاريخي، فَحَطّ ذلك من قيمتها الفنية، رغم أهميتها البالغة تاريخياً واجتماعياً.

- **عيناها** (چَشْمهايَش)، أعظم آثار علوي بلا منازع، ويمكن القول إنها مبعث شهرته ودليل نبوغه بين الأدباء الإيرانيين، وهي من أوائل الروايات التي أسسّت للمذهب الواقعي الاجتماعي في إيران، وإحدى أهم الروايات الفارسية عموماً، وهي نشرت عام ١٩٥٢.

- **الرسائل** (نامه ها)، من أكثر آثاره نضجاً، وهي مجموعة قصص قصيرة متأثرة بالمدرسة الواقعية الاجتماعية، وتعد تمهيداً لرواية **عيناها** لناحية نزوعها للمدرسة الواقعية، نشرها عام ١٩٥١.

- **ميزرا**، مجموعة قصص قصيرة، كتبها علوي في ألمانيا، واصفاً معاناته آلام الغربة والحنين إلى الوطن، وهي الصبّغة العامة لآثاره بعد رحيله عن إيران.

- **القادة** (سالارى ها)، روايته الثانية بعد **عيناها**، وفيها أيضاً وصف لما يعانيه الغرباء من آلام، لكنها اتسمت بطابع السرد التقريري المباشر، رغم أنه تفنن في التحليل النفسي للشخصيات.

- **السوس** (موريانه)، وهي من أواخر روايات علوي، لكنها رواية ضعيفة فنياً، إذ كتبها في زمن كان اليأس والحزن قد بلغ منه مبلغه، وفيها يحاول أن يبيّن أسباب سقوط النظام الملكي الإيراني، ويسرد ذكرياته بأسلوب تقريري.

- **الجدار الأبيض** (ديوارِ سفِيْد)، مجموعة قصص كتبها علوي باللغة الألمانية والعنوان لإحداها، صدرت في برلين عام ١٩٦٠(١١)، ونقلها إلى الفارسية مجموعة من المترجمين، على رأسهم هربرت ملتزيك.

فضلاً عن ذلك، ترجم بزرك علوي الآثار التالية إلى اللغة الفارسية: **عذراء أورليان** (شيللر)، **عمل ورزق السيدة وارن** (برنارد شو)، **اثنا عشر شهراً** (صاموئيل مارشاك)، **المستنطق** (بريستلي)، **الملحمة الشعبية الإيرانية** (نولدكه)، **حديقة الكرز** (تشيخوف)، **الورود الزرقاء** (فاندا واسيلوسكايا)، **المخدوعان** (لوبادوفيسكي). وترجم علوي بعض آثار صادق هدايت إلى الألمانية وفاء لصديقه، ومنها ترجمة **اسطورة الخلق**، كما ترجم بعض آثار الشيخ العطار وبعض آثار اعلام ومشاهير الأدب الفارسي. كذلك ترك علوي مئات المقالات في الأدب والنقد في مختلف موضوعاته نشرها في المجلات الإيرانية والأوروبية، وهو أدى دوراً مهماً في التعريف بالآثار الأدبية الفارسية في ألمانيا وأوروبا، وألف في ألمانيا كتاب **تاريخ وتطور الأدب الفارسي الحديث** باللغة الألمانية، وعرض فيه آراءً جادة في الأدب الفارسي

المعاصر[١٢]. وقد سافر علوي إلى أوزبكستان، وكتب بعد عودته كتاباً من أدب الرحلات سماه **الأوزبك**. وكتب بعض مذكراته أيضاً في كتاب سماه **مرور الزمن**، لم نذكره بين آثاره السابقة كونه لم يكتب على شكل قصة أو رواية، بل جاء على شكل مذكرات يومية شخصية، رغم ما فيه من جمال التعبير والغوص في أعماق النفس وتحليل حالاتها وخلجاتها. وقد قام هربرت ملتزيك بترجمة رواية عيناها إلى اللغة الألمانية عام ١٩٥٩، ولاقت روايته إقبالاً واسعاً من القراء، بحيث أعيد طبعها مرات عدة.

القصص في تراث بُزُرْگ عَلَوي

ليس بين الأدباء الإيرانيين - على ما أعلم - من طالت غربته عن وطنه رغماً عنه أكثر من بُزُرْگ عَلَوي الذي قضى نصف قرن من الزمان يقاسي آلام الغربة وأوجاعها، بسبب تبنيه لمعتقدات سياسية، وإحساسه بالمسؤولية تجاه مجتمعه وبلده. وكانت سنوات السجن والغربة وذكريات أيام النضال السياسي وأطياف الرفاق الذين قضوا في سبيل تحقق تلك الأهداف تلقي بظلالها على آثار علوي، فتضفي عليها حزناً ولوعة يتدفقان بحرارة، ويصطبغان بشعور عميق بالحنين تكاد تنطق به كل آثاره التي كتبها في إيران وألمانيا. وهو اعتمد في أغلب رواياته على قدراته المتميزة في التحليل النفسي للشخصية وسبر أغوارها. وكانت القربى التي يحسها علوي ويعيشها تجاه الأدب الألماني واللغة الألمانية أحد الروافد الأساسية التي أغنت تجربة الكتابة لديه، إضافة إلى إطلاعه على اللغات الفرنسية والروسية والإنكليزية. ومن المعروف أن أروع ما قدمه الأدب الألماني للعالم هو تلك الظاهرة المثيرة المسمّاه الرومانسية الألمانية، فحتى المذهب التبييني نجده عند عبوره للحدود الألمانية يبدو كأنه قد تعرّض لعملية تعميد وغسل من الينابيع الرومانسية الدفاقة هناك.

لم تكن أذنا بُزُرْگ عَلَوي تملان الإصغاء إلى ألحان الموسيقيين الألمان الحالمين، ولم تكن عيناه تملان من مطالعة آثار كتّابهم والتحديق في لوحات رساميهم، حتى الفراشة التي كان يربطها على عنقه، والإحترام والتواضع اللذين كان يقابل بهما المرأة، والطريقة التي كان يتعامل بها معها، والدور الذي أدّته في رواياته، إضافة إلى تجنبه إستعمال الألفاظ النابية، وأدبه الجمّ في التعامل مع اللقطات ذات الطابع الإغرائي أو الجنسي؛ كل ذلك ينمّ عن شخصية لم تتأثر بالرومانسية كمدرسة أدبية فحسب، بل عاشتها سلوكاً واعتقاداً ونتاجاً فكرياً[١٣].

على المستوى الشخصي كان علوي منذ طفولته ينعم بحياة مرفهة في أسرة بورجوازية، ولم يكن يحسّ بما تعانيه الطبقات المسحوقة، إلا ما كان يسمع به في الصالونات السياسية، ولذلك كانت تجربته مع الدكتور أراني وحزب الشعب بالنسبة له جديدة في كل شيء، إلا أنه

كان يحس بهذا الضعف في نفسه، وقد أظهره في آثاره غير مرة، خاصة في رواية **عيناها** من خلال شخصية فرنكَيس، الفتاة المرفهة التي تجد نفسها تخوض غمار العمل السياسي للدفاع عن حقوق الطبقات المسحوقة التي لم تسمح بها وليس بينها وبين هذه الطبقات أو هذا المجتمع أية علاقة أو رابطة، ولذلك فإننا لا نشهد حضوراً إيجابياً للطبقات المسحوقة في روايات علوي، رغم تحوله في ما بعد باتجاه الواقعية الاجتماعية، ونلحظ ابتعاده عن وصف أنماط الحياة البسيطة ومظاهرها، بينما يبرع في وصف مظاهر الحياة البورجوازية في تصوير الحفلات والصالات الفارهة والملابس الأنيقة واللوحات باهظة الثمن. لكن تجربة السجن أحدثت في حياته تحولاً عظيماً؛ يقول علوي «في الماضي - في زمن كتابة رواية **الحقيبة** - كنت واقعاً تحت تأثير عواطفي ومشاعري الشخصية أكثر من تأثري بعقلي ومنطقي. من الممكن أنه لم يكن لديّ آنذاك تصور دقيق حول أوضاع البلاد والنضال اليساسي»[١٤]، وكأنه يريد أن يقول إنه سار في ما بعد في اتجاه المدرسة الواقعية، وهذا فعلاً ما نراه في جميع آثاره بعد هذه التجربة. لكن قصصه بقيت دائماً تكشف الواقع المرير والنهايات المؤلة للحركة الوطنية وشخصياتها في هالة من الرومانسية.

الإتجاه الواقعي

يقول الناقد حسن مير عابديني «لقد طرح الأدب الواقعي في إيران في مسيرة تطوره تلك النزعات السانجة والبسيطة إلى الرمزية جانباً، وراح يسعى للوصول إلى الواقعية المحددة وتوصيفها. كان علوي من بين الكتّاب الذين جعلوا الواقع الاجتماعي لمرحلة جديدة من التاريخ الإيراني المعاصر مجالاً رحباً لقصصه ورواياته»[١٥]. على أن من أهم المضامين التي طرحتها آثار علوي، مسألة صراع الأجيال والاختلافات بين الشباب التقدميين المتحمسين من جهة، والمجتمع المتخلف والمدافعين عن السنن التي عفى عليها الزمن من جهة أخرى. لكن هؤلاء الشباب غالباً ما يتعرضون في رواياته إلى نهايات مؤسفة أو يتقبلون الهزيمة وينكفئون على أنفسهم، وفي ذلك تصوير للتحولات الاجتماعية التي عاشتها إيران وعاشها علوي نفسه ورفاقه ممن عايشوا الغرب ودرسوا فيه ثم عادوا ليواجهوا عدم قدرة المجتمع والدولة على فهم محاولاتهم الإصلاحية واستيعابها.

إن المصير المفجع الذي ينتهي إليه أبطال علوي المثقفون في أثناء محاولاتهم المخلصة لإنقاذ مجتمعهم ووطنهم من بؤر الجهل والفساد والفقر، هو المصير نفسه الذي واجهه علوي والدكتور أراني وصادق هدايت وفَرّخي يزدي ومجتبى مينُوي ومسعود فرزاد وجمال زاده، الذين انتهى بهم الأمر جميعاً إمّا إلى القتل أو الإنتحار أو السجن أو النفي والفرار إلى أوروبا مرّة أخرى. أما الأبطال الذين يختارون الطريق الأسهل (الإنكفاء والتسليم والاستكانة)،

فقد عايشهم علوي أيضاً في أثناء تجربته النضالية، من أمثال علي دشتي ومطيع الدولة حجازي اللذين أصبحا في يوم وليلة من الأقلام المدافعة عن النظام وأخذا ينشدان القصائد الطوال في مدح الشاه، وصفقا مع المصفقين[١٦].

عموماً يبدو تأثير العمل الصحافي جلياً في آثار علوي، فخبرته الطويلة في مجال الصحافة انعكست على أعماله الأدبية، ولذلك اتصفت معظم رواياته وقصصه بالصبغة التقريرية، واللجوء إلى الإثارة من خلال طرح أسئلة مثيرة ومحيرة لشدّ القارىء لمتابعة أحداث الرواية على طريقة «المانشيتات» الصحافية، وهذا ما نشهده في **الرسائل** و**عيناها** و**٥٣ شخصاً**.

برز تأثير ثقافة علوي الموسيقية والفنية واضحاً في معظم آثاره، لذلك نشهد في أعماله قطعات موسيقية ولوحات فنية ومجسّمات ذات دلالات عميقة مستمدة من روح النص، يبدع علوي في وصفها، وهي في الظروف العاديّة لوحات وقطع كلاسيكية. فالمعزوفات التي يصورها في قصص **رقص الموت** و**تاريخ غرفتي** و**عروس لألف عريس** ليست عنصراً كمالياً أو محاولة لإظهار ثقافة الكاتب الموسيقية، بل هي عناصر أساسية في أبنية هذه القصص، بحيث لا يمكن تحليلها من دون إطالة التأمل في هذه المقطوعات. يقول الناقد دَسْت غيب: «يصف علوي لوحة **عيناها** بشكل يجعلها شبيهة بآثار الفنانين الكلاسيكيين. أما الألحان التي تُعزف في آثار علوي، فهي تبث عادة من اسطوانات (الجرامافون) القديمة، وتضفي على قصصه أجواء حزينة ومملة أحياناً»[١٧]. ويقول عابديني: «تذكرنا اللوحات التي يقدمها علوي في رواية **عيناها** بآثار الفنان الإيراني الراحل كمال الملك»[١٨].

كثيراً ما لجأ علوي في رواياته إلى إسلوبي الاسترجاع والبحث والاكتشاف لربط الماضي بالحاضر، متجنباً السرد التقريري للذكريات، حتى يحافظ على جدّة قصصه[١٩]، خاصة في القصص التي كان يرويها على لسان رفاق السجن. أما في **عيناها**، فقد أضاف إلى ذلك جمالية أخرى، بحيث جاء استرجاع الذكريات على شكل اعترافات مثيرة، يحاول الناظم أن ينزعها من فرنكَيس بكل الوسائل الممكنة. ومن الملاحظ أن علوي يتجنب القيام بدور الراوي في جميع قصصه ورواياته، بل يفضل روايتها على لسان أحد أبطاله، أو مجموعة منهم من خلال أسلوب التناوب السردي، الأمر الذي كان يتيح له فرصه الغور في أعماق شخصياته يكشف عن أدق تفاصيلها ويرى العالم من خلالها. ويرى أحد النقاد أن ذلك ناتج من طبيعة شخصية علوي المعروف بتواضعه وخجله، وأنه لم يتعوّد أن يتحدث عن نفسه[٢٠].

شخصيات قصصه

تنتمي أغلب شخصيات علوي إلى فئة المثقفين من الطبقة الوسطى، وربما كان أبرز ما يميّز

شخصياته من الرجال هو اهتمامه البالغ بالفنانين والمصلحين السياسيين الشباب الذين يصارعون الاستبداد والجهل، لكنهم من جوانب عدة مرتبطون بالوضع الراهن وجزء منه: ان ايرَج مثلاً بطل قصة **المذنب** «ليس خروفاً كبقية الخرفان» بل هو مثقف ومعارض للحكومة المستبدة. وهو حاقد على المجتمع الذي يعيش فيه. أما بطل **العفو العام**، فهو مناضل قديم، لكنه مهزوم، ولا يفكر إلا في معشوقته والخروج من السجن للوصول إليها. ومرتضى في **رقص الموت** إنسان بلا هدف، ورغم أنه معلم، فإنه يفضل الجلوس إلى جانب المذياع لساعات طويلة ولا يحب معاشرة الناس أبداً. أما المرأة في آثار علوي، فهي أفضل حالاً من الرجل بكثير. فنساء علوي اللواتي ينتمين عادة إلى أسر ارستقراطية لا يتردّدن في التضحية بالموقع الاجتماعي والرفاه الذي يحيينه في سبيل فكرة يؤمنّ بها أو عشق يملأ عليهنّ الحياة. فبطلات علوي لسنَ آية من الجمال والرقة والنعومة فحسب، بل هنّ أقرب إلى الملائكة روحاً وأخلاقاً وسلوكاً. وأغلب نساء علوي عاشقات متيّمات، وفي الوقت نفسه طاهرات وعاطفيات ومضحيّات. ويؤكد علوي على قدرة المرأة على التضحية في معظم أعماله، ويؤكد كذلك على أهمية الحب بالنسبة إليها، فهو الشيء الوحيد الذي يذيقها طعم الحياة. طبعاً، إن هذه النظرة إلى المرأة متأثرة بالرومانسية الألمانية التي صاغت الذوق الأدبي عند علوي منذ نعومة أظافره.

إن أهم ما يميز آثار علوي هي تلك اللغة الرصينة الهادئة والعذبة في آن معاً، والتي اتسمت عموماً بالفصاحة والإبتعاد عن الألفاظ العامية إلاّ في ما ندر. فلغة علوي أصيلة ومتجددة تراعي حدود الفصاحة ومعايير البلاغة قدر المستطاع، ولا تنحط إلى المستوى العامي، حتى في المواقف الحادة والعصبية. يقول مجتبى مينوي مقارناً بينه وبين صادق هدايت: «إن نثر هدايت معيوب، في حين أن نثر علوي لا يشوبه النقص، أو بعبارة أدقّ نقصه أقل. وعلاوة على هذا يتمتع علوي بأصالة يفتقدها هدايت»[٢١]. إذ يستخدم علوي لغة مهذبة للغاية نادراً ما نجدها عند الكتّاب الواقعيين. فهو يتحاشى الشتائم والألفاظ النابية ويعبر عن المشاهد العاطفية الساخنة بعبارات تنم عن حياءٍ جمّ وشخصية رزينة. وتبلغ لغة علوي قمتها عذوبة وسلاسة عندما يعالج ثنائية المرأة والعشق في أعماله، أو عندما يمارس فنّ الوصف، خاصة في اللوحات الفنية أو المشاهد الرومانسية.

مكانته الأدبية

لا شك في أن علوي يُعتبر أحد أهم أعلام القصة والرواية في إيران. وهو أحد الروّاد في هذا المجال. فروايته **عيناها** هي من بين أوائل الروايات الفارسية المتكاملة العناصر. وتعدّ **مجموعة الرسائل**، إضافة إلى رواية **عيناها** من بين الأعمال التأسيسية للمدرسة الواقعية في الأدب الفارسي. يقول عنه محمد علي سپانلو: «لا شك في أن بُزُرْگ علوي وصادق هدايت

وصادق چُوَبك هم آباء فن القصة في إيران بلا منازع»[٢٢]. ولا غرو في ذلك، لأن علوي كان واحداً من أوائل المثقفين المستنيرين الإيرانيين الذين اطلعوا على الثقافة الغربية وتأثروا بها. ومع ذلك، كانت الواقعية في آثار علوي ممزوجة دائماً بالنزعات الرومانسية المتجذّرة في الروح الإيرانية»[٢٣]. أما أبرز ما يميز علوي، فهو أنه مرآة حقيقية لعصره بكل ما فيه من تناقضات وقوة وضعف، وهو بالتأكيد أفضل من كتب وصوّر عصر النضال ومقاومة الإستبداد في إيران، وأحد أغزر الأدباء المعاصرين انتاجاً في ما يعرف بأدب السجن والمقاومة. وقد ترك علوي بصمات واضحة في الأدب الفارسي المعاصر، وبدا تأثيره جلياً في كثير من الآثار التي عاصرته ولحقت به. فتأثير علوي في آثار محمود اعتماد زاده وعلي مستوفي اللذين حاولا السير على نهجه في كتابة القصص الواقعية الاجتماعية مشهود، وتحدث عنه كثير من النقاد[٢٤]. ويذكر أن علوي قد حصد كثيراً من الجوائز، كان أهمها ترشيحه عام ١٩٥٣ للحصول على جائزة السلام الدولية. ورغم اغتراب علوي عن موطنه مدة زادت على خمسين عاماً، لا تزال آثاره حتى اليوم من بين أكثر الأعمال الأدبية رواجاً بين مُحبّي الأدب في إيران.

* * * * *

في إطار رحلة التسعين: مراحل حياة بُزُرْكـ عَلَوي

١٢٨٢ش - ١٩٥٣م: الولادة في عائلة بورجوازية تحترف التجارة.

١٢٩٧ش - ١٩١٨م: السفر إلى أوروبا والدراسة فيها (تخصص التربية والتعليم).

١٣٥٧ش - ١٩٢٨م: التعرف على الأديب صادق هدايت وبداية العمل الأدبي.

١٠ - ١٣٥٩٩ش - ٣١ - ١٩٣٥م: التعرف على الدكتور تقي أراني ودخول العمل السياسي. نشر الرواية الأولى **الغول** مع روايتين لصادق هدايت وشين پَرْتو في مجلة **الشرق**، على شكل حلقات، وترجمة الملحمة الشعبية الإيرانية لنولدكه، وآثار المانية أخرى. ممارسة العمل الصحافي ونشر عشرات المقالات الأدبية.

١٣١٣ ش - ١٣٩٤م: نشر المجموعة القصصية الأولى **الحقيبة**، والمشاركة في تأسيس «عصبة الأربعة» الأدبية بهدف الدفاع عن الحداثة في الأدب ومتابعة العمل الصحافي.

١٣١٧ش - ١٩٣٨م: الاعتقال والسجن بسبب الفعاليات السياسية والصحافية.

١٣٢٠ش - ١٩٤١م: الخروج من السجن بعد تأسيس الحكومة الوطنية.

١٣٢٧ش - ١٩٤٨م: إنهيار الحكومة الوطنية واعتقال علوي مرة أخرى والإفراج عنه.

٣٢ - ١٣٣٠ش - ٥٣ - ١٩٥١م: نشر رواية **عيناها**، ومجموعة **قصاصات السجن**، ومجموعة **٥٣ شخصاً**، ومجموعة **الرسائل** والترشيح لنيل جائزة السلام الدولية.

١٣٣٢ش - ١٩٥٣م: السفر إلى أوروبا للعلاج والبقاء هناك بسبب تبدل الأوضاع السياسية، ونشر مجموعة قصص **الجدار الأبيض** في ألمانيا باللغة الألمانية.

١٣٧٥ - ١٣٥٧ش - ٩٦ - ١٩٧٩م: العودة إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، ثم اتخاذ القرار بالهجرة إلى أوروبا نهائياً، ثم نشر مجموعتي **ميرزا** و**القادة** ورواية **السوس** ورواية **الرواية** وكتاب **مرور الزمن** (سيرة ذاتية للمؤلف) وترجمة العديد من الآثار الفارسية بالألمانية، وتأليف كتاب **تاريخ وتطور الأدب الفارسي المعاصر**، والعمل طوال هذه الفترة في التدريس في الجامعات الألمانية.

١٣٧٥ش - ١٩٩٦م: الوفاة في ألمانيا عن عمر يناهز ٩٣ عاماً.

المصادر:

(١) قد يبدو قولنا «بلا إرادة منه» مستهجناً لكن التأمل في الجمل التالية لـ بُزُرْگ عَلَوي يوضح الأمر جلياً، يقول. «في تلك الفترة كنت في مجموعة الدكتور أراني، الذي جرّني إلى عالم السياسة، ودفع حياتي في النهاية إلى طريق الضياع، وألقى بي في خِضَمّ حوادث الدهر المتلاطمة، كان هناك قطبان يتجاذبانني، وأنا كنت لعبة بيد هاتين الموجتين. .الخ».

(٢) الدكتور تقي أراني هو أحد الأدباء والمثقفين الإيرانيين المناضلين، صارع من أجل تخليص بلاده من النظام البهلوي المستبد، وأسس مجلة دنيا مع المجموعة سابقة الذكر، وأدى دوراً مهماً في مرحلة الصراع مع الرجعية في إيران، أعتقل عام ١٩٣٧، وحوكم في المحكمة الجنائية، وله في هذه المحكمة لائحة دفاع شهيرة تدل على جرائه وشجاعته، وحكم عليه بالسجن أولاً، ثم قام مأمورو السافاك بقتله في مستشفى السجن عام ١٩٣٩. ويرى العديد من النقاد أن بُزُرْگ عَلَوي كان يريد أن يعكس جانباً من نضال ومقاومة الدكتور أراني من خلال شخصية ماكان، بطل رواية عيناها، والذي اختار له بُزُرْگ عَلَوي المصير نفسه.

(٣) نشرها عام (١٣١٣ هـ. ش) تحت عنوان چمدان.

(٤) عبد العلي دست غيب، **نقد آثار بُزُرْگ عَلَوي**، ص ١٢.

(٥) مجلة جوان، العدد ٢٢، ص ١٩.

(٦) نشرها تحت عنوان **دوشيزهء أورلئان**، سنة ١٩٣٠.

(٧) أنظر: حسن مير عابديني، **صد سال داستان نويسي ايران**، جلد ١ و٢، ص ١١٩.

(٨) تذكّرنا «عصبة الأربعة» وصراعها مع أتباع المذهب الكلاسيكي في إيران بـ «عصبة العشرة» التي أسسها إلياس أبو شبكة، وميشال ابو شهلا، والشيخ خليل تقي الدين، وفؤاد حبيش في لبنان في الفترة نفسها في بداية الثلاثينات بهدف الدفاع عن المعاصرة والحداثة في الأدب والدعوة إليها والهجوم على النزعات والدعوات المحافظة والكلاسيكية في الأدب اللبناني والعربي. ولعلّ نشوء هاتين العصبتين في لبنان وإيران جاء نتيجة تأثر إحداهما بالأخرى. فتسلسل الأحداث التاريخية يدعم هذه الفرضية، إضافة إلى تشابه الظروف السياسية التي أحاطت بظهور كل منهما. ويُذكر أن عصبة العشرة كانت مكونة من أربعة أشخاص فقط وليس عشرة، لكنهم كانوا ينشرون مقالاتهم تحت أسماء مستعارة أخرى بلغ عددها ستة أسماء. كذلك لم تكن عصبة الأربعة مكوّنة من أربعة أشخاص فقط، بل كان اعضاؤها كُثراً، لكنهم كانوا يلجأون إلى هذه الحيل لمحاولة خداع السلطات الأمنية المستبدة.

(٩) مجتبى مينوي، **نقد حال**، ص ٤٥٧ ـ ٤٥٩

(١٠) **ورق پاره هاى زندان**، نشرت عام ١٣٢٠ هـ. ش (١٩٤١م).

(١١) **Die Weisse Mauer**. Berlin. 1960.

(١٢) **Geschichte und Entwicklung der Modern Persischen Literatur**.

(١٣) عبد العلي دست غيب، **نقد آثار بُزُرْگ عَلَوي**، ص ٢٤٧ ـ ص ٢٤٨، بتصرّف.

(١٤) بُزُرْگ عَلَوي، **مجلة جوان**، عدد ٢، ارديبهشت وخرداد، ١٣٥٨ش، (١٩٧٩م)، ص ١٨.

المصادر:

(١٥) حسن مير عابديني، **صد سال داستانويسي إيران**، ج١، ص ٢٢٩.

(١٦) أراني ويزدي قتلا، هدايت انتحر، علوي ادخل السجن، ثم فرّ إلى أوروبا، مينُوي وفرزاد كلاهما فرّ إلى أوروبا وانصرفا عن العمل السياسي، وكذلك فعل جمال زاده، للتفصيل في ذلك أنظر: غلامعلي سيّار، ايران كه هدايت دوست داشت، (ايران التي أحبها هدايت)، ص ٨١.

(١٧) عبد العلي دست غيب، مصدر سابق، ص ١٢٦.

(١٨) حسن مير عابديني، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.

(٢٠) عبد العلي دست غيب، المصدر السابق، ص ٢١.

(٢١) مجتبي مينوي، **كتاب امروز**، ص ١٢.

(٢٢) محمد علي سپانْلو، **نويسندكان پيشْروِ ايران**، (الكتّاب الإيرانيون الروّاد)، ص ١٠٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٢٤) حسن مير عابديني، المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٦ ـ ص ٢٣٧.

اسفنديار معتمدي*

الكتب المدرسية في ايران (١٨٥١ - ١٩٧٩)
منذ تأسيس دار الفنون حتى الثورة الاسلامية

نشبت حروب طويلة نسبياً بين إيران وروسيا قبل نحو قرنين من الزمن. ورغم البطولات التي أبداها الجنود الإيرانيون للدفاع عن بلادهم، لحقت بالجيش الإيراني هزيمة نكراء تمخضت عن اقتطاع أراضي جورجيا والقوقاز من إيران. على أن هذه الهزيمة وعقد معاهدتي گلستان وتركمانشاي المخزيتين وضعا الإيرانيين أمام تساؤلات جادة، أبرزها ما الذي تمتلكه القوات الروسية ولا نمتلكه؟ كيف يمكننا أن نكون أقوياء للتعويض عن اندحارنا وتخلفنا؟

اعتبر المفكرون والإصلاحيون في المجتمع أن عوامل الانتصار تكمن في وجود النظام والقوانين وانتشار العلم والتقنيات الجديدة، وأن الآلية الضرورية لبلوغ هذا الهدف تتوافر من خلال تأسيس مراكز علمية وفنية، وكذلك استخدام المعلمين والمستشارين الأجانب وارسال الطلاب للدراسة في الخارج، ونشر الصحف وترجمة وتأليف الكتب العلمية والفنية، وإرساء علاقات مع البلدان المتطورة. وعليه، راح الإيرانيون يبحثون عن الفرصة المناسبة لتنفيذ هذه الخطوات.

مع إستلام ميرزا تقي خان أمير كبير دفة الحكم وإرساء سلطنة ناصر الدين شاه عام ١٢٦٤ هـ، شهدت إيران إجراءات اصلاحية شاملة، أحدها تأسيس دار الفنون في طهران، والشروع في تعليم العلوم والفنون الحديثة في إيران. وكانت دار الفنون مع إطلاقها بحاجة إلى مبنى ومعلمين وبرامج وكتب مدرسية ووسائل علمية وموازنة، فبادر أمير كبير إلى إعداد الخطط اللازمة. وهو شرع في تعيين الأرض التي سيقام عليها مبنى دار الفنون بالقرب من القصور الملكية وإلى جوار ساحة توبخانه باعتبارها المكان الأنسب، فوافق الشاه على اختيار المكان، ودعا المهندس تبريزي[١] إلى تصميم مبنى دار الفنون. وقد أعد ميرزا رضا خان خريطة البناء بما يشبه المعسكر الذي كان قد شاهد مثله في بريطانيا. وقام الأسطة محمد تقي

* باحث إيراني في العلوم السياسية.

معمار باشي جد كامران ميرزا لامه ابن ناصر الدين الشاه ببناء المبنى المذكور في خلال عامين (من ١٣٦٦ إلى ١٣٦٨ هـ).

كان أمير كبير يولي اهتماماً كبيراً لتقدم العلم في دار الفنون. وهو دعا، تزامناً مع بدء العمل في الدار، السيد داوود خان الذي كان يجيد الفرنسية للتوجه إلى النمسا[٢] من أجل استخدام ستة من المعلمين النمساويين الكفوئين لمدة ستة أعوام. فقام الأخير الذي كان المترجم الأول للدولة الإيرانية السامية بعد سفره إلى النمسا، باستخدام سبعة معلمين وأجرى معهم عقداً لمدة خمسة أعوام قبل أن يوفدهم إلى إيران. وقد وصل المعلمون المذكورون إلى طهران بعد يومين من إقالة أمير كبير من منصبه (رئيس الوزراء) ولم يتم استقبالهم بشكل لائق. ومع ذلك، أسس هولاء الأساتذة الفروع التعليمية لقوات المشاة والمدفعية والهندسة والطب والجراحة والصيدلة والتنجيم[٣].

لم يكن يوجد في إيران آنذاك تلاميذ يتمتعون بالمستوى المطلوب لتلقي الدروس من هؤلاء المعلمين. إذ تم اختيار ١٥٠ طالباً تراوح أعمارهم بين ١٤ و١٥ عاماً ممن يجيدون القراءة والكتابة ـ معظمهم من الأسر الثرية والأمراء ـ للدراسة في مدرسة دار الفنون، علماً أن هؤلاء الطلاب لم يكونوا مؤهلين للدراسة، لا سيما أن معظم الأستاذة كانوا يلقون محاضراتهم في الصفوف باللغات الأجنبية (معظمها بالفرنسية)، فيما كان المترجمون يترجمون المحاضرات للطلاب إلى الفارسية. ورغم تزايد المشكلات في التدريس، أبدى الأساتذة خبرة عملية وتجريبية.

أُعدت الكتب الدراسية الأولى بعد أعوام عدة استناداً إلى دروس الأساتذة. وقد استفاد المترجمون في إعداد هذه الكتب مما سجلوه من محاضرات أو من كتب أحضرها الأساتذة معهم من الخارج أو مما كتبه الأساتذة خلال اقامتهم في إيران. وقد طُبعت هذه الكتب في مطبعة دار الفنون[٤] بوساطة الطباعة الحجرية ووضعت في خدمة الطلاب. على أن الرغبة والعمل الدؤوب اللذين ابدتهما المجموعة الأولى من المعلمين الإيرانيين والأجانب في دار الفنون كانا لافتين جداً. إذ كان المعلمون يعدون بأنفسهم مستلزمات عملهم من كتب ومختبرات وورشات عمل وأماكن للتصوير والطباعة، وذلك رغم كون طلابهم من أبناء الأمراء والبحارة، ويفتقرون إلى الإستعداد والجهد اللازم، بحيث استطاعوا اعداد طلاب ليكونوا خلفاء جيدين لهم في التعليم.

تمثلت المشكلة الأولى في ما يتعلق باعداد الكتب الدراسية (استمرت طوال الـ ١٥٠ عاماً الأخيرة) في غياب المصطلحات العلمية المحددة في تعريفها ليتم استخدامها محل الألفاظ الأجنبية، وكذلك في عدم توافر الورق والحبر الجيدين. كما كان النقص في التجهيزات من المشاكل الأخرى. على أن هذه المستلزمات كان يتم تأمينها بمساعدة من علي قلي ميرزا

اعتضاد السلطنة وزير العلوم[٥]، ورضا قلي خان هدايت[٦] المعروف بـ "باشي" الناظر والمشرف على هذه المدرسة.

كان المدراء الاوائل لدار الفنون من اكثر الاشخاص علماً ووعياً في عصرهم. وقد دعا هؤلاء الأساتذة الاجانب إلى كتابة كتاب واحد سنوياً، على أن يقوم المترجمون الإيرانيون بترجمة هذه الكتب إلى اللغة الفارسية. وفي ما يلي عدد من الكتب التي كانت تدرس في مدرسة دار الفنون:

- **ميزان الحساب**، تأليف المسيو كريشش، ترجمه محمد زكي ميرزا مازندراني، طهران، دارالفنون ١٣٧٤ هـ.

- **فيزيك**، كريشش نمساوي، ترجمه ميرزا زكي مازندراني، طهران دارالفنون، ١٣٧٤هـ.

- **كتاب تشريح جسم الانسان**، بولاك، طهران، دارالفنون ١٢٧٠ هـ، ٣٥٥ صفحة.

- **كتاب الجبر والمقابلة**، المؤلف بهلر الفرنسي، ترجمة عبد الرسول خان مهندس اصفهاني باهتمام رضا قلي ناظم مدرسة دارالفنون ٢٥٦ ص.

- **زبدة الابدان**، جان إلى، شليمر فلمنكي بمساعدة من محمد تقي بن محمد هاشم انصاري طبيب كاشاني، ١٢٧٩ ق.

- **زبدة الحكمة**، بولاك نمساوي، تأليف ميرزا علي نقي آقا محمد اسماعيل، طهران ١٢٧٢هـ.

- **جراحي**، يشمل مجلدين ورسالة واحدة في الكحالة، بولاك نمساوي، طهران، ١٢٧٣ ٣ ج في مجلد واحد.

أول كتاب في الفيزياء

طبع أول كتاب في علم الفيزياء بطهران عام ١٢٧٤ هـ /١٨٥٧ م طباعة حجرية، وكان مؤلفه واكوستت النمساوي استاذاً في علم الفيزياء في مدرسة دارالفنون، وترجمه إلى الفارسية السيد ميرزا زكي مازندراني بعنوان **جر اثقال وحكمت طبيعي**، وطبع في مطبعة دار الفنون[٧].

يعد كتاب **فيزياء** الذي ترجمه ميرزا زكي مازندراني، لناحية الالفاظ والمصطلحات العلمية - تم اختياره لاول مرة في اللغة الفارسية - وكذلك لناحية تعريفه لبعض المفاهيم والمصطلحات الفيزيائية والتغييرات التي طرأت طوال قرن ونصف قرن، كتاباً مفيداً في علم التاريخ. وقد أجرى المرحوم هوشنك شريف زاده الذي يعتبر من المشغوفين والعارفين بالعلم والتعليم في إيران، تنقيحات على هذا الكتاب. وهو عمل على إعادة طبعه بالتعاون مع كل من السيدة آرمة

زرسازي والسيدة مهرناز طلوع شمس مع بعض الاضافات عليه بواسطة مركز النشر الجامعي (مركز نشر دانش اهي).

إلى الاساتذة، قام المتخرجون من دارالفنون كذلك بكتابة الكتب المدرسية. وعلى سبيل المثال، فإن السيد أقاخان مصفا الملقب بـ «محاسب الدولة»، والذي كان من الطلاب الاوائل في دار الفنون، أعد كتاباً تاريخياً عن دارالفنون(٨). وقد ذكر فيه ما معناه «بما أنه لم تتم طباعة نسخة موجزة ومفيدة من الجبر والمقابلة، ألفت كتاباً في الجبر والمقابلة وقمت بطباعته، كما ألفت كتابين في علم الحساب، وترجمت كتاباً في الرافعات، وكذلك ألفت كتاباً في الجغرافيا وطبعته في اصفهان».

يتضح أنه لم يتم الاهتمام آنذاك ايضاً بالمعلمين والمؤلفين. إذ يقول هذا الكتاب في خصوص الكتب المدرسية: «بما أن الراتب الذين كان يقدم لأمثالي لم يكن يكفي لتغطية نفقات المعيشة، فقد اشتغلت بدوري منذ ذلك التاريخ في البنك الشاهنشاهي».

بعض معلمي دارالفنون

يقول مهدي قلي خان هدايت (مخبرالسلطنة) في مذكراته(٩). «لقد كان يوجد في الدورة الاولى من دار الفنون معلمون ما زالت كل آثارهم الجادة متبقية. وكان كريشش معلماً في المدفعية والرياضيات، وكان مترجمه ميرزا زكي نجل الحاج ميرزا أقا مازندراني الذي توجه إلى باريس. وهو يجيد اللغة الفرنسية.

«وبعد وفاة كلوغيه (cloguet) الفرنسي، صار الدكتور بولاك الذي كان معلماً في الطب والجراحة (مترجمه محمد حسنين قاجار) الطبيب الخاص للملك (حكيم باشي) وحل شليم النمساوي محله في تدريس الطب. وقد كتب شليم القرابا ديني كتاب علم الصيدلة في الطب والنباتات. وقد اورد المترجم في الفرنسية والانكليزية والالمانية في أول الكتاب الاسماء الفارسية والعربية المرادفة، مشيراً إلى صفحات الكتاب. وقد حاول شليم أن يصنع زجاج البلور، ولكنه لم يفلح».

ويقول هذا الكاتب بعد أن ازداد عدد المدارس، ولم يبق حينذاك اثر من الاساتذة الاجانب «لم تكن برامج مدارسنا صحيحة ولم نمتلك بعد مدرسة بكل مستلزماتها. دوائرنا تكتظ يوماً بعد آخر بعناصر لسنا بحاجة اليها. منذ اعوام لدينا مدرسة الفلاحة ولم يتم تعليم حتى شخصاً واحداً ملماً بحقيقة الفلاحة. واذا كان قد تعلم شيئاً ما، فهذا الشخص لم يتوجه للعمل في اراضي أبيه الزراعية. فالبلدان المتقدمة لديها مدارس خاصة لكل حرفة، كالنجارة والحدادة والشؤون المنزلية والطباخة والخياطة وغيرها. يجب على المدارس أن تربي عناصر كفوءة ومتواضعة وأن لا يكونوا مفسدين غير مبالين».

الكتب الدراسية لغاية عام ١٩٢٨م

شيدت اول مدرسة ابتدائية على الطراز الحديث في إيران بعد ٣٧ عاماً من تأسيس دار الفنون التي كانت تشكل مركز تعليم عالياً. كما شيدت اول ثانوية بعد ٤٧ عاماً من تأسيس دارالفنون التي لم تتوافر لديها مستلزماتها، بحيث لم تتحقق الآمال المعلقة عليها.

كان ميرزا حسن رشديه الذي أسس مدرسة في ايروان، قد شجع افتتاح مدرسة في تبريز. إلا أنه رغم ترحيب اهالي المدينة بهذه المدرسة، فقد تم اغلاقها مراراً، وتوارى رشديه عن الانظار، لكن حبه لتربية الاطفال الإيرانيين وتعليمهم جعله يتحمل الصعاب، وبات اسمه نجماً لامعاً في تاريخ التربية والتعليم في البلاد. وقد درس في هذه المدرسة، اضافة إلى الاطفال، الرجال الأميون الذين تراوح أعمارهم بين ٢٥ و٤٠ عاماً. وفي وقت لاحق توجه رشديه إلى طهران، حيث تابع مهماته التعليمية. ويعتبر ميرزا حسن رشديه أول مؤلف للكتب الدراسية الابتدائية في إيران. ويوجد حالياً ٢٧ كتاباً مطبوعاً من جانبه، في ما يلي بعض هذه الكتب:

- **بداية التعليم (ثلاثة مجلدات للصف الاول الابتدائي):**

المجلد الاول مخصص للشهرين الاولين، والمجلد الثاني والثالث للاشهر الخمسة التالية؛

- **نهاية التعليم لتعليم الاملاء الفارسي؛**
- **هداية التعليم لتربية المعلمين؛**
- **الاخلاق للصفوف الستة للمرحلة الابتدائية.**

كان رشديه يطبع هذه الكتب على نفقته الخاصة ويضعها في خدمة الطلاب. والطريف هو أن رشديه أعد نظاماً لادارة المدرسة يشمل ٤١ فصلاً خصص كل منها لموضوع واحد. وعلى سبيل المثال، يقول في واجبات مدراء المدارس الابتدائية[١٠] «إذا كان مدير المدرسة يقبل تسجيل الطالب من اجل تسلم بدل التسجيل فقط، فانه يكون بذلك قد اقترف ظلماً. ينبغي على مدير المدرسة أن يأخذ بدل تسجيل الطلاب من أجل إستقلال التربية والتعليم فقط لأن المطالبة بأجور التعليم محرمة. وإذا كان مدير المدرسة لا يستطيع أن يفهم الحالات الدراسية لعموم المتعلمين، فعليه أن يعطل المدرسة ليخفف بذلك وزر وباله».

في الاعوام التالية تم تدريجاً تأسيس مدارس خاصة في طهران والمدن الإيرانية الأخرى. وكان يتم تأليف الكتب الدراسية وطبعها ونشرها من جانب المؤسسين والمدراء والمعلمين[١١]. وفي ما يلي بعض النماذج من الكتب الدراسية التي كانت تدرس في المدارس الابتدائية آنذاك:

- **كتاب علمي في الاخلاق واصول وفروع الدين لميرزا يحيي دولت آبادي؛ تعليم الاطفال**

«القباء قرائت فارسي» لميرزا محمود خان مفتاح الملك؛ **شجرة طيبة در اخلاق وأصول وفروع دين** لميرزا يحيي دولت أبادي؛ **تاريخ مختصر إيران** لعلي فروغي ذكاء الملك؛ **جغرافيا** لميرزا رضا خان مهندس الملك.

كانت الكتب التي تكتب للدورة الابتدائية يتم اعدادها على أساس ذوق الكاتب وتجاربه الشخصية، وكان البرنامج يتمثل في فكر الكاتب، وغالباً ما كان ذلك لا يتطابق مع ظروف أعمار الاطفال ومسائل تعلمهم. وقد تأسست اول مدرسة متوسطة في إيران[١٢] عام ١٣١٥ هـ ق / ١٣٧٥ ش /١٨٩٦ م باسم المدرسة العلمية التي كانت تدرّس إلى الدروس الادبية، دروس الفيزياء والكيمياء والرياضيات والطبيعيات كذلك. لكن هذه الدروس لم تتوفر لها كتب وبرامج منتظمة، كما لم يتأهل معلموها تأهلاً اختصاصياً للتدريس. وكان معظم هؤلاء المعلمين يلقون محاضراتهم نقلاً عن الكتب والكراسات التي كانت تتوفر لديهم في دار الفنون، فيما كان الطلاب يكتبون هذه المحاضرات، وبذلك تحولت كتابة الكراسات الدراسية من جانب الطلاب إلى أحد أهم النشاطات التعليمية، وهي مازالت متواصلة حتى يومنا هذا في بعض الصفوف الدراسية.

كان أحد الطلاب المجتهدين في دارالفنون هو علي خان مهندس[١٣] ابن قاسم. وبعد اكمال دراسته في دارالفنون أوفد إلى فرنسا، حيث تابع دورة في علم المدفعية. وبعد عودته إلى إيران تم اختياره معلماً لدروس المدفعية في دار الفنون. وهو ألف إبان هذه الفترة عدداً من الكتب، دُرس أحدها في دار الفنون لمدة طويلة، هو كتاب **الحكمة الطبيعية ـ مبادئ علم الفيزياء**. وكان موضوع هذا الكتاب ميكانيك الجوامد وميكانيك المواد المصنعة والحرارة والكهرباء والمغناطيس. وكانت الطبعة الاولى لهذا الكتاب بتاريخ ١٢٩٥ هـ ق /١٢٥٦ هـ ش /١٨٧٧م. وبعد تأسيس المدارس الحديثة، بدأت عملية تأليف الكتب الدراسية في المدارس المتوسطة تدريجاً. وكان ميرزا محمد علي خان ذكاء الملك من الداعين والسبّاقين في كتابة الكتب المدرسية. وهو كتب أول كتاب في الفيزياء للمرحلة الثانوية. وجاء في مقدمته:

«بسم الله الرحمن الرحيم

«بعد الحمد والصلاة، قبل ثمان أو تسع سنين، كنت أعمل مدرساً للفيزياء في المدرسة العلمية التي كانت من المدارس المتوسطة لمدينة طهران، وقد علّمت هذا العلم لثلاثة مستويات من المتعلمين في تلك المدرسة. وقد درّست هذه المادة في المرحلة الاولى بشكل تفصيلي نسبياً، وذلك بمقتضي مواهب الطلاب، كما درّست هذه المادة في المرحلة الثانية والثالثة باختصار أكبر. ونظراً لعدم توافر كتاب في هذا العلم يصلح لتدريسه للمستويات المذكورة، فقد كنت ألقي المواضيع الدراسية من الخارج على الطلاب الذين كانوا يكتبون ذلك، وتم بذلك جمع وصياغة التقارير التي كنت ألقيها على الطلاب في هذه المادة في كتاب. ونظراً لحاجة المدارس

إلى دورة مختصرة لعلم الفيزياء، شجعني بعض الأصدقاء على إضافة بعض الصور على ذلك الكتاب والقيام بطبعه». ١٣٢٧ العبد الخجل محمد علي بن فروغي (ذكاء الملك)[١٤].

الكتب الوزارية

في عام ١٢٩٠ هـ شمسية صودق على القانون التأسيسي لوزارة المعارف، وتم اقرار التعليم العام والاجباري. وكان النظام التعليمي يشمل أربعة انواع من المدارس، هي: المكاتب الابتدائية للقرية، والمكاتب الابتدائية للبلدة، والمدارس المتوسطة والمدارس العالية. وطبقاً لهذا القانون، وضعت جميع أجهزة التعليم والتربية الحكومية والخاصة في برنامج موحد تحت اشراف الحكومة. وتقرر أن تكون المرحلة الابتدائية في ست سنوات، والمرحلة المتوسطة (الثانوية) في ست سنوات ايضاً. وبناء على هذا القانون، شرعت الحكومة بتأسيس المدارس الابتدائية والثانوية في كل ارجاء البلاد، كما تأسست دار المعلمين لاعداد المدرسين. وفي عام ١٣٠٠هـ شمسية ١٩٢١ م صودق على قانون المجلس الأعلى الثقافي الذي أصبحت طبقاً له جميع الشؤون المرتبطة بالمدارس، كتنظيمها وبرامجها وامتحاناتها واستخدام المعلمين والمدة الزمنية للتعليم، موحدة في كل ارجاء البلاد، كما أُلزم المؤلفون باعداد وتأليف الكتب الدراسية طبقاً للبرنامج الذي تعده وزارة المعارف. وفي هذا البرنامج بدأ تعليم العلوم في إيران من المرحلة الابتدائية، كما كتبت بعض الكتب لتعليم العلوم في هذه المدارس. لكن هذا البرنامج لم يستمر اكثر من اربعة اعوام. ونظراً لشحة الورق ومشكلة الطباعة اختصر تدريس العلوم في المدارس الابتدائية أنذاك في درس واحد هو علم الاشياء وفي الصف الخامس فقط. وفي عام ١٣٠٧ شمسية / ١٩٢٨م، وفي عهد وزارة قراگوزلو (اعتماد الدولة) انيطت مهمة اعداد الكتب الدراسية للمرحلة الابتدائية بوزارة المعارف التي نشرت لاول مرة الكتب الوزارية على صعيد البلاد، والتي نشرت بتوجيه واشراف من وزارة الثقافة (التربية والتعليم) والتي كانت متناسبة مع حاجة الطلاب ودوافعهم الاجتماعية حسب اعمارهم، كما كانت اسعارها انسب من اسعار الكتب السابقة وأجود لناحية الطباعة، ما أدى إلى حل مشاكل الكتب الدراسية للطلاب.

إثر طباعة ونشر الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية، حظيت الكتب الثانوية كذلك باهتمام وزارة المعارف. وفي ٢٧ مهر عام ١٣١٧ هـ ش / ١٨ تشرين الأول / اكتوبر ١٩٣٨م صدر قرار عن مجلس الوزراء أنيطت بموجبة مهمة كتابة الكتب الثانوية بوزارة المعارف. ثم تشكلت لجنة من المدرسين والاساتذة المساعدين والاساتذة في كل موضوع للتخطيط للكتب الثانوية وتأليفها. وتقرر طبقاً لهذا النظام أن تكون كل الكتب الثانوية موحدة ومنسجمة مع مبادئ التربية والتعليم لتحتوي هذه الكتب، اضافة إلى المواد العلمية والادبية، على تشجيع الخصال الوطنية والقيم الراسخة التي يتحلى بها الإيرانيون في طبيعتهم منذ العهود القديمة.

إثر هذه الخطوة المؤثرة، تم خلال ثلاثة اعوام طبع ونشر ٨٠ مجلداً من الكتب الثانوية

بدعم مالي من وزارة الثقافة. وكانت هذه الكتب تعرف بالكتب الوزارية، وكانت متميزة عن الكتب السابقة لناحية انتهاج الدقة في صحة المواضيع وجمال الطباعة ونوع الورق والتجليد. وكان الافراد المشاركون في كل مجموعة من المجموعات الدراسية من اكثر العناصر وجاهة وأفضلها تخصصاً وخبرة آنذاك[١٥]، وكانت بدلات تأليف الكتب تتوافر من طريق بيعها، علماً أن اسعار هذه الكتب كانت زهيدة جداً. إلا أن المآخذ على الكتب الوزارية ـ الكتب التي تولت اصدارها وزارة المعارف ـ كان استخدام المصطلحات التي كانت قد أوصت بها الاكاديمية الإيرانية. إذ كان كثير منها لا يألفها المعلمون جيداً. أما النقطة الاخرى، فهي أن معظم المفاهيم العلمية والادبية الموجودة في هذه الكتب كانت أعلى من المستوى التعليمي لطلاب الثانويات. ومع أن عدد الثانويات وعديد طلاب في المرحلة الثانوية آنذاك لم يكن كبيراً، فقد تمكنت الوزارة في الاعوام الاولى تلبية حاجات هؤلاء الطلاب[١٦].

السماح بتأليف الكتب المدرسية

دخلت قوات الحلفاء في نيسان / ابريل ١٩٤١ الاراضي الإيرانية، فظهرت الآثار المشؤومة للحرب العالمية الثانية في إيران من خلال أسعار البضائع والسلع والخدمات في البلاد، كما انخفضت الموارد المالية الحكومية، الأمر الذي اثر سلباً في طباعة الكتب، ما أدى إلى نقل كثير من المهمات التي كانت الحكومة تقوم بها إلى القطاع الخاص، كما تحول موضوع حرية تأليف الكتب المدرسية إلى موضوع ساخن آنذاك، إذ بدأ الحديث يدور حول التنافس العلمي وحرية الطباعة والتأليف. فأعلنت وزارة المعارف التي كانت تنوي الحد من مسؤوليتها حرية تأليف الكتب المدرسية ونشرها من جانب القطاع الخاص.(١٩٤٤م) لكن منح حرية تأليف الكتب المدرسية للقطاع الخاص شجع كثيرين على الكتابة. لكن غياب التوجيه والاشراف الدقيقين على هذه الكتب سبب كثيراً من المشاكل ولم تتحقق النتيجة المطلوبة. وفي ما يلي بعض هذه المشكلات:

- استخدام المصطلحات بشكل مختلف من جانب المؤلفين في الكتب للمادة الدراسية الواحدة؛

- عدم المساواة في نوعية وكمية الكتب التي كانت تُدّرس في مختلف الصفوف لمادة دراسية واحدة؛

- ارتفاع اسعار الكتب المدرسية؛

- استبدال الكتب المدرسية بمجرد انتقال المعلمين من مدرسة إلى اخرى، إذ اشارت التقارير الواردة إلى دائرة التفتيش إلى أن الطلاب اضطروا إلى تغيير كتبهم المدرسية في عام واحد سبع مرات[١٧]؛

- الاضرار التي لحقت بدور النشر وباعة الكتب نتيجة استبدال الكتب وتغييرها وركود رؤوس اموالها:

- ظهور التكتلات الثقافية وتشكيل بعض المجموعات لاستخدام نفوذها في ثقافة البلاد:

- عدم وصول الكتب الدراسية في الوقت المناسب وقيام السوق السوداء وعدم انتهاج الدقة في الطباعة وادخال القضايا السياسية في التربية والتعليم.

بعد مضي نحو ٢٠ عاماً على حرية تأليف ونشر الكتب المدرسية، على أمل أن يؤدي التنافس الحر إلى رفع مستوى الكتب المدرسية، لم تتحقق النتيجة المطلوبة، فبدأت الانتقادات تنهال من كل جانب، وقيل في حينه «ان الكتب المدرسية في إيران باتت اداة يتلاعب بها عدد من دور النشر التي لا يهمها سوى المتاجرة وجني الارباح، وكذلك عدد من المؤلفين غير الدقيقين وغياب اتخاذ القرار في وزارة المعارف(١٨)». وفي هذا الصدد كتب المرحوم جلال آل احمد مقالاً بعنوان «فوضى في الكتب المدرسية»، وذلك رغم اعداد المجلس الأعلى للثقافة نظاماً اساسياً خاصاً بالكتب المدرسية للثانويات والطباعة والتوزيع واسعار هذه الكتب، كما شكل لجاناً مختصة بصحة المواضيع وتنسيق البرامج ومراعاة الانتظام المنطقي والتنسيق بشأن المصطلحات والبساطة وسهولة العبارات والقضايا التربوية. لكن ذلك لم يسفر عن النتيجة المتوخاة ولم تحل المشكلة. فاضطرت وزارة المعارف أن تتولى مجدداً مهمة تاليف الكتب المدرسية ونشرها، وذلك بقرار اصدرته بتاريخ ١٣٤١/١٢/١٨ هـ ش / ١٩٦٢م. وقد كتب ابوالقاسم بور حسيني في هذا الصدد يقول: «لقد سمح في الفترة ما بين عامي ١٣٢٥ و١٣٣٢ بنشر الكتب المدرسية. وقد قررت وزارة المعارف (التربية والتعليم) برنامجاً سمحت بموجبه بطباعة ونشر الكتب المدرسية للجميع. وكان المدرسون قد تكتلوا على شكل مجموعات وشرعوا في كتابة الكتب المدرسية وقاموا ببيع كتبهم لبعض دور النشر. وكانت اسعار هذه الكتب تُحدد حسب رغبة الناشر. وقد راجت آنذاك الدعايات للكتب المدرسية للمرحلة الثانوية. ويبدو أن سوق الرشوة وغير ذلك كانت رائجة. فكل واحد كان بمقدوره أن يستخدم واسطة من اصحاب النفوذ للحصول على توصية من أولياء المعارف بشأن كتابه. فذات يوم امسك محمد رمضاني (صاحب دار نشر كلالة خاور) بيد برويز (شهرياري) وأدخله إلى الجزء الخلفي من مكتبته وقال له «أنا أعلم بانك رجل حر لك نضال سياسي، وأنك تعارض الفساد والسرقة والاحتكار. إذاً تعال لنقم بعمل ما! أنت تقوم بكتابة سبعة من كتب الرياضيات للمرحلة الاولى من الثانوية، وأنا اقوم بطباعتها وابيعها بأقل الاسعار، وسنقوم بهذه العلمية بالتصدي لهذا النمط من بيع الكتب ومنع أطماع الطامعين واعتداء بعض الافراد على طلاب المدارس. انك لا تتقاضى بدل تأليف هذه الكتب، وانا كذلك لا أضيف شيئاً على قيمتها الحقيقية».

كان رمضاني يمتلك جهاز طباعة لطباعة اعماله. وهو تولى شخصياً كل جهود الطباعة، وحدد سعر كل كتاب من هذه الكتب بـ ٢٠ ريالاً، وبذلك تمكن من خفض اسعار الكتب في السوق، فشعر الناس بالارتياح، واكتسب هو وزميله برويز سمعة طيبة، واشتهرت بذلك دار نشر كلاله خاور، وبعد فترة ارتفع مستوى العمل، وتم بذلك اسداء خدمة كبيرة بجهود ذلك الرجل العظيم[١٩].

تأسيس منظمة الكتب المدرسية الإيرانية (سازمان كتابهاي درسي)

صرح وزير التربية والتعليم الدكتور برويز ناتل خانلري في خصوص الكتب الدراسية في (ايلول / سبتمبر ١٩٤٥) قائلاً: «لقد بلغت أوضاع الكتب الدراسية الإيرانية في الاعوام الاخيرة حالة من الابتذال في المحتويات والتنوع غير المحدود والغلاء والمضاربات وسوء الاستغلال إلى درجة كان ينبغي اتخاذ قرارات حازمة لصالح الشعب وانهاء حالة الفساد والفوضى». وقد اتخذ هذا القرار الحازم في الجلسة التي عقدت بتاريخ ١٣٤١/١٢/١٨ هـ ش (الموافق لعام ١٩٦٢م) من جانب مجلس الوزراء، وذلك من أجل تحسين وضع الكتب الدراسية في المدارس الابتدائية والثانويات. وعليه، قرر مجلس الوزراء ما يلي بشأن اعداد نصوص الكتب بما يتناسب مع التقدم العلمي والثقافي والاسعار المتدنية والتوزيع المنظم:

المادة ١ ـ تتولى وزارة التربية والتعليم من الآن فصاعداً وحدها مهمة تأليف واعداد الكتب الدراسية للمدارس الابتدائية والثانوية.

المادة ٢ ـ سيتم تشكيل لجنة في وزارة التربية والتعليم مؤلفة من عدد من المدرسين والاساتذة وبقية العلماء.

المادة ٣ ـ ما دامت مطابع وزارة التربية والتعليم أو المطابع الحكومية لم يتم تجهيزها لتتمكن من اعداد كل الكتب التي تحتاجها المدارس، تستطيع وزارة التربية والتعليم أن تنيط مهمة طباعة وتوزيع هذه الكتب بشركة مؤلفة من عدد من الناشرين وباعة الكتب تحظى بالصلاحية الفنية والعلمية والمالية التي تريدها وزارة التربية والتعليم، وذلك لمدة محددة.

المادة ٤ ـ تستطيع وزارة التربية والتعليم أن تستفيد موقتاً من أحد الكتب المؤلفة الموجودة موقتاً بعد انتخابه لتدريسه حتى يتسنى اعداد نصوص كل الكتب المدرسية الثانوية من جانب الهيئة المذكورة في المادة الرقم ٢، وتعمل على نشره طبقاً لنظام هذا القرار[٢٠].

بعد اتخاذ هذا القرار، تم انجاز ثلاثة أعمال أساسية، هي:

ـ تشكيل شركة مساهمة لطباعة ونشر الكتب الدراسية لمنحها عقد طباعة وتوزيع الكتب الدراسية؛

ـ تشكيل ١٤ لجنة بمشاركة ٦٣ شخصاً من الاساتذة والمدرسين من ذوي الخبرة لاختيار كتاب واحد لكل مادة دراسية:

ـ اعداد نظام تأسيسي لمنظمة الكتب الدراسية الإيرانية والمصادقة على قانونها الذي تضمن مادتين اثنتين، هما:

المادة ١ ـ من أجل تأليف واعداد نصوص الكتب الدراسية التي تحتاجها المدارس الابتدائية والثانويات في البلاد، يتم تأسيس مركز علمي باسم منظمة الكتب الدراسية الإيرانية تحت اشراف وزارة التربية والتعليم طبقاً للأنظمة التالية:

المادة ٢ ـ لهذة المنظمة شخصية مستقلة حقوقية ويكون رئيسها ممثلها القانوني والمسؤول عن تنفيذها والمشرف على أجهزتها الادارية والعلمية.

طبقاً للمواد الاخرى لهذا القرار، يتم انشاء مركز علمي غير انتفاعي باسم منظمة الكتب الدراسية يعمل على إعداد الكتب الدراسية الإيرانية تبعاً للتقاليد الدينية والعلمية والثقافية والوطنية وتلبية للحاجات الحالية والمستقبلية للبلاد على أساس أخر المعلومات العلمية، ومتناسبة مع المبادئ التعليمية والتربوية ومواهب الطلاب في مختلف الاعمال الدراسية، ويوخذ فيها في الاعتبار الانتظام الطبيعي والمنطقي، ومزودة بالتصاوير اللازمة وانتهاج البساطة وسهولة العبارات وتنسيق المصطلحات العلمية والاملاء الموحد والصحيح ومبادئ وضع النقاط فيها.

بعد اصدار هذا القانون التأسيسي، باتت الطريق ممهدة أمام تشكيل منظمة الكتب الدراسية الإيرانية. وهكذا عقد في نهاية المطاف أول اجتماع لهيئة أمناء هذه المنظمة بمشاركة كل من السادة الدكتور خانلري والدكتور رضائي ورضا أقصي والدكتور محمود بهزاد والبروفسور فاطمي في ١٣٤٣/٨/١٤ هـ ش (الموافق عام ١٩٦٤م). وقد عين الدكتور محمود بهزاد، بناء على اقتراح وزير التربية والتعليم ومصادقة مجلس الوزراء، رئيساً لمنظمة الكتب الدراسية الإيرانية لمدة ثلاثة اعوام، والتي اعطت ثمارها في العام الاول من تأسيسها، بما أنهى المشاكل الناجمة عن نقص الكتب الدراسية. وقد ذكر الدكتور مظاهر مصفا مدير النشرة الشهرية للتربية والتعليم «ماهنامه آموزش وكَرورش» في شهر مهر ١٣٤٣ (الموافق عام ١٩٦٤م) حول هذا الموضوع «لقد كانت سهولة العمل والسرعة في مهمات توزيع الكتب ونشرها شيئاً منقطع النظير وجديراً بكل الاشادة والتقدير... ويجب أن نعلم بأن أي عمل صحيح عندما نبدأه بنيات طيبة وعدم تدنيسه ونقوم بتنفيذه بذكاء واخلاص سيؤدي دوراً رئيسياً وأساسياً في ضمان وصحة وسرعة انجاز الاعمال المستقبلية. ان الجهود التي قام بها المسؤولون في وزارة التربية والتعليم وكبار العلماء الاجلاء في إعداد النصوص المهذبة والمطلوبة للكتب الدراسية جديرة بالاشادة والتشجيع لأنهم جدوا فوجدوا وزرعوا وجنوا الثمار

الطيبة من ذلك. ووجهت منظمة الكتب الدراسية من منطلق المسؤولية الكبيرة التي تبنتها الدعوة إلى الاشخاص التالية اسماؤهم للتعاون معها: عبد الحسين مصحفي، غلامرضا مسجدي، ميرزا جليلي، حسين مجذوب في علوم الرياضيات؛ وإلى كل من باقر مظفرزاده وحسين دانشفر وهوشنك شريفزاده واكبر نوروزي واحمد خواجة نصير طوسي في العلوم التجريبية؛ وإلى المرحوم الدكتور محمد حسين بهشتي في العلوم الدينية، وإلى الدكتور حسن انوري والدكتور رسول شايسته في الآداب الفارسية؛ والمرحوم خليلي فر في الجغرافيا. وعلينا أن نذكر اسم السيد مجتبي جعفريه المعروف بـ «دانش» على الخدمات المختصة التي أسداها طوال ٤٠ عاماً في طباعة وتوزيع الكتب المدرسية الإيرانية».

تغيير نظام التربية والتعليم والكتب الدراسية

تغير النظام التعليمي الإيراني عام ١٩٦٦ لناحية أهدافه وبرنامجه ومواده التعليمية. وقد تحولت المراحل الدراسية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة إلى ثلاث مراحل ابتدائية وتوجيهية ومتوسطة، الأمر الذي زاد عدد الفروع والمواد الدراسية قياساً بالماضي ازدياداً كلياً. وقد انيطت مهمات اعداد البرامج وتعيين رؤوس فصول المواد الدراسية بمكتب الدراسات والتخطيط، وكانت مهمة تأليف الكتب وطباعتها ونشرها تقع على عاتق منظمة الكتب الدراسية الإيرانية. وقد أدرج في النظام التعليمي والتربوي الجديد دروس، كالفن والعلوم التجريبية في الصف الاول الابتدائي. وقد أعد لكل كتاب من الكتب المقدمة للتلاميذ كتاب مختص بطريقة تدريسه أو مرشد للمعلم. وقد وزعت كتب الطلاب وكتب المعلمين منذ العام الاول لبدء النظام التعليمي والتربوي الجديد معاً. كما تم تأليف كتب المرحلتين الابتدائية والتوجيهية على أساس مبادئ التعلم والحاجات الفردية والاجتماعية للطلاب. وكانت هذه الكتب تختلف اختلافاً كبيراً عن الكتب المدرسية السابقة لناحية الطباعة والورق والتجليد. وطبعت هذه الكتب طباعة ملونة، وكانت توضع في خدمة الطلاب قبيل بدء العام الدراسي. إلا أن منظمة الكتب الدراسية واجهت منذ عام ١٩٧٤ مشكلتين اساسيتين، احداهما تتعلق بموضوع التأليف، والاخرى بالطباعة والتوزيع. إذ لم يعد أمر تأليف الكتب المدرسية لمختلف الفروع والصفوف في المرحلة الثانوية امراً سهلاً. فقد كان من المفترض تأليف ما يزيد عن ٥٠٠ عنوان من الكتب طبقاً للبرنامج الجديد. ولم يكن تأليف هذا العدد الهائل من الكتب امراً سهلاً. إذ كانت الفروع الدراسية جديدة تماماً، بحيث إنه لم يكتب حتى ذلك الوقت اي كتاب في ذلك الموضوع باللغة الفارسية، لذلك لم يكن ممكناً انتخاب مؤلف كفوء، وكانت طباعة هذا العدد الهائل من الكتب امراً صعباً. وعلى سبيل المثال، كان من اللازم طباعة وتوزيع ٥٥ مليون كتاب في مدة خمسة اشهر عام ١٩٧٧، وهو ما لم يكن ممكناً من ناحية الامكانات المتاحة.

رغم الجهود المخلصة التي بذلها مؤلفو الكتب المدرسية والعاملون في الورشات الفنية، لم يكن ممكناً إعداد هذا الكم الهائل من الكتب في خلال فترة محدودة، فانهالت موجة من الانتقادات العامة الموجهة إلى وزارة التربية والتعليم والمشككة في فاعلية النظام التعليمي الجديد. وبدلاً من سد الثغرات، كان يتم اجراء تغييرات في البرامج الدراسية والكتب، والتي كانت تتم بشكل مستعجل ومن دون دراسة، وبات النظام التربوي والتعليمي الجديد نظاماً غير فاعل ومثيراً للمشاكل، ما أفقده الدعم العام الذي كان يحظى به.

كانت منظمة الكتب المدرسية الإيرانية تتولى اضافة إلى الكتب الدراسية الطلابية في المراحل الابتدائية والتوجيهية والثانوية (لمختلف الفروع)، تأليف وطباعة الكتب المدرسية لطلبة مراكز تربية المعلمين ودور المعلمين ودور معلمي المدارس التوجيهية. وقد ألفت وطبعت هذه المنظمة خلال الفترة التي سبقت العام الدراسي ٧٨ ـ ٧٩ ما مجموعه ٦٣٦ عنواناً من الكتب المدرسية. وقد بلغ عدد طبعات هذه الكتب ٧٠ مليوناً.

منظمة البحوث والتحديث التعليمي

قدمت منظمة الكتب الدراسية الإيرانية خلال ١٥ عاماً ابداعات جديدة في مجال الكتب المدرسية. وكانت الكتب التي تم تأليفها لاول مرة في تلك المنظمة تختلف اختلافاً واضحاً عن الكتب القديمة لناحية دقة النصوص ونسبتها وجودة الطباعة وتجليدها، وكان مقرراً ارفاق هذه الكتب بالمختبرات والورشات والافلام وباقي المواد التعليمية، لكنها وصلت إلى أيدي الطلاب في وقت متأخر، ما أثار مشكلات اجتماعية وتعليمية اخرى، فلجأ المسؤولون إلى تأسيس منظمة البحوث والتحديث التعليمية، وتمت المصادقة على قانون تشكيل منظمة البحوث والتحديث التعليمي (منظمة البحوث والتخطيط التعليمي) التي تتولى تأليف وطباعة وتوزيع الكتب الدراسية الإيرانية في ١٧ كانون الثاني / يناير ١٩٧٦ من جانب مجلس الشورى الوطني. وكانت مسؤولية هذه المنظمة أوسع بكثير من تأليف الكتب الدراسية. وفي ما يلي نشير إلى عدد من مواد هذا القانون[٢١].

المادة ١ ـ من أجل التحقيق والدراسة في المسائل النوعية التعليمية والتربوية والتقويم المستمر وتنظيم البرامج الدراسية وتأليف وصياغة الكتب الدراسية واعداد المدارس والمؤسسات التعليمية التابعة لوزارة التربية والتعليم لاستخدام الوسائل والسبل الحديثة نحو اعلاء النوعية التعليمية والتربوية، يتم تشكيل منظمة باسم منظمة البحوث والتحديث التعليمي يطلق عليها في هذا القانون اسم المنظمة.

المادة ٢ ـ مهمات هذه المنظمة هي عبارة عن:

ـ اجراء البحوث والدراسات في محتوى البرامج التعليمية والتربوية في المراحل المختلفة

الدراسية، مع الاخذ في الاعتبار حاجات البلاد والقدرات والخصائص النفسية للطلاب، وتمييز وتعيين الأهداف لكل مرحلة دراسية، وإعداد وتنظيم برامج دراسية، وتعيين النسب المطلوبة للدراسة في مختلف المستويات والفروع؛

- دراسة وتنظيم السبل المبسطة في مجال الامتحانات والتقسيمات؛

- إعداد وتأليف ونشر الكتب والنشرات التعليمية ومساعدة الطلاب والمعلمين والمدرسين؛

- تعيين وإعداد المواد والوسائل التعليمية وفهرست المقاييس الدولية للتجهيزات والوسائل التعليمية بالتعاون مع منظمة تحديث وتوسيع وتجهيز المدارس في البلاد واعداد وتنظيم الخطط اللازمة لتحديث السبل والوسائل التعليمية؛

- اجراء الدراسات الاساسية في مجال التحسين النوعي والكمي للتعليم والتربية؛

- تربية الخبراء الذين تحتاجهم وزارة التربية والتعليم.

وجاء في المادة السادة من هذا القانون: ابتداء من تاريخ تشكيل هذه المنظمة، يتم نقل مهمات وائتمانات والتزامات منظمة الكتب الدراسية الإيرانية إلى هذه المنظمة.

الكتب الدراسية لكبار السن

إثر الثورة الدستورية، توجهت الاهتمامات نحو التعليم العام. وقد انشئت صفوف التعليم لكبار السن في بعض المناطق في إيران. على أن هذا الموضوع حظي عام ١٣١٥/١٩٣٦م بدعم رسمي قانوني. فقد صودق في هذا العام على نظام «تعليم الكبار» في مجلس الوزراء. وتم تأليف وطباعة ونشر وتعليم عنوانين أو ثلاثة عناوين من الكتب المدرسية لتعليم كبار السن. الا أن الحرب العالمية الثانية وتداعياتها الأليمة أدت إلى تعليق برامج محو الأمية نحو١٥ عاماً. وفي عام ١٩٥٦ حظي هذا الموضوع مجدداً بالاهتمام. أما في عام ١٩٦٢، فقد تم تأليف كتابين لمحو الأمية وضعا في خدمة الطلاب. وفي عام ١٩٦٤ تم تشكيل لجنة وطنية لمكافحة الأمية على الصعيد العالمي، واصبح موضوع تأليف الكتاب الدراسي للكبار اكثر جدية، وألقيت مسؤولية هذا العمل على عاتق هذه اللجنة بشكل مباشر. ومنذ عام ١٩٦٥ تم تأليف كتاب (بخوانيم وبنويسيم) (لنقرأ ولنكتب) وخمسة عناوين أخرى وتم تعليمه في صفوف محو الأمية. ثم تأسست المديرية العامة لتعليم كبار السن، والتي تولت مهمة تأليف الكتب الدراسية وكتيبات في مجال الصحة والسلامة وجغرافية وتاريخ إيران والمواد التعليمية الاخرى لصفوف محو الأمية.

المصادر:

(١) كان ميرزا رضا خان أحد الطلاب الخمسة الذين أوفدهم ميرزا نايب السلطنة إلى بريطانيا لتعلم الفنون الجديدة. وقد عاد ميرزا رضا خان إلى إيران بعد إقامته في لندن لمدة أربع سنوات وأسدى خدمات أسهمت في تقدم الجيش الإيراني في الهجوم العسكري الذي شنه محمد شاه علي هرات.

(٢) عُرِّف الأساتذة المذكورون آنذاك بالنمساويين نظراً لأسم بلادهم التي كانت تعرف آنذاك بالنمسا.

(٣) نشرت صحيفة **وقائع** اتفاقية يوم الخميس الثالث من صفر عام ١٣٦٨ تقريرها عن العمل.

(٤) المطبعة الحجرية لدار الفنون أو دار الطباعة الخاصة العلمية المباركة دار الفنون في طهران بدأت العمل مع افتتاح مدرسة الدار للفنون. وكانت أجهزة هذه المطبعة قد جهزت لطباعة المكتب المدرسية التي كانت تطبع بشكل عام في هذه المطبعة. وقد قامت هذه المطبعة منذ تأسيسها عام ١٢٦٨ هـ ق حتى عام ١٣٠٠ هـ ق بطباعة وتجليد نحو ٣٠ ـ ٤٠ مجلداً من الكتب المدرسية. وظلت هذه المطبعة قائمة حتى عام ١٣٢٦ هـ ق چ پ خانه سن كَ دار الفنون تأليف حسن كلبايكاني ماهنامه صنعت طبع العدد ١٢٠، دي ماه ١٣٧١، (الموافق عام ١٩٩٢م) ص ص ٢ ـ ٥١.

(٥) علي قلي ميرزا المقلب باعتضاد السلطنة (١٢٣٨ ـ ١٢٩٨هـ) عم ناصر الدين شاه كان أول وزير للعلوم والرئيس الرابع لمدرسة دار الفنون، وكان عالماً ومحباً لنشر العلم. وهو ألف عدداً من الكتب وقام في عام ١٢٨٠ بجمع الكتب الفارسية والأجنبية، وأسس مكتبة دار الفنون وكان يزيد عليها في كل عام عدداً من الكتب.

(٦) رضا قلي خان المعروف بـ «باشي» (١٢١٥ ـ ١٢٨٨هـ) كان يتولى مهمة المراقب والمشرف على المدرسة في الأعوام الأولى من تأسيسها. وكان رضا قلي خان ملماً باللغة والفلسفة والحكمة والعرفان والشعر والآداب الفارسية والعربية وكتابة التاريخ، وقد ألف شخصياً العديد من الكتب.

(٧) جاء في مقدمة هذا الكتاب ما معناه: «من جملة المعلمين الكرام موسيو كرشيش النمساوي العقيد والمعلم لكل علوم المدفعية والهندسة، وقد عمل طوال هذه المدة بطبيعة شيقة ونية صادقة على تربية طلابه، وقام بتعليمهم كثيراً من العلوم الضرورية حتى أصبح كل واحد منهم جديراً بالخدمة ويليق بالمنصب، وقد أدرج فيه عدداً من العلوم المكتوبة سابقاً، وقدم الكتاب شرحاً وتوضيحاً لعلم الرافعات وعلم الحكمة الطبيعية، وهو من العلوم الغامضة والمفيدة، وبما أنه قد ترجم بمساعدة السيد الوجيه ميرزا زكي مازندراني المساعد في المدفعية والمترجم الكامل من اللغة الفرنسية إلى اللغة الفارسية الدارجة، طبع في مطبعة ناظم دار الفنون رضا قلي في عدد من المجلدات، وذلك لتكثير الفوائد وتعدد الرسائل. وقد جمعت وتمت المحافظة عليه في المكتبة الخاصة بدار الفنون.

(٨) إقبال يغمائي (١٢٩٥ ـ ١٣٧٦) مدرسة دار الفنون بانظام تاريخ دار الفنون ومدارس الشرف والعلمية بطهران، سروا، ١٣٧٦.

(٩) حاج مهدي قلي خان هدايت (مخبر السلطنة)، **خاطرات وخطرا**، انتشارات زوار ١٣٧٥، الصفحة الرابعة، ص ص ٥٧ ـ ٥٨.

المصادر:

(١٠) دكتور اقبال قاسمي پويا. **مدارس جديد در دوره قاجاريه**، مركز نشر دانش گـ هي ١٣٧٧، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(١١) الحاج سيد سعيد طباطبائي نائيني (أولاده ١٢٩٣هـ) يعد أحد الأشخاص الذين كان لهم دور مؤثر في تنمية التربية والتعليم المعاصرة في اصفهان. وقد أسس هذا الشخص ١٠ مدارس ومكتبة ومطبعة كلبهار في اصفهان، كما أسس مكتبة كوهرشاد في مشهد، وألف ١٨ مجلداً من الكتب الدراسية لطلاب المدارس. راجع (نقش حاج سيد سعيد طباطبائي نائيني در تربيت وتعليم معاصر فرهن گـ معاصر اصفهان، مجتبي ايمانية يادمان فرهن گـ (ج١)، متحف التربية والتعليم لمحافظة اصفهان، ص ص ٢٩ - ٨٥.

(١٢) اسفنديار معتمدي «نخستين دبيرستان در ايران»، **مجله رشد معلم**، عام ١٨، العدد الثالث (آذر ١٣٧٨)، ص ٦٢ - ٦٤.

(١٣) ميرزا علي خان سرتيب «ناظم العلوم» خريج مدرسة سن سير الفرنسية، وكان من النشطاء في لجنة معارف طهران.مسؤول المدرسة العلمية وناظر مدرسة همايوني في اصفهان ومترجم كتاب تلماك ومعلم المدفعية ومدير دروس دار الفنون ومدير دروس دار الفنون «مدارس جديد در دوره قاجاريه ص ١٠٤».

(١٤) محمد علي فروغي (١٢٥٦ - ١٣٢٢) **فيزيك**. مقدمه. المكتبة الوطنية.

(١٥) المؤلفون لكتب الفيزياء للعام الثالث المرحلة الثانوية: دكتور محمود حسابي، أستاذ جامعي: دكتور كمال جناب، أستاذ مساعد: دكتور امانت الله روشن زائر، أستاذ مساعد: مرتضي علي اسفندياري، مدرس: مدني كركاني، مدرس:

أما المؤلفون لكتب التاريخ فهم: عبد الحسين شيباني، أستاذ جامعي: حسين فرهودي، مدرس: دكتور رضا زاده شفق، أستاذ جامعي: غلامرضا رشيد ياسمي، أستاذ جامعي: نصرالله فلسفي، أستاذ جامعي.

(١٦) ارتفع عدد المدارس الثانوية خلال عامين من ١٨٠ مدرسة إلى ٢١٧ مدرسة، سالنامه مجلة تعليم وتربيت ١٩٣٨م.

(١٧) دكتر رياحي، «كتاب درسي» **ماهنامه آموزش وپرورش**، العدد رقم ٣ العام ٣٣ خرداد ١٣٣٢ (١٩٥٣م)، ص ٩.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) ابو القاسم بوحسين، **زندگينامه پرويز شهرياري**، طهران، نشر مهاجر، ١٣٨١ (٢٠٠٢م).

(٢٠) قرار مجلس الوزراء.

كالنار في قلب الحجر

كالنار في قلب الحجر

صدر حديثاً في طهران مجموعة شعرية للشاعر حسين إسرافيلي بعنوان **كالنار في قلب الحجر**. وهي من منشورات " خورشيد باران " وتحت رعاية مؤسّسة حفظ آثار وقيم الدفاع المقدّس. وحسين إسرافيلي من الشعراء الإيرانيين المعاصرين الذين حملوا هموم الأمة الإسلاميّة وتضامنوا مع شعوب الدول العربيّة، وتحديداً فلسطين، وقد صدرت له حتى الآن مجموعات عدة، منها: ولادة في الساحة؛ النار في الخيام؛ في ظلّ ذي الفقار؛ العبور من الصاعقة؛ النار في الحلق؛ الطوفان الأخير، وقد ترجمت إلى العربيّة وطبعت في اتّحاد الكتّاب بدمشق عام ٢٠٠٢.

تقع مجموعة **كالنار في قلب الحجر** في ٩١ صفحة من القطع المتوسّط وتصنّف ضمن الشعر السياسيّ. تبدأ المجموعة بقصيدة تستغرق معظم الكتاب بلا عنوان، تليها قصائد صغيرة تحمل العناوين الآتية : سجن أبو غريب؛ الستارة الأخيرة؛ فؤوس وحطّابون؛ فلسطين الجريحة. وهي تبدأ المجموعة بالحديث عن أحداث ١١ أيلول ومابعده وماجرّته للأمّة الإسلاميّة من مصائب، وتركّز على مايجري في فلسطين. وتبدأ المجموعة بتوجيه الكلام إلى بوش والتنديد بجرائمه في حقّ البشريّة عامّة، والمسلمين خاصّة، من أفغانستان إلى العراق إلى فلسطين. وتحتلّ هذه الأخيرة الجزء الأكبر من المجموعة.

الحجر الذي يعنون به الشاعر مجموعته هو ذاك السلاح الذي يرفعه أبطال الانتفاضة، حتّى أنّ هذه الحجارة تكاد تمطر من أشجار الزيتون في الوطن المحتل، وقد أصبح الأطفال في تلك الأرض يولدون من أجل الشهادة؛ هؤلاء الأطفال طيور لن يقضي القتل على غريزة الطيران فيها. فهوى الطيران موجود في ذاتها، وهو قرينها منذ الولادة. أمّا نعش محمّد الدرّة الصغير، فيرفرف ملتفّاً بكفن من فلسطين على أكتاف أبطال الانتفاضة والريح تنثر عطره في الصحاري البعيدة والقلوب القريبة والسجون الكبيرة... ووسط هذا كلّه يبرز بوش كذبابة تحطّ على دمامل متقيّحة، أو كحشرة تضع بيضها في ماء آسن ولاتكفّ أذاها عن صديق أو عدوّ.

وبلغة شاعريّة رقيقة يربط الشاعر الماضي بالحاضر. فهذا بوش قرين هتلر وجنكيز

وفرعون ونمرود. لكنّ نار نمرود كانت برداً وسلاماً على ابراهيم الخليل. كما أنّ أفاعي السحرة تصغر أمام عصا موسى الكليم. فأين جيوش بوش وبلاده التي جرّت ملايين البشر إلى الإيدز بمادونا ومايكل جاكسون؟ وأين جيوشه التي أثارت فيهم الأفلام الرخيصة حبّ القتل وسفك الدماء من أبطال الوطن المحتلّ الذين قادوا العمليّات الاستشهاديّة في قطاع غزّة والخليل؟ وهكذا لا تدع المجموعة صغيرة وكبيرة من جرائم بوش إلاّ وتقارنها مع مايفعله المقاومون.

لا يبدأ الشاعر المجموعة بمقدّمة، بل يقول موضحاً العنوان :

«بدل المقدّمة:

لا أعرف أهذه السطور شعر أم نثر أم كلام أم... ربّما لا تكون أيّاً منها، لكنّها ـ مهما تكن ـ الحجر الذي يسير كتفاً إلى كتف مع أبناء فلسطين نحو المحتلّين، سواء صهاينة تلّ أبيب أم صهاينة البيت الأبيض».

وفي الختام أنقل مقطعاً من هذه المجموعة ومن قصيدته الأولى إلى العربيّة يتحدّث فيها عن شهادة الشيخ أحمد ياسين:

«وصلتني ليلة أمس رسالة
من الجنّة
مكتوبة على ورق الورد الأحمر
ملفّعة بعطر الورد المحمّديّ
مع صورة للشيخ أحمد ياسين
وهو يشير إلى الصبح
بإصبعه
وبابتسامة عذبة
يضع يده بيد «الرنتيسيّ».
كان يسير في الغيوم
وكلاب جائعة
من البعيد
تبرز له أسنانها
وتعوي
والشيخ كان ينظر إلى الصبح لاغير
وقوس قزح من النجم والابتسامة
قد مدّ جناحيه
فوق رأسه
الأمواج
نثرت اسم «الشيخ»

في البحر المتوسّط
والحيرانات البحريّة
همست
بالخبر بعضها في أذن بعض
والقمر
الذي كان يسبح في البحر
أخبر السماء
النجوم
أنارت الطريق
لتسهّل عبور الشيخ
الغيوم
ألقت برأسها على كتف الجبل
وبكت
والمطر
مزج دمع السماء
ببكاء الحيوانات البحريّة
وبركان كبير
عقد نطفته في قلب الجبال
دم الشيخ أحمد
كان انفجاراً مختلفاً
أكثر عرياً من الأقمار الاصطناعية
نشر
مظلوميّة فلسطين
والقدس
نصبت هامتها
في أذان صبح الشهادة
وكان وضوؤها
من أعضاء الشيخ الدامية
في الفلق
هذه هي المدينة كلّها
امتلأت بعبق وضوء الشهادة
من رائحة الشيخ
والمآذن

تنعيه
وفتائل المتفجّرات
ستضيء بذكراه
والحجارة
أحرّ من قبل
ستصوّب هدفها
نحو الإرهاب...

ندى حسون

أحمد الموصللي

موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا

(مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤) ص ٤٩١

إن غـرض هذه الموسـوعـة التـاريخـيـة والسـيـاسـيـة والاجـتـمـاعـيـة هو تزويد القارئ بالمعلومـات الضـرورية والمناقـشـات التـحليلية للأفكار الأسـاسـيـة والمبادئ والمفاهيم والمذاهب والعـقـائد الخـاصـة بالجـمـاعـات والحـركـات الأصـوليـة الإسـلامـيـة أو حـركـات الإسـلام السـيـاسـي في العـالم العـربي وإيران وتركـيـا، وكذلك تزويده بالمعلومـات الضـرورية عن زعـمـاء ومـؤسـسـي ومـثـقـفـي ومـفـكري وأعـضـاء تلك الحـركـات والجـمـاعـات. وتميل الموسـوعـة إلى التـركـيـز أكـثـر على الحـركـات والجـمـاعـات والزعماء والقادة الأكثر حداثة، كما أنها لا تهمل الحركات والجماعات والزعماء والقادة الأقدم.

تقـدم الموسـوعـة أيضـاً المداخل التـحليلية المفـصلة لـلأفكار والمبـادئ والمفـاهيم والمذاهب والعقائد الأسـاسـيـة والمحورية التي تحدد ماهية الأصولية الإسـلامـيـة، مثل الشورى والحاكمية والجهاد وعالية الإسلام وجاهلية العالم. كما ترجع مداخل الموسوعة القارئ إلى مواد أخرى من أجل التـوسع في بحث مـوضـوع مـعين، ومن أجل عدم تكرار شرح خطاب معين أو عقيدة أو حـركـة مـا. كـمـا أن أغلب المادة الفكرية مـرتبط بعضها ببعض، ويتوقف في أكثر الحالات على شـرح مـفـاهيم أخـرى. وعند الضـرورة، تفـرق الموسوعة بين الإسلاميين المعتدلين والمتشددين من أجل تجنب التشـويش والتـعـميم. إذ إنه من الضـروري الإلمام بالاخـتـلافـات السـيـاسـيـة والفكرية الأساسية بين الإسلاميين، إن لناحية بناء خطاباتهم الأيديولوجـيـة أو سلوكـهـم السياسي.

والأكثر أهمية، أنه لا يتم شرح الداخل من وجـهة نظر إسلامـيـة عـامة أو تقليدية أو كـمـا يفـهـمـهـا أكـثر المسلمين المعـاصـرين اليوم، بل تشرح طبقاً لوجهات نظر الأصولية الإسلامية. وهكذا، عندما توضح الموسوعة مفاهيم الفلسفة أو الغرب أو الشريعة الإسلامية أو الشورى أو الجهاد، فهذه وجهات نظر الأصولية، وليست الرؤية التقليدية أو الإصلاحية الدينية والثقافية والسياسية، مع عدم وجود أي محاولة لمقارنة اخـتـلاف وجـهـات نظر الأصـوليـة عن تلك التقليدية. وتتركز الشروحات في هذه الموسوعة على أهداف وتبريرات وتطورات الايديولوجية الأصولية الإسلامية، فضلاً عن إعادة تفسير الأصـوليين للعـديد من الأفكار، كـالحـرية أو الأعـمـال كـالثـورة. لذا، تغطي الموسـوعـة كل الأفكار والمبادئ والمجالات التي تميز الأصولية الإسلامية عن الأطروحات الإسلامية الحديثة الأخرى، مثل الإصلاحية والتحديثية.

لناحية المساحة التي تحتلها الداخل حول الحركات والجماعات والزعماء والمفكرين، فإنها تتفاوت من مدخل إلى آخر. وهكذا، فالحركات الإسلامية الرئيسية، مثل الإخوان المسلمين، وحزب الله، والجبهة الإسلامية للإنقاذ، ومفكرين وزعماء أصوليين رئيسيين، مثل حسن البنا، وسيد قطب، والإمام الخميني، وحسن الترابي يحتلون مساحات أكبر تراوح بين بضع فقرات وبضع صفحات. أما المداخل التي تتكلم

عن الجماعات والحركات الصغيرة، مثل حركة أمل الإسلامية أو العمائم السوداء أو التي ليست لها أهمية سياسية وثقافية كبيرة أو الزعماء أو المفكرين الأقل أهمية، فيحتلون مساحات أقل تقتصر على بضعة سطور وإلى القليل من الفقرات.

تتضمن الموسوعة تقريباً كل الشخصيات الرئيسية والثانوية للحركات الإسلامية، إضافة إلى الأصوليين المستقلين المهمين. وتتضمن الحركات والجماعات منظمات شرعية وغير شرعية ومشهورة وغامضة، والتي تراوح في الحجم من بضعة أفراد إلى آلاف الأتباع. وقد بذل جهد خاص لربط الداخل ذات العلاقة بعضها ببعض لكي يتمكن القارئ من تشكيل صورة أكثر شمولية للمادة التي تراجع.

عمار جفال

التنافس التركي-الإيراني في آسيا الوسطى والقوقاز

(مركز الإمارات للدراسات والبحوث، ٢٠٠٥) ص ١٠٣

تميزت سياسة موسكو تجاه نشاط القوى الكبرى والمجاورة في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز حتى الآن، بتأكيد مكانة روسيا بوصفها قوة مهيمنة أمنياً وعسكرياً ومتحكمة في خطوط المواصلات الاستراتيجية، أنابيب النفط والموانىء وخطوط السكك الحديد، مع السماح لهذه الجمهوريات بهامش من الاستقلالية في إدارة شؤونها الداخلية وعلاقاتها الخارجية.

نظراً إلى هذا التوجه في سياسة روسيا تجاه المنطقة، يثور التساؤل: هل تمتلك تركيا وإيران حقيقة قدرات من شأنها التأثير في المستقبل السياسي لدول المنطقة في اتجاه إخراجها من الهيمنة الروسية، أم أنهما تسعيان إلى المساهمة في الاستفادة من سوق المنطقة وثرواتها، مثل ما يلاحظ بوضوح في ما يتعلق بالتعاون والتنافس على عقود استغلال نفط حوض قزوين، ورسم مسارات أنابيب تصديره؟

عن هذه التساؤلات تجيب الدراسة التي بين يدينا والتي هي من إعداد عمار جفال الأستاذ المحاضر في قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة الجزائر.

أبكار السقاف

الدين في الهند والصين وإيران

(مؤسسة الإنتشار العربي، ٢٠٠٤) ص ٢١١

تواصل المؤلفة أبكار السقاف في هذا الكتاب، وهو الثاني من سلسلة «نحو آفاق أوسع» جهدها الذي بدأته في الكتاب الأول والذي جاء تحت عنوان **الدين في مصر والعصور القديمة وعند العبريين**، البحث في الدين في الهند والصين وإيران حيث تسود المجتمع الآري القبلي مجموعة من النظم والعادات والتقاليد تختلف عما عهده الإنسان في المجتمع القبلي السامي، وقد واصل العقل الإنساني مغامرته الأولى، فتشكلت ملامحه تحت تأثير اشتراكية المجتمع، مما سيعكسه العقل الإنسان في تفكيره اللاهوتي فيما بعد حيث سيكون ذلك ركيزة لانبثاق عقيدة وحدة الوجود وعقيدة الأبوة الإلهية والرعاية السماوية. وقد سجل إنسان هذه العصور معتقداته الدينية في شكل أناشيد وتسبيح وتراتيل وأوراد وتعاليم أخلاقية.

ينتظم الكتاب في ثلاثة فصول يدور الفصل الأول حول الدين في الهند القديمة، أما الفصل الثاني، فإنه يتناول الدين في الصين، بينما يبحث الفصل الثالث الدين في إيران.

فرح موسى

العرب وإيران وصراع النهايات، قراءة أولية في التحولات العربية-الإيرانية

(دار الهادي للطباعة والنشر، ٢٠٠٤)، ص ٢٠٨

يتضمن الكتاب عناوين ثلاثة، وهي: العرب وإيران وصراع النهايات، إذ أشرنا في العنوان الأول إلى أن الإخفاق العربي، وخاصة على مستوى الأنظمة والمؤسسات الحاكمة، والسياسات المتبعة، لا يشكل نهاية للانعطاف العربي نحو الحق في ظل ما يتعرض له من هجمات شرسة على كيانه ووجوده، لأنه لا تزال توجد في هذا العالم واحات نور تستبطن الأمل العربي، وتؤمن الاستبدال الحقيقي لكل التحولات السلبية في العالمين العربي والإسلامي. أما في العنوان الثاني، فقد أشرنا في جملة أبحاثه إلى أن العلاقات العربية الإيرانية يمكن ترميمها على النحو الذي يجعلها أكثر تماسكاً وفاعلية في مواجهة المخططات الأميركية الصهيونية الساعية إلى تقطيع أوصال العالم الإسلامي لإقامة الإمبراطورية الأميركية على أنقاضه، وخاصة بعدما تلمسته الشعوب الإسلامية من حقائق، سواء في حرب الخليج الأولى أو الثانية أو في غزو أفغانستان والعراق. وإذا كان العنوان الثالث قد أشار إلى صراع النهايات فيما آلت إليه أوضاع المنطقة، فذلك إنما ذهبنا إليه لأجل تبيان معالم التحولات المقبلة الآيلة حتماً إلى النهاية في ضوء ما يعيشه العالم من أزمات سياسية واقتصادية وعسكرية تعرض العالم كله للخطر. وبما أن الغرب قد اختار الصدام الحضاري، وأدخل الإسلام في دائرة حروبه تحت عناوين شتى، فإن هذا الصدام سيؤول في النهاية إلى أن يكون الغرب والصهيونية في عين الإعصار.

□ وقائع إيرانية ـ عربية (شباط / فبراير ـ نيسان / أبريل ٢٠٠٥)

وقائع إيرانية / عربية

(شباط / فبراير - نيسان / أبريل ٢٠٠٥)

● ايران - البحرين

أكد مصدر بحريني رفيع المستوى أن اجتماع نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة أخيراً مع السفير الإيراني محمد فرازمند «ركز على رفع صور مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية علي خامنئي» في المناسبات الدينية في البحرين، مشيراً إلى «مجموعات» لم يسمها تقف وراء هذا التصرف وترتبط بجهات داخل إيران وتستجيب تعليماتها «تسعى إلى الإساءة إلى العلاقات بين البلدين، رغم تطورها الإيجابي في السنوات الأخيرة».

(الحياة، ٢٠٠٥/٣/٨)

● إيران - الجزائر

بدأ الأمين العام للمجلس الوطني للأمن الإيراني حجة الإسلام حسن روحاني مساء أمس زيارة رسمية للجزائر تستمر ثلاثة أيام. وتُعتبر هذه الزيارة الأولى التي يقوم بها إلى الجزائر مسؤول أمني إيراني على هذا المستوى منذ تطبيع العلاقات بين البلدين.

وكان بيان لوزارة الخارجية الجزائرية أوضح أن روحاني سيلتقي مسؤولين جزائريين رفيعي المستوى، بينهم وزير الخارجية عبد العزيز بلخادم، للبحث في عدد من الملفات السياسية والأمنية. وتأتي الزيارة في سياق التقارب الحاصل بين الجزائر وطهران بعد الزيارة التاريخية التي قام بها الرئيس الإيراني محمد خاتمي إلى الجزائر في تشرين الأول / اكتوبر الماضي. ويتوقع أن تساهم هذه الزيارة في رسم معالم اتفاق تعاون قضائي وأمني لمعالجة الملفات العالقة بين البلدين.

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/١٥)

بدأ وزير الدفاع الإيراني الأميرال علي شمخاني أمس زيارة رسمية تستمر ثلاثة أيام إلى الجزائر بدعوة من وزير الدفاع الجزائري الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في إطار «مواصلة تطوير علاقات الصداقة والتعاون بين القوات المسلحة للبلدين». وكان في استقبال شمخاني في مطار هواري بومدين الدولي نورالدين يزيد زرهوني وزير الداخلية والجماعات المحلية، ممثلاً وزير الدفاع الوطني برفقة اللواء أحمد قايد صالح رئيس أركان الجيش الوطني الشعبي، واللواء أحمد صنهاجي الأمين العام لوزارة الدفاع.

(الحياة، ٢٠٠٥/٤/٣)

● ايران - سوريا

افادت مصادر ديبلوماسية إيرانية أن رئيس الوزراء السوري محمد ناجي عطري سيزور طهران يومي ١٧ و١٨ شباط / فبراير الجاري لترؤس وفد بلاده إلى اجتماع اللجنة العليا السورية - الإيرانية، وأن البلدين سيطلقان مفاوضات لتوقيع اتفاق التجارة الحرة بينهما

نهاية العام الحالي. وأوضحت المصادر الديبلوماسية أن عدداً كبيراً من الوزراء السوريين سيرافق عطري في المحادثات التي تشمل لقاء مع الرئيس محمد خاتمي وكبار المسؤولين الإيرانيين وافتتاح المركز الثقافي السوري في طهران.

ويساهم توقيع اتفاق التجارة الحرة بين البلدين في إقامة ما يشبه «سوقاً حرة» سورية - تركية - ايرانية باعتبار أن دمشق وأنقرة وقعتا خلال زيارة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان اتفاقاً للتجارة الحرة بينهما.

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/١٣)

أعلنت إيران وسورية عزمهما على تشكيل «جبهة مشتركة» لمواجهة الضغوط والتهديدات الخارجية المتزايدة، وذلك إثر اجتماع عقد في طهران بين نائب الرئيس الإيراني محمد رضا عارف ورئيس الوزراء السوري ناجي العطري. وخيمت على المحادثات بين الجانبين التهديدات المشتركة، في ظل الأوضاع في لبنان والعراق والأزمة النووية الإيرانية، في وقت تبحث واشنطن في فرض عقوبات جديدة على دمشق، ولا تستبعد ضرب طهران بسبب طموحاتها النووية.

وقال عارف بعد اجتماعه مع رئيس الوزراء السوري «نحن مستعدون لمساعدة سورية في كل المجالات لمواجهة التهديدات». وأكد العطري من ناحيته أن «هذا الإجتماع الذي يعقد في هذا الوقت الحساس مهم للغاية، خصوصاً في ظل مواجهة كل من سورية وإيران لتهديدات عدة، ومن الضروري بناء جبهة مشتركة».

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/١٧)

قال نائب وزير الخارجية السوري وليد المعلم إن العلاقات السورية - الإيرانية «استراتيجية» لكنها ليست حلفاً ضد أي طرف ثالث.

وفي طهران خرجت زيارة رئيس الوزراء السوري محمد ناجي العطري لإيران عن طابعها الاقتصادي لتأخذ بعداً سياسياً اقليمياً واضحاً عبرت عنه امس تصريحات الرئيس الإيراني محمد خاتمي بعد استقباله للعطري. إذ شدد خاتمي على مواقف بلاده الداعمة لسورية «الدولة الأولى على خط المواجهة مع اسرائيل والساعية إلى إستعادة أراضيها المحتلة».

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/١٨)

● ايران - الشرق الأوسط

استبعدت ايران بشكل قاطع أمس امكان الإعتراف بإسرائيل، وطالبت الإتحاد الأوروبي بإعلانها دولة ارهابية. وقال الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية حميد رضا آصفي للصحافيين «إننا لا نعترف بإسرائيل، هذا حقنا الديبلوماسي ولن نقوم بأي تنازل أو أية مساومة مع أية دولة بهذا الصدد». وأضاف أنه تم بحث النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي مع الأوروبيين خلال المفاوضات التي جرت الأسبوع الماضي في جنيف في شأن البرنامج النووي الإيراني. وقال آصفي «ننتظر من أوروبا أن تعلن إسرائيل دولة إرهابية».

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/١٤)

أعلن وزير الدفاع الإيراني الأميرال علي شمخاني عن استعداد طهران لإبرام اتفاقات دفاعية مع عواصم إقليمية لم يحددها. وأضاف شمخاني الذي كان يتحدث أمام مؤتمر «الخليج الفارسي: الأمن والتعاون والسياسات الدولية» الذي عقد في طهران بمشاركة دولية واسعة، أن هذه الاتفاقات يمكن أن تتضمن معاهدات عدم التعرض لطرف ثالث، إضافة إلى عدم منح

امتيازات بناء قواعد عسكرية لدول أجنبية يمكن استخدامها لشن حروب على دول أخرى، مشدداً على أن إيران تسعى إلى ترجمة عملية لمشروع شرق أوسط خالٍ من أسلحة الدمار الشامل.

(الحياة، ٢٠٠٥/٣/٣)

● إيران ـ العراق

قال قائد «الحرس الثوري» الإيراني الجنرال رحيم صفوي أمس ان الإنتخابات العراقية تشكل هزيمة للولايات المتحدة التي ستغادر «المستنقع العراقي».

ونقلت وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية عن صفوي قوله «بعد عامين تقريباً على الهجوم على العراق، فإن أميركا تورطت في المستنقع العراقي وليس لها سبيل سوى الخروج من هذا البلد». وأضاف أن «الحضور الجماهيري الواسع في الإنتخابات العراقية هو أحد مؤشرات هزيمة الأميركيين في العراق».

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/٢)

كشفت مصادر مطلعة أن جهاز الاستخبارات الإسرائيلي (موساد) نصب بالتعاون مع القوات الأميركية في العراق رادارات وأجهزة تجسس متطورة في جزيرة أم الرصاص العراقية قرب البصرة لرصد التحركات العسكرية والأمنية في عمق الأراضي الإيرانية. وأوضحت المصادر نفسها أن موقع الرادارات لا يبعد أكثر من ٨٠٠ متر من ميناء مدينة خورمشهر الإيرانية، وركبت على أعمدة يصل ارتفاعها إلى ٥٠ متراً وتمكن رؤيتها بالعين المجردة من الأراضي الإيرانية. وأضافت أن في امكان هذه الأجهزة التقاط الاشارات اللاسلكية والاتصالات الهاتفية الخلوية في عمق خمسين كيلومتراً داخل الأراضي الإيرانية.

ويتزامن ذلك مع معلومات إيرانية تؤكد أن اسرائيل أنشأت قواعد تجسس في محافظة البصرة العراقية تحت غطاء تجاري أو اعلامي أو جمعيات انسانية.

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/٦).

اعتبر الرئيس الإيراني محمد خاتمي في مقابلة تلفزيونية أمس، إن وتيرة الإرهاب والتطرف ازدادت في العراق منذ الإحتلال الأميركي. وهنأ طالباني، عارضاً عليه مساعدة بلاده «لإقامة عراق حر ومستقل». وقال خاتمي لشبكة «تي في ٥» الفرنسية إن «هدف الإحتلال كان، كما قيل، ضرب الإرهاب والحكومة الديكتاتورية. لكن العراق ويا للأسف، أصبح من جراء الإحتلال، مرتعاً خصباً لعمل التيارات المتطرفة والتيارات الإرهابية والعنيفة.

وكان خاتمي عرض على الرئيس العراقي الجديد جلال طالباني مساعدة بلاده، مؤكداً أن انتخابه «مصدر فرح» له، وفق ما جاء في برقية تهنئة نشرتها وكالة الأنباء الطلابية الإيرانية. وقال خاتمي في رسالته إلى طالباني «ابلغكم استعداد بلادنا لأن تتعاون وتقدم للشعب والحكومة العراقيين كل المساعدة التي يحتاجان إليها».

(الحياة، ٢٠٠٥/٤/٨)

● إيران ـ عُمان

وقعت إيران وسلطنة عُمان أمس مذكرة تفاهم في شأن اتفاق في مجال الغاز. ووقع مذكرة التفاهم وزير النفط الإيراني بيجان زنغانة ونظيره العُماني محمد بن حمد الرمحي في إيران عشية بدء اجتماعات وزراء منظمة البلدان المصدرة للنفط «أوبك» في مدينة اصفهان الإيرانية اليوم.

ووفقاً للإتفاق الإيراني - العماني الذي لم توضع تفاصيله النهائية بعد، ستصدر إيران ٣٠٠ مليون متر مكعب من الغاز إلى سلطنة عُمان يومياً بحلول عام ٢٠٠٨ عبر خط أنابيب يمتد تحت مياه الخليج، على أن تزيد بحلول عام ٢٠١٢ إلى ٧٠٠ مليون متر مكعب يومياً.

(الحياة، ٢٠٠٥/٣/١٦)

● ايران ـ فلسطين

أعلن مسؤول فلسطيني أمس أن الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن) قبل دعوة لزيارة إيران، فيما أكد مصدر قريب من وزارة الخارجية الإيرانية أن عباس سيزور على الأرجح البلاد قريباً، مضيفاً أن زيارته توضح أن طهران ترغب في «إقامة علاقة ودية مع الحكومة الفلسطينية مثلما تتمتع بعلاقات طيبة مع كل الجماعات الفلسطينية.

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/٣)

● ايران ـ الكويت

وقعت الكويت وإيران بروتوكول تعاون واستثمار مشتركاً أمس ينص على توريد الغاز الإيراني إلى الكويت لمدة ٢٥ عاماً. ووقع عن الجانب الكويتي وزير الطاقة الشيخ أحمد الفهد الصباح، وعن الجانب الإيراني وزير النفط بيجان زنغانة.

وينص البروتوكول على اتفاق الطرفين على البنود الرئيسية لاتفاق بيع وشراء الغاز الذي سيبرم بين الدولتين لاحقاً، بما في ذلك كمية الغاز وسعره، وسيتم توفير الغاز من حقل «جنوب بارس» عبر انبوب طوله ٢٦٠ كلومتراً.

وأشار البروتوكول إلى ضرورة قيام الطرفين بعقد مفاوضات وتوقيع الاتفاق النهائي خلال الشهور القليلة المقبلة. وأوضح وزير الطاقة أحمد الفهد قبل مغادرته الكويت أن الكمية ستكون نحو ٣٠٠ مليون قدم مكعبة، متوقعاً وصول الشحنات الأولى خلال عامين من توقيع الاتفاق.

(الحياة، ٢٠٠٥/٣/١٦)

أعلن وزير الخارجية الكويتي الشيخ محمد الصباح أنه سيبدأ اليوم زيارة رسمية لإيران لإجراء محادثات من أجل التوصل إلى حل لمشكلة حقل غاز طبيعي. وقال الوزير للصحافيين في البرلمان «لنا علاقات قوية مع إيران في كل المجالات. لذلك تصبح مسألة (عدم حل) الجرف القاري وعدم ترسيم الحدود البحرية مستغربة». وأشار إلى أن «الأمور أصبحت واضحة. لذلك هناك رغبة جدية لدى الطرفين في وضع نهاية لهذا الملف. ولهذا أتطلع إلى مقابلة صديقي كمال خرازي للإنتهاء من هذا البند». وأوضح أن المحادثات بين الطرفين حول الموضوع وصلت إلى «مرحلة متقدمة جداً، وأتمنى أن تصل إلى نقاط محددة خلال الزيارة».

ويعود النزاع بين الكويت وإيران حول ترسيم الجرف القاري الذي يحوي حقل الدرة البحري الغني بالغاز الطبيعي، إلى الستينات من القرن الماضي. ونشب النزاع بين البلدين مطلع عام ٢٠٠١ عندما بدأت إيران أعمال الحفر في الحقل، لكنها توقفت بعد بضعة أشهر بعد احتجاج كويتي.

(الحياة، ٢٠٠٥/٤/٢٠)

أعلن وزير الخارجية الكويتي الشيخ محمد الصباح أن الرئيس الإيراني محمد خاتمي سيزور الكويت قريباً للبحث في مسألة الجرف القاري وقضايا أخرى. ونقلت وكالة الأنباء الكويتية عن الوزير الكويتي قوله في جاكرتا

أمس إنه ناقش خلال زيارته لطهران الأسبوع الماضي مسائل بينها الجرف القاري، مؤكداً أن الجانبين اتفقا على الحل في أسرع وقت ممكن. وأوضح أن هناك احتمالاً كبيراً أن يزور الرئيس خاتمي الكويت في القريب العاجل، و«هذا يدعو الطرفين إلى العمل سوياً في شكل مكثف ليتمكنا من حل مسألة الجرف القاري خلال الفترة الرئاسية للرئيس الإيراني».

(الحياة، ٢٠٠٥/٤/٢٥)

● ايران ـ لبنان

نوه الرئيس اللبناني أميل لحود أمام وفد إيراني برئاسة نائب الرئيس للشؤون القانونية والبرلمانية الشيخ مجيد أنصاري أمس بوقوف إيران دائماً إلى جانب لبنان وسورية في الظروف الدقيقة التي يمر بها البلدان، معتبراً أن استمرار الضغوط لن يبدل في القناعات الثابتة لدى كل من لبنان وسورية».

واعتبر الوفد الإيراني ان التحالف بين ايران ولبنان وسورية «يلعب دوراً أساسياً في مواجهة المشكلات التي تسعى الصهيونية إلى زرعها في المنطقة»، منوهاً بالعلاقات الثنائية ومؤكداً أن طهران «ستقف إلى جانب لبنان».

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/٢٢)

زار وفد إيراني ضم نائب الرئيس للشؤون القانونية والبرلمانية الشيخ مجيد انصاري ومستشاري الرئيس محمد علي ابطحي ومحمد الصدر، بيروت أمس لتقديم التعزية إلى عائلة رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، وزيارة ضريحه. وبعد التعزية سلم الوفد إلى رئيس الجمهورية اميل لحود في قصر بعبدا رسالة من الرئيس الإيراني محمد خاتمي.

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/٢٢)

حذر وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي الشعب اللبناني من الوقوع في الفخ الذي يخطط له أعداء هذا البلد، مشيراً إلى «أن التعارض الداخلي يضع الوجود اللبناني في مهب الريح، وأن السبيل الوحيد للحفاظ على الإنجازات التي حققها لبنان يمكن فقط بالإصرار على الوحدة التي لا يجب التخلي عنها ببساطة، معتبراً أن استقالة رئيس الوزراء عمر كرامي «قضية لبنانية داخلية».

ودعا خرازي الفرقاء والأحزاب في لبنان إلى الإجتماع والتباحث من أجل الوصول إلى طريق حل في سياق الأهداف النهائية للأزمة التي يمر بها لبنان. وعن المطالبة بخروج القوات السورية من لبنان، اعتبر خرازي «أن هذا الموضوع يتعلق بالقيادتين السورية واللبنانية وما جاء في اتفاق الطائف».

(الحياة، ٢٠٠٥/٣/٢)

اتفق الجانبان السوري والإيراني على أن «إجراء انتخابات حرة ونزيهة في لبنان في موعدها المقرر أمر إيجابي»، وذلك خلال محادثات وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي في دمشق أمس مع الرئيس السوري بشار الأسد ونظيره السوري فاروق الشرع. وبعد لقائه الشرع لمدة ساعتين، أعلن خرازي أن التطورات «الإقليمية تثير القلق لدينا جميعاً» وأن سورية وإيران «تتعاملان بحكمة» مع هذه التطورات، خصوصاً اللاحقة لاغتيال الرئيس رفيق الحريري.

(الحياة، ٢٠٠٥/٤/٣)

أكد وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي أن القيادة السورية جدية جداً على صعيد تنفيذ انسحابها من لبنان. وقال خرازي إن حزب الله يعتمد مبدأ ونهج التحادث مع المعارضة

اللبنانية، وأنه يحظى باحترام المجتمع اللبناني بأكمله نظراً إلى دوره في التحرير. واعتبر أن تحول الحزب إلى العمل السياسي شأن لبناني، لافتاً إلى أنه القوة الوحيدة القادرة على مقاومة أي اعتداءات اسرائيلية لا تزال ممكنة.

(الحياة، ٢٠٠٥/٤/٧)

وصل رئيس اللقاء الديموقراطي النيابي اللبناني وليد جنبلاط أمس إلى طهران حيث أجرى محادثات مع وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي، على أن يلتقي اليوم الرئيس محمد خاتمي. وقال جنبلاط «إن المباحثات تطرقت إلى ضرورة تمتين العلاقة اللبنانية ـ السورية على الصعد الاقتصادية والأمنية والسياسية والعسكرية طبقاً لاتفاق الطائف». وأضاف «كما تطرقت المباحثات إلى موضوع سلاح «حزب الله» في لبنان، وأكدت للإيرانيين أن هذا الموضوع لبناني ويحل ضمن الأطر اللبنانية وضمن الحوار الداخلي».

(الحياة، ٢٠٠٥/٤/٢٤)

● إيران ـ مصر

أكد أسامة الباز المستشار السياسي للرئيس المصري حسني مبارك أمس أن العلاقات المصرية مع إيران طيبة، وأن ما يعوق عودة العلاقات الدبلوماسية هي بعض المشكلات الأمنية». وتحدث الباز عن «إتجاهات وقوى تتنازع داخل إيران»، لافتاً إلى عناصر تقوم بأعمال تضر بالأمن المصري ذات صلة بجهات إيرانية كالحرس الثوري، لكنه شدد على أن ذلك لا يعني أن النظام الحاكم في إيران معادٍ لمصر. وأضاف «نحن مع حق الإيرانيين في أن يختاروا النظام الذي يحكمهم ولا نتنافس مع إيران في أي مجال».

(الحياة، ٢٠٠٥/٢/٢)

استدعت وزارة الخارجية الإيرانية أمس رئيس مكتب رعاية المصالح المصرية في طهران السفير شوقي إسماعيل لإبلاغه اعتراض إيران على الأحكام الصادرة عن المحكمة العسكرية المصرية بحق الدبلوماسي الإيراني محمد رضا دوست واتهام إيران بعمليات التجسس والتخطيط لاغتيال شخصيات مصرية، من بينها الرئيس حسني مبارك، والتي جاءت في التهم الموجهة إلى المصري محمود عيد دبوس الذي حكم عليه بالسجن ٣٥ سنة.

(الحياة، ٢٠٠٥/٣/٣٠)

وصفت إيران على لسان الناطق بسم الخارجية حميد رضا آصفي الحكم الصادر عن المحكمة العسكرية المصرية على المصري محمود عيد دبوس والدبلوماسي الإيراني محمد رضا دوست بتهمة التجسس والتخطيط لإغتيال الرئيس حسني مبارك بأنه «سيناريو لا أساس له ولا يمتلك أي اعتبار قانوني أو حقوقي، وجاء نتيجة محاكمة استعراضية لتقديم خدمة مجانية للكيان الصهيوني». واعتبر آصفي أن «الهدف من الحكم هو لفت الأنظار عن الأزمات الداخلية التي يواجهها النظام المصري». ودعا «المحاكم المصرية إلى عدم اللجوء إلى هذه المحاكمات الاستعراضية وإصدار أحكام مقررة مسبقاً. وأكد آصفي أن بلاده رفضت منذ البداية الادعاءات التي وجهها القضاء المصري لإيران، مشدداً على أن طهران ستطلب توضيحات من الحكومة المصرية حول الأحكام الصادرة.

(الحياة، ٢٠٠٥/٣/٢٩)

فصلنامه
ایران وعرب

شماره چهاردهم - سال سوم - پائیز ۲۰۰۵م

- فصلنامه ایران وعرب، پذیرای مقالات کلیه پژوهشگران در عرصه هاي مسائل مربوط به این حوزه مي باشد.

فصلية
ايران والعرب



فهرست مطالب فصلنامه ایران وعرب

شماره چهاردهم - سال سوم - پائیز ۲۰۰۵م

دیدگاه

مطالعات

معرفی ونقد کتاب

رویدادها

☐ مطالب ومقالات «فصلنامه ایران وعرب» لزوماً بیانگر دید گاههای مرکز پژوهشهای علمی ومطالعات استراتژیك نمی باشد.

قابلیت تغییر در سازمانها وجهانی شدن

محیط جدید بین المللی سازمانها را مجبور به مطالعه دایمی تحولات وتغییر منطقی ومطلوب در مقابل این تحولات کرده است. سازمانها در فشار مداوم برای بهبود وارائه کیفیت در عملکرد خود هستند. در بسیاری از مواقع، تصمیم گیریها برای ایجاد تغییر باید با سرعت انجام شده وبا مهارت به مرحله اجرا برسند وهدف خاص خود را به دست آورند.

در عصر اطلاعات نوین که مشتق جهانی شدن است تلقیات قدیمی از اهمیت جغرافیا، سرمایه فیزیکی ودسترسی به سرمایه قابل اطلاق به شرایط جدید نیستند. مزیت نسبی در گذشته در رابطه با کالا بود و هم اکنون به مدیریت زمان، مدیریت سرمایه گذاری و مدیریت نیروی انسانی تبدیل شده است. مزیت نسبي امروز در این فضیلت نهفته است که چقدر افراد می آموزند، وبا چه کیفیتی می آموزند، به چه صورت هزینه ها را کنترل می کنند وتا چه میزان به شرایط نوین محیطی خود را انطباق می دهند.

ضروری است که يك سازمان به نوعی چارچوب داخلی خود را سازماندهی کند به طور دائم ظرفیت تغییر را در خود ایجاد کند. پنج عنصر در رابطه با چنین طراحی وجود دارد: استراتژي، ساختار، نیروی انسانی، پاداشها وفرآیندها. تلاقی و ارتباط متقابل این پنج عنصر شرایط ویژه ای را برای تولید خلاقیت ونو آوری وتغییر دائمی در يك سازمان پدید می آورد. منظور از استراتژی، روی کاغذ آوردن، مسیر وجهت گیری و افق در مجموعه عملیات يك سازمان است. منظور از ساختار، هرم افراد وکارها در يك سازمان است. مقصود از پاداشها، ارتباط میان افراد وانگیزش آنها و سمت گیری فعالیتهای يك سازمانی است. منظور از نیروی انسانی، کیفیت، نو آوری، تعهد و تداوم وغلظت یادگیری آنها در مجموعه سازمانی است. منظور از فرآیندها، سیستم هایی است که شبکه افراد واهداف وسمت گیری سازمان را در برمی گیرد وهر فردی وهر ایده ای جایگاه روشن و خاص خود را در این شبکه بوضوح می داند ویا اگر ابهامی وجود دارد، سعی می شود با فرآیندهای روشنی، وضوح تحقق یابد. اگر در سازمانی، نحوه تصمیم گیری وگردش اطلاعات خشك باشد اجازه وفرصت معرفی ایده های جدید پدید نمی آید. تغییر دلیل می خواهد، وبه يك راننده محرکه و هدایت گر محتاج است. مدیریت يك سازمان هم خود باید بپذیرند که تغییر لازم است وهم ساختار را نوعی طراحی کنند که گردش اطلاعات وایده ها را تغییر مناسب باشد. تحقیقات نشان می دهد که بهترین منطق ومحرکه برای ایجاد تغییر، شناخت دقیق تحولات محیطی است که رقابت پذیری ووجهه يك سازمان را بهبود می بخشد.

سید حسین موسوی

محمد جواد آسایش زارج*

سیاست خارجی ایران در قبال همسایگانش:
روابط با سلطنت نشین عمان بمثابه يك الگو

این نوشتار، سخنرانی می باشد که سفیر جمهوری اسلامی ایران در مسقط در جریان سمیناری در وزارت خارجه عمان بنا به دعوت این وزارت خانه ایراد کرده و طی آن پنج نقطه نظر محوری را مطرح ساخته است که عبارتند از:

- تاثیر متغیرهای جغرافیائی در سیاست خارجی ایران؛
- ویژگیها و اصول حاکم برمبانی تحرك در سیاست خارجی ایران؛
- اولویتها در روابط خارجی ایران؛
- چالشهای فراروی سیاست خارجی ایران؛
- اهمیت اقتصاد وتجارت در روابط خارجی ایران.

آسایش در سخنرانی خویش این پنج محور را در مورد روابط ایران با کشورهای عضو شورای خلیج فارس وخصوصاً روابط با سلطنت نشین عمان بعنوان نمونه می گشاید و اصول زیر را بعنوان محور و نقطه تمرکز و اهداف این روابط معرفی می نماید:

- تحکیم وتقویت اعتماد سازی؛
- اجرای گفتگوهای منتظم ومستمر در عرصه های همکاری؛
- امضای توافقهای دو جانبه امنیتی با اکثر این کشورها؛
- مبارزه مشترك با قاچاق مواد مخدر، تروریسم و جنایات تشکیلاتی
- پیشنهاد و تدابیر مربوط به همکاریهای اقتصادی؛
- پیشنهاد امضای معاهده عدم تجاوز؛
- پیشنهاد تدابیر امنیتی گروهی میان کشورهای ساحل خليج فارس.

سخنران در ارتباط با روابط ایران وعمان تاکید دارد، این روابط درسه دهه اخیر شاهدتحولات چشمگیری بوده که در سه بخش سیاسی و اقتصادی وفرهنگی قابل مشاهده می باشد

* سفیر جمهوری اسلامی ایران در مسقط.

محمد رضا ضیائی بیگدلی*

چالشهای قانونی میان ایران و آژانس جهانی انرژی هسته ای

صدور قطعنامه های پی در پی شورای حکام آژانس جهانی انرژی هسته ای در مورد پرونده هسته ای ایران و همچنین امضای بیانه های چهار جانبه میان ایران و ترونیکای اروپائی (فرانسه، آلمان و انگلستان) باعث شد که چالشهای قانونی بین ایران و آژانس جهانی بوجود آید. نویسنده به هدف شناسائی حجم واندازه این چالشها و چشم انداز آنها مسائل و محورهای زیر را توضیح میدهد:

- تعریف آژانس جهانی انرژی هسته ای:
- قوانین معمول در آژانس؛
- اساسنامه داخلی آژانس؛
- قطعنامه شورای حکام در سپتامبر ۲۰۰۳؛
- بیانیه چهار جانبه تهران در ۲۰۰۳/۱۰/۲۱؛
- قطعنامه شورای حکام در نوامبر ۲۰۰۳:
- ارزیابی کلی.

نویسنده در ارزیابی کلی خود چالشهای فراروی ایران در پرونده اتمی خویش را توضیح داده و آورده است ایران در مرحله و مقطع مشخصی بعضی از فعالیتهای اتمی خود را از آژانس اتمی پنهان کرد که این کار نحوه تعامل میان ایران وآژانس را دچار خلل ساخت و طرفین را در رویاروئی با یکدیگر قرار داد. این رویاروئی منحصر در آنها باقی نماند و به ایجاد تنش میان ایران و جامعه جهانی نیز کشیده شد. از دید نویسنده، دیپلماسی خردمندانه دولت ایران توانست تا حدود زیادی جایگاه و کرامت جمهوری اسلامی ایران را در این خصوص حفظ کند که این امر علی رغم توافقهای امضا شده میان ایران و ترونیکای اروپائی بود که بموجب آنها یك سلسله تعهدات قانونی در شکل اقدامات یك جانبه قانونی از سوی ایران تعهد شده بود، درحالیکه ترونیکای اروپائی متعهد به شروط اخلاقی و سیاسی بین المللی شده بود.

* استاد دانشگاه شهید بهشتی - تهران.

عبد الحسين شبيب *

گزینه های آمریکا در رویاروئی با برنامه اتمی ایران

دولت امریکا ایران را به تلاش برای دستیابی به سلاح اتمی متهم می سازد که چنین اتهامی، بعضی از تحلیل گران را به مطرح ساختن این احتمال سوق داده است که چه بسا امریکا و یا اسرائیل در اندیشه وارد آوردن ضربه پیش دستانه به ایران به هدف بستن راه به روی برنامه اتمی جمهوری اسلامی ایران باشند. بنظر می رسد که واشنگتن با بحران انتخاب گزینه ها مواجه است زیرا مواضع سیاسی و اقتصادی ونظامی واطلاعاتی کار پیش بردن اوضاع بسوی اعمال مجازاتهای بین المللی علیه تهران یا دست زدن به اقدامی نظامی محدود علیه ان را با مشکل روبرو کرده است. بنظر شبیب، محیط داخلی و خارجی مناسبت و همخوانی با نحوه رهیافت امریکا در مورد پرونده اتمی ایران ندارد و همین امر را می توان در عدم اقدام امریکا نسبت به زدن به بحران موجود با جمهوری اسلامی ایران مشاهده کرد. نویسنده می افزاید واقعیتهای موجود نشان میدهند، محافل بین المللی حاضر به همراهی با واشنگتن در هرگونه اقدام تنش آفرینانه علیه تهران نیستند و توان و امکانات امریکا برای وارد آوردن ضربات پیش دستانه نظامی به صورت يك جانبه علیه تاسیسات هسته ای ایران نیز وجود ندارد زیرا درگیری امریکا در جنگ عراق، راه هرگونه فعالیت نظامی جدی دیگر را بر آنها بسته است و حوادث و فجائع طبیعی نظیر طوفانها و گردبادهای کاترینا و ریتا و زیانهای اقتصادی وسیاسی ناشی از آنها نیز گزینه های امریکا را بواقع محدود ساخته است و آنگهی نباید فراموش کرد که ایران يك سلسله از پاسخهای متنوع کیفی و باز را نیز در اختیار دارد.

---

* نویسنده و روزنا مه نگار لبنانی.

محمد علی آذرشب*

جواهری و ایران: در تاریخ و جغرافیا

سخن در مورد مهدی جواهری شاعر عراقی، فی الواقع سخن گفتن در مورد یك قرن و کلیه حوادث و کشمکش ها بر سر عزت و خواری و میان استقلال و به بردگی کشیده شدن و میان وابستگی و اصالت، همچنین روح اسلام خواهی ازیك سو و روند یورش نظامی و تبدیل هویت فرهنگی و تخریب معنوی از سوی دیگر است. مهدی جواهری، شاعری است که با حوادث و رخ دادهای سیاسی، فرهنگی و اجتماعی در کشورش عراق و در سطح عربی و اسلامی زیسته است. سخن گفتن درمورد جواهری در ایران، محدوده و عرصه ادبیات و سیاست و جامعه را نیز در بر می گیرد و به نحوه تاثیر گذاری ایران در ادب وادیبان عرب هم کشیده میشود زیرا خود جواهری در مورد تاثیر ایران در شعر خود سخن گفته است. بررسی وسخن در ارتباط با جواهری در ایران پرده از واقعیت ارتباط و پیوند میان دو ملت همسایه ایران وعراق برمیدارد که از رشته های پیوند مستحکم خویشاوندی، زبان، دین وعادات وسنن برخوردارند ولی نیروهای استکباری همواره خواهان جدائی میان این دو ملت و کشیدن دیواری بلند از حساسیتهای روانی و کشاکش خونبار بین آنها بوده اند. نوینسنده در ادامه در مورد تجربه این شاعر قلم زده و سفرهای سه گانه جواهری به ایران همچنین قصاید وی در مورد ایران را برجسته ساخته و سومین سفر وی را که در جریان آن با رهبر انقلاب گفتگو کرده و به محاوره ادبی عمیقی پرداخته است را با تفصیل و اطناب بیشتر توضیح میدهد.

* استاد دانشگاه تهران.

محمد احمد الزغول*

بزرگ علوی قصه پرداز و داستان سرای ایرانی: از مقاومت تا سکونت در خارج

این نوشتار در مورد مراحل و مقاطع گوناگون زندگانی بزرگ علوی، قصه پرداز و داستان سرای ایرانی و بازتاب آن در داستانهای وی می باشد که از دید بعضی از منتقدین، آینه ای واقعی است که رویدادهای عصروی را با تمامی تناقضها و قوت و ضعف آن باز می تاباند. نویسنده آورده است که علوی که در خانواده ای مرفه و بورژوا در تهران نشو و نما کرده بود، در دهه سی قرن گذشته با یکی از برجسته ترین مبارزان مارکسیست در ایران آشنا شد و بناگهان خود را در حالی یافت که بدون اراده در حال حرکت و چرخیدن در سیل رخ داد های سیاسی در راستای مبارزه فرهنگی - سیاسی مي باشد. نویسنده در مقاله خود با برشمردن قصه های علوی و شرایط نگارش و انتشار آن تاکید دارد علوی از نویسندگانی بود که مکتب رئالیسم را در ادبیات فارسی از طریق بسط و توضیح واقعیات اجتماعی در آن مرحلة تاریخی در قصه های خود بنیاد نهاد. مهمترین محوری که علوی در داستانهایش مورد توجه قرار داد، نبرد نسلها است ولی اکثر شخصیت های داستانهای وی وابسته به روشنفکران طبقه متوسط جامعه هستند بنظر نویسنده علوی یکی از بزرگترین قصه پردازان و داستان سرایان ایران است و از پیشتازان این عرصه به شمار می آید که داستان «چشمان او» یکی از نخستین رمانهای ایرانی است که کلیه عناصر لازم يك رمان در آن قابل مشاهده است. «مجموعه نامه ها» و «چشمان او» از جملة آثاری می باشند که مکتب رئالیسم ادبی را در ایران پي ریزی کردند.

* دانشیار و رئیس بخش زبان وادبیات فارسی. دانشگاه یرموك ـ اردن.

اسفندیار معتمدی*

کتاب های درسی در ایران (۱۸۵۱ ـ ۱۹۷۹)
از زمان تاسیس مدرسه دار الفنون تا انقلاب اسلامی

در پی شکست ارتش ایران از ارتش روسیه تزاری و جدا شدن اراضی کرجستان و قفقاز از ایران، اندیشمندان و اصلاح طلبان جامعه به این اندیشه افتادند که عوامل پیروزی در وجود قانون و گسترش دایره علم و دانش و فن آوری جدید از طریق ایجاد مراکز علمی و فنی در کشور می تواند متبلور شود و شکل بگیرد. در همین راستا بود که از سال ١٢٦٤ هجری شمسی اقداماتی در جهت اجرای فراگیر اصلاحات آغاز شد که تاسیس مدرسه دار الفنون هم در همین جهت قرار داشت. پس از چند سال تدریس در مدرسه دار الفنون نخستین کتابهای درسی در سیر تکامل و بر طرف شدن اشکالات آن در اثر مرور و زمان تدوین گردید. از دید نویسنده این نوشتار نخستین مشکل در ارتباط به تدوین کتابهای درسی در نبود اصطلاحات متناسب علمی برای جایگزین شدن در برابر الفاظ و عبارات واصطلاحات بزبانهای اروپائی و همچنین نبود کاغذ و جوهر مناسب متبلور گردید. معتمدی بار شمردن مراحل تنظیم وتدوین کتابهای در سی و دستاوردها و مشکلات موجود در این روند سعی کرده است تا مقاطع وبرهه های سیاسی، اقتصادی واجتماعی وآموزشی را توضیح دهد که تاثیر کارسازی در روند تدوین کتابهای درسی وتکامل آنها و گسترش و انتشار آن در مراحل گوناگون تاریخ معاصر ایران داشته اند. وی مراکز رسمی متولی نظارت بر توزیع و چاپ این کتابهای را بر شمرده ونحوه کار آنها در امور قیمت گذاری و تدوین آن و کیفیت مطلوب این کتابهای درسی را توضیح داده است.

* پژوهشگر ایرانی در علوم سیاسی.

Iranian-Arab Affairs Quarterly

Issue 14 - Year 3 / Fall 2005

Contents





Iranian-Arab Affairs Quarterly

مرکز پژوهشهای علمی و مطالعات استراتژیک خاور میانه

مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية للشرق الأوسط

Center For Scientific Research and Middle East Strategic Studies

Center For Scientific Research and Middle East Strategic Studies

Specialized in strategic and policy issues of the Middle East region.

Objectives:

- Studies these issues through the interaction of the region's countries including Iran.
- Follows up political and economic international trends and their impact on the Middle East region.
- Focuses on Iranian developments and Arab-Iranian relations.
- Emphasizes analysis of regional international developments of the Middle East
- Organizes roundtables, seminars and conferences between Iranian and Arab affairs for the purposes of mutual understanding.
- Is concerned with studying the relations between the countries of the region with a special focus on the Arab - Iranian relations.
- For this purpose, the center holds scientific meetings and seminars, and organizes specialized discussions. It also prepares relevant researches. In addition it publishes several books, periodicals and publications that are related to its field.

Address

Beirut office
Bir Hassan - Embassies Street
Shati' - al Aaj Bldg.
Tel:01/833698 - Fax: 01/833698
P.O.Box: 113/5669 Beirut - Lebanon
e mail: fasleyat@middleeast-iran.com

Tehran office
20 Sahid Naderi St.- Keshavarz Blvd.
Tahran- Iran
P.O. Box: 14155 - 4576 - Fax:8969565
Tel: (009821) 8961770/8966722/8964282
e mail: merc@irost.com

Iranian-Arab Affairs QUARTERLY

14

Issue 14 - Year 3 - Fall 2005



Design: M.Momayez